
KINGDOMS OF BLOOD 3: CLASH OF KINGS
محمود قشطة
صراع
الملوك
ممالك الدم 3
إبداع
ساحر الكتب

الإهداء

الى عائلتي وأسرتي...

آمل أن أُهديكُم العالم بأكملِه

ميلسا

يوم جديد قد حل على ميلسا، لتستيقظ باكرًا مع أشعة الشمس الأولى التي بسطت سيطرتَها على قرية (دوجان) البسيطة، القابعة في أقصى جنوب (زاندو)، لدرجة قد تجعل الجميع لا يلحظ وجود تلك القرية من الأساس على خرائط هذا الوطن العملاق لقاطنيه، لتستعد لاستقبال يومها بنشاطٍ متزايد، أعدت الفطور لها ولعمها المعلم شوبار، ليتشاركا معًا مائدتهما المتواضعة، والمعلم شوبار يتلو صلواته وهي تردد خلفه، شاكرةً الآلهة عما وهبوهم إياه.

أنهت ميلسا فطورَها سريعًا، ليلحظ عمها شوبار عجلتها تلك، قبل أن يسألها عن سبب تلك العجالة؛ لتخبره أنها تنتظر يومًا حافلًا في ساحة القتال، فالمعلم جواتشي قد أخبرهم في اليوم السابق أنه ينتظرهم مفاجأةً حافلةً ويومًا مثيرًا للجميع.

ابتسم المعلم شوبار، ليعتدل في جلسته ويحفزها على ما ينتظرها من أحداث اليوم، لتتوقف أمامه مستفسرة منه إن كان يعلم أَيًّا مما سيحدث، فهي تعلم مدى ارتباطه وصداقته بالمعلم جواتشي.

«ما أعرفه يا بنيتي, أنكم تنتظرون يومًا حافلًا، لكن عليكِ أن تكتشفي ما يعده لكم السيد جواتشي بنفسك»

توسلت له ليخبرها عما ينتظرها في هذا اليوم، لكنها وجدت ابتسامةً دهاءٍ من عمها شوبار، ليقف بها أمام فضولها وشغفها الجامح، لتعلم في قرارة نفسها أنه لن يخبرها بأي شيء، فكما هي عادته, يدفعها دائمًا لاكتشاف كل الأسرار بنفسها، لتقبل رأسَه وتتحرك في عجالةٍ لتستعد للذهاب لحلبة القتال.

لم يكن شغف ميلسا أقل من أقرانها في ساحة التدريب، فتوافدوا جميعًا باكرًا عن موعدهم، فقد عهدوا معلمَهم السيد جواتشي جيدًا، فعندما يخبرهم بأنه ينتظرهم شيئًا عظيمًا، فبكل تأكيد سيكون هناك أكثر مما يتوقعونه.

فتحت أبواب الساحةِ سريعًا لهم، ليجدوا التعليمات من مساعدي المعلم جواتشي, بأن يتوجهوا سريعًا لاستبدال ملابسهم، وأن يتحلوا بكامل دروعهم وأسلحتهم، قبل أن يصطفوا جميعًا في ساحة القتال, منتظرين قدوم معلمهم، تباروا جميعًا في الانتهاء سريعًا مما طلب منهم، لتدب الحياة بقوة في أرجاء الساحة التي غشاها الهدوء طيلة الليلة الماضية، توحدت صفوف المتدربين, ووقفوا في ثبات

وتوافق كأنهم فرد واحد، عم الهدوء من جديد وكأنهم أصنام مثبتة في الأرض، أو أن أنفاسهم قد توقفت في آن واحد، حتى قلوبهم قد انخفضت أصوات دقاتها لأقل المعدلات، ليسود الصمت في المكان من جديد.

تركهم المعلم جواتشي هكذا لبعض الوقت, حتى ينهي ترحيبه بضيوفه، ليقودهم في جولة تفقدية في ساحته القتالية, قبل أن يصحبهم نحو منصته الرئيسية، ليتقدم معه كبيرهم, ليلحظ طلاب المعلم جواتشي رفيقه الذي يرتدي بزة حربية كاملة، تختلف عن تلك المتواجدة في قريتهم المتواضعة، خاطبهم المعلم جواتشي بصوته الجهوري صائحًا بهم:

«أيها الفتيان، اليوم هو يوم الحسم لكم جميعًا، سيكون أمامكم فرصة لا تتكرر إلا مرة واحدة في العمر، أولًا- عليكم أن ترحبوا بضيفنا القائد جيرهالد جراهم، قائد الحرس الملكي لملكنا الموقر إدوارد، حاكم أرض (زاندو) وكل أراضينا الأم»

صاح المتدربون جميعًا باسم ملكهم بمنتهى الحماس, ليضربوا الأرض برماحهم بمنتهى الصخب، قبل أن يضربوا بها دروعهم معلنون جاهزيتهم، ليشير إليهم معلمهم بالصمت,

ليتوقف هذا الصخب في برهة, وكأنه لم يكن، ليعاود حديثه من جديد:

«إن وجود السيد جيرهالد بيننا اليوم ليس من قبيل الصدفة؛ ولكنه أمر قد سعينا كثيرًا لحدوثه، فدائمًا ما استغليت أي فرصة أنا والحكيم شوبار, من أجل إيصال مدى تفوقكم ونبوغكم لأعلى المستويات، وها نحن اليوم نتشرف بزيارة السيد جيرهالد لنا، ليعاين بنفسه ما وصلتم إليه.

اليوم أيها الشجعان, سيكون اختبارًا مفتوحًا لكم جميعًا، لتقديم كل ما لديكم في فنون القتال، فاليوم لديكم فرصة لن تتكرر لكسب ثقة قائد الحرس الملكي؛ لاختيار أحدكم لينضم لرجاله، هذا فقط إن استحق التواجد بينهم، لذا أتمنى أن لا تخذلونى, وأن تخرجوا أفضل ما لديكم فيما ستواجهون اليوم»

لم يكن المعلم جواتشي, بحاجة لتحفيز طلابه بالمزيد من الكلمات، فهو بالفعل قد غرس فيهم حب القتال، جميعهم يحلم باليوم الذي ينضم فيه لقوات الجيش العادية، أو يكون من ضمن سرايا الحرس الخاصة بطرق التجارة، أما وأن يكونوا من بين الحرس الملكي، فهذا حلم كبير لم يراود إلا القليل منهم, ليكونوا من بين الصفوة في أرض (زاندو)

قاطبة، لكنهم الآن أمام فرصة سانحة لتحقيق أحلامهم تلك.

شرع المعلمون في ساحة القتال بتوجيه التعليمات سريعًا لمتدربيهم، أخبروهم أن اليوم سيكون مزدحمًا بالاختبارات المختلفة لهم، لتكون البداية باختبارات في الفروسية وقفز الحواجز.

لم تتوقف ميلسا كثيرًا، بل كانت تسعى لإثبات ذاتها بمنتهى القوة، وأنها ند قوي لكل أقرانها من الذكور، سعت لتعلم سريعًا ترتيبها في الاختبارات، وأي الخيول سيكون رفيقها، لتجد في نهاية الإسطبل الملحق بالساحة، فرس ثائر أعلن تمرده على الجميع، امتاز لونه بالحمرة المبهجة مع خصلات شعر شقراء، وذيل ذهبي قد أكسبه حُسنًا يناسب حُسنها، لكنها علمت أن كل من سبقوها في الاختبارات على متنه لم يحالفهم الحظ في إكمال مسارهم بالشكل المطلوب، وأن من نجح في إكمال المسار لم يحقق كامل النقاط.

اقتربت منه بهدوء وتريث، تقدمت بخطوات غير محسوسة تحاول ترويض هذا الثائر أمامها، بدأت تدندن بتهويدة قديمة علقت بأذهانها منذ أن كانت في المهد، لكنها لم تعد تذكر من لقنها لها، بدا صوتها عذبًا وهي تتابع تهويدتها لتقترب من هذا الفرس العنيد، أمسكت لجامه جيدًا بيد

قبل أن تداعب وجهه بيدها الأخرى، بدأت تشعر به يهدأ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، لتنزع عنها خوذتها وينسدل شعرها خلفها، لتقترب أكثر بدلال أنثوي أخاذ، سلب لب هذا المتمرد على الجميع ليخنع لها وحدها، وهي تحرك راحتها على جسده بكل حنان، اقتربت من السرج الذي قد فك وثاقه لتحكم وثاقه جيدًا وهي تداعبه، لينحني أمامها هذا الثائر ليعطيها الإذن بارتقائه، لتعتليه بثبات وتبدأ بالربت على رقبته وهي منحنية بجذعها فوقه تحدثه في صمت تقبله، لينصاع هو لها ويبدأ بالتقدم رُوَيْدًا رُوَيْدًا تجاه الساحة الخاصة بالفروسية، ليراقب الجميع عن كثب ماذا ستفعل هذه الفتاة فوق هذا الجواد المتمرد الذي أسقط من قبلها العديد، لتروض هي فرسها لبعض الوقت قبل أن تأخذ الإذن بالبداية والانطلاق.

حبست أنفاسها لتصفي ذهنها تمامًا، لا ترى أمامها إلا جوادها الذي التحمت به ليصبحا كيانًا واحدًا، لم تشعر أبدًا وكأنهما فردان، تشعر بخطواته وحركاته، أحكمت قبضتها على رسن لجامه، ووكزت بطنه بقدمها لتدفعه للتحرك للأمام، تهمس في أذنه موجهة إياه للأمام، أصبحت الرؤيا أمامها في قمة تركيزها، لا تعبأ بمن حولها في الساحة وكأن الموجودات جميعها قد اختفت من الوجود، لم تلتقط أسماعها إلا أنفاس جوادها وحده، لا ترى إلا الحواجز أمامها، تقدما سَوِيًّا

خطوات متتالية في وتيرة متصاعدة، لتصل به بالسرعة المناسبة عند الحاجز الأول، لتعطى له الإذن بإطلاق جماحه ليحلقا سَوِيًا للحظات معدودة, شعرت فيها وكأنها قد بلغت عنان السماء، ليعبرا معًا حاجزهما الأول، لتحكم من جديد سيطرتها عليه, وتربت بيدها على رقبته محفزةً إياه, لتتقدم للحواجز واحدًا تلو الآخر مجتازةً إياها بكل براعة، بينما علاقة الثقة بينها وبين جوادها تتوطد خطوة تلو الأخرى، لتنهى بنجاح اختبارها الأول ليصيح جميع من في الساحة محيين إياها، لتذهب سريعًا نحو إسطبل الخيول، وتترجل عن جوادها مداعبة إياه بكل ود، شاكرةً له معروفه على انصياعه لطلباتها بعد أن أسقط من فوقه العديد.

حصلت ميلسا على قسط يسير من الراحة قبل الجولة التالية، وهي تتلقى مباركة أقرانها لها، لم يمض وقت طويل حتى بدأت الجولة الثانية لكافة المتدربين، والتي بدأت سريعًا في ميدان الرماية، تسلح كل منهم بقوسه وبخمسة أسهم؛ لخمس محاولات من الثبات على أهداف بعيدة بالقدر الكافي.

انتظرت ميلسا دورها، حيث مُنح أصحاب الدرجات الأعلى في اختبار الفروسية؛ الفرصة الكافية لتكون محاولاتهم

في نهاية الترتيب، مجددًا سعت لتعزل نفسها عن الجميع حولها، وعندما أتى دورها في الاختبارات، أخذت نفسًا عميقًا لتحبس أنفاسها بعدها، جهزت قوسها بالسهم الأول, جذبت وتره لأقصى درجة ممكنة، أحنت رأسها وأغمضت إحدى عينيها لتصوب نحو هدفها بمنتهى الهدوء، لتطلق العنان أخيرًا لهذا السهم الحبيس بين أصابعها، لينطلق سريعًا يشق الهواء متجهًا نحو هدفه دون أن يحيد عن طريقه، لينغرس رأسه المدبب سريعًا مخترقًا تلك النقطة السوداء في منتصف الهدف، ليعلن عن نجاح باهر لرميتها الأولى، لتتبعه بعدها برميات أربع أُخريات تجاورت جميعها ذاك الحيز الضيق لتلك النقطة السوداء، لتتلقى تحية الجميع وتنصرف لتنتظر اختبارها التالي.

حصلت على قسط آخر من الراحة قبل جولة الرماية الثانية، فدرجة الصعوبة الآن على وشك أن تزداد، لكنها مازالت في طليعة الترتيب لتستعد للجولة الجديدة، فقد توجب عليهم أن يقتنصوا أهدافهم هذه المرة من الحركة فوق صهوة جيادهم، لديهم أهداف ثلاثة عليهم إصابتها، لتجد نفسها في هذه المرة أمام جواد آخر، لكنه أكثر خنوع لين الطباع، يمكنها التعامل معه بيسر عن الجواد السابق، جعلت جوادها يتحرك بهدوء ويسر في مسار ثابت، لتتحكم

في حركته وتوجيهه بقدميها, بينما حملت قوسها بكلتي يديها، جذبت سهمها الأول لتطلقه نحو هدفه مصيبةً إياه، لتجذب السهم الثاني من جُعبته سريعًا، بينما حثت جوادها على التحرك للأمام بعدما نغزته بقدميها، ليتقدم نحو هدفها الثاني الذي صوبت تجاهه مصيبة إياه هو الآخر، لتكمل وتيرة عملها بإصابة الهدف الثالث لها.

مع نهاية تلك المرحلة أعلن اليوم عن انتصافه، ليحصل الفتيان على راحة لتناول وجبة سريعة أعدت لهم, استعدادًا لاستكمال باقي المنافسات، تبادلوا الأحاديث الجانبية فيما بينهم، وأرسلوا التهاني لمن حلوا في قمة الترتيب حتى الآن، ليحث المتقدمون زملائهم بالتعويض في الاختبارات التالية فلم ينتهى اليوم بعد، وما زالوا لا يعلمون ماذا يخبئ لهم المعلم جواتشى في جعبته من اختبارات.

لم تدم تلك الراحة كثيرًا قبل أن يسمعوا الصوت المميز لبوق الحلبة، ليهرعوا سريعًا لأخذ أماكنهم في منتصف الساحة، ليظهر أخيرًا المعلم جواتشى أعلى منصته، وبجواره القائد جيرهالد, والمعلم شوبار, الذي انضم إليهم، لينتظروا جميعًا في شغف ما هو قادم، ليعاود معلمهم حديثه من جديد:

«أيها الفتيان، أعلم أن اليوم ليس كسابقيه، ولتعلموا أن يومنا لم ينتهِ بعد، لذا فمن اعتلوا منكم قمة الترتيب ليعلموا جيدًا أن ما حققوه ليس في مأمن حتى النهاية، وأما من لم يحالفه التوفيق فعليه أن يعلم مدى استيائي من ذلك، فلا يوجد أي أعذار عن أي إخفاق قد حدث، لكن مازال أمامهم الوقت للتعويض.

الآن ستبدأ جولة المبارزة، الترتيب في المراحل الأولى ليس له أي معنى، في هذا الإناء أمامي وضعت أسماءكم جميعًا، ستكون المواجهات عشوائية، مما سيجعل للجميع فرصة كافية لتعويض نقاطه، عددكم هنا يناهز السبعون فردًا، لذا فمن سيظفر بهذه المنافسة عليه أن يتجاوز ست نزلات على الأقل، لأن في هذه المرحلة سيكون الفائز واحدًا, الجميع هنا على المحك»

ترقب الجميع مواعيد نزالتهم وأقرانهم في تلك النزالات، لتسمع ميلسا اسمها يأتي في نزال قد يكون في المتناول أمام أحد الأقزام, ففي ساحة القتال يتدرب البشر والأقزام والقناطير سويًا, انتظرت حتى أتى موعد نزالها الأول, علمت جيدًا ما لدى الأقزام من جموح في قتالهم، فهم يسعون لإثبات كفاءتهم وأنهم أنداد لأقرانهم.

انطلق خصمها نحوها سريعًا، دافعًا بثقل جسده للأمام، لتتحرك هي سريعًا متفادية الاصطدام به، أو بخوذته التى اعتلتها عديد القرون، ليكمل هو اندفاعه للأمام، بينما هي باغتته بالقفز من الخلف عليه لتسقطه أرضًا، موجهةً سيفها لمكان قاتل في جسده، ليعلو صوت قائد الحلبة معلنًا انتهاء الجولة.

بدا الغضب جليًا على خصمها، فقد ألقى بنفسه كصيد سهل في مواجهتها، ابتسمت له وهي تمد يد العون، ليصافحها وينهض قبل أن يتوجها سريعًا لمكان الانتظار لتأتي جولتها التالية، لتثبت جدارتها في النزال تلو الأخر، هذه المرة واجهت قنطور، ومن بعدها وقفت أمام فتى بشري مثلها، وهكذا دواليك حتى استقر بها المطاف في نهاية اليوم في مواجهة باكو.

استعد كلاهما جيدًا لهذا النزال, في مكان الاستراحة المخصص للمتدربين، يطمئن كل منهما على دروعه وأسلحته التى سيستخدمها في نزاله، فقد كان كلاهما يتفوقان على أقرانهم دائمًا، ليتربعا سويًا على قمة المتدربين في حلبة القتال الخاصة بالسيد جواتشي

اقترب باكو منها ليهمس لها بصوت غير مسموع: «ميلسا،

اعذريني سأكون أكثر قسوةٍ عليكِ في نزال اليوم، فهذه فرصة لا تعوض بالانضمام للحرس الملكي »

تبسمت ميلسا من حديثه، قبل أن تقبض بيدها على درعه جاذبةً إياه إليها لتهمس هي الأخرى له: «اعتقد أن هذه الفرصة تناديني وحدي عزيزي باكو، فعليك أن تبذل قصارى جهدك حتى لا تأتي هزيمتك مبكرًا، فربما تحظى بفرصة لاصطحاب الوصيف هو الأخر للحرس الملكي »

بدت الجدية على ملامح باكو مستعدًا لإجابتها، لكن قاطعهما صوت أحد المعلمين بالقاعة، ليطلب من كافة الطلاب الآخرين أن يتوجهوا لساحة القتال ولكن بكامل حلتهم الحربية، ويشدد بعدها على باكو وميلسا بالانتظار حتى يأذن لهما بالخروج.

انصاع كافة المتدربين على الفور، وبدأوا بالخروج للساحة وهم بكامل حماستهم، فربما لديهم الآن فرصة أخرى لإثبات مدى جودتهم، بينما القلق قد تسرب إلى ميلسا، ودفعها الفضول لتعرف ما يحدث في الخارج، لتصطدم بمعلمي القتال يعيدونها من جديد إلى غرفة الملابس، لتبدأ في مشاركة باكو بشغفها، بينما هو لم يكن يهتم بمصير الآخرين، ليخبرها أن تركز على قتالهما فقط، فلن يقبل منها أي أعذار

في حال تفوق عليها تبرر بها هزيمتها أمامه.

طال وقت الانتظار أمامهما، لتبدأ الشكوك تجد طريقها نحو باكو هو الآخر، لكنه لم يبح لها بذلك محاولًا تصفية ذهنه من أي شيء قد يجعله يخسر النزال، ليأتي لهم أحد المعلمين مع اقتراب الشمس من المغيب، ليخبرهما بأن يتوجها سويًا نحو ساحة القتال، ليلقيا نظرة سريعة على تجهيزاتهما من أجل هذا النزال الأخير، ليتقدما نحو الساحة بكل عزيمة وشغف لتحديد الفائز بينهما.

لم يستمر شغفهما كثيرًا، بل أصيب كلاهما بحالة من عدم الفهم لما يحدث أمامهما، فحلبة القتال أمامهما تعج بأقرانهما من المتدربين، اصطفوا على جانبي الساحة مستلين أسلحتهم ومستعدين لنزال قادم، لكن هذا لم يمنعهما من التقدم لمنتصف الحلبة ليأخذا وضعية القتال، منتظرين إذن سيد الحلبة المعلم جواتشي الذى لم يطل صمته كثيرًا:

«انتظرا، أعلم أن كليكما متحفز لهذه المواجهة، لكن هناك تغيير ما سيطرأ على الأمر يا فتيان، فقد أعجب السيد جيرهالد بأداء كليكما، لكنه يسعى لمزيد من الاختبارات، لذا فالآن أنتما ستكونان فريقًا مشتركًا، لتواجهان معًا كافة زملائكما هنا في الساحة, بكل تأكيد هذه مواجهة صعبة

أو مستحيلة، لكن قمنا بوضع المواجهة بشكل تدريجي، ستواجهان اثنين إن تفوقتما عليهما ستواجهان ثلاثة، وهكذا دواليك حتى تنتهيا، لكن هناك شرط آخر، يجب أن يبقى كليكما للنهاية, إن سقط أحدكما خسر الفريق بأكمله، وأما أنتم يا فتيان من يسقطهما؛ سيحظى بفرصة أخرى للاختبار من أجل الانضمام للحرس الملكي»

بدت الدهشة جلية على وجه كل من ميلسا وباكو، لكنهما نظرا لبعضهم سريعًا ليتحفزا لهذا القتال، ليهمس لها باكو:

«لحسن حظك لن أهزمك اليوم»

لتجيبه بسرعة: «ولسوء حظي سيتوجب على تحمل عبء الدفاع عنك، فيجب أن تجاريني في سرعتي حتى تبقى حَيًّا لأنال منك»

بدأت المواجهة الأولى لكليهما أمام اثنين من أقرانهما، انطلق كل منهما صوب أحد المتحدين، لم يكونا يعبآن بهما، بل كان كل منهما في تحد مع الآخر؛ من أجل إثبات كفاءته عنه.

استعمل باكو قوته الغاشمة في الهجوم، بينما ميلسا استخدمت سرعتها الفائقة، ليكيل كل منهما ضرباته تجاه

أقرانهما كل بطريقته، لينتهي النزال الأول سريعًا, قبل أن يتقدم ثلاثة آخرون دون أن ينتظروا، اختارت ميلسا أضخمهم لتهاجمه، بينما باكو رضخ لاختيارها، لينقض على المتبقيين الأقل بنية جسدية منه، فإن اختارت هي الأقوى، فهو عوض ذلك بالعدد الأكبر، ليكمل كلاهما عمله بإتقان تام، فميلسا استخدمت رشاقتها لتناور هذا الضخم، لتستغل بطء حركته لتواليه بضربات سريعة تجهز عليه، بينما باكو أعمل عقله ليلقي بدرعه الثقيل تجاه أحد خصميه، ليرتبك الآخر بالتقاط الدرع, بينما هو أجهز على الأول بضربات قوية, قبل أن يعود لحامل الدرع ويسقطه هو الآخر.

لم يبد على المعلم جوانشي السعادة بما يراه، فقد انتابه بعض الضيق من تلك الندية التي يعملان بها، فعليهما أن يعملا كفريق واحد وليس ندين، فأول تعاليم القتال أن تحافظ على حياة زميل الصف بجوارك، بينما كليهما شق الصف ليكتفي بذلك، وبداخله يراقب عن كثب إلى أي مدى يمكنهما التقدم.

أتت جولة أخرى بسرعة، كان أمامهم أربعة متحدين، أخذ باكو الجانب الأيمن, بينما ترك الجهة الأخرى لمليسا، ليستعرض كل منهما قدراته، ليتفوق كلاهما مرة أخرى على

خصومهما منتظرين متحدين جدد، لولا تلك الصيحة العالية التى خرجت من المعلم جواتشي:

«كفى!، ما هذا الهرج الذي أراه أمام ناظري؟، ألم أخبركما من البداية أن كليكما يجب أن تعملا كفريق واحد يحافظ على حياة بعضكما البعض، ألم أخبركما أنه إن سقط أحدكما فهذا يعتبر سقوطًا لكليكما؟، لكني لم أرَ أمامي إلا مراهقين أرعنين يسعى كل منهما لإثبات قوته للآخر، سيد جيرهالد، إني أعتذر إليك لأني أهدرت وقتك بمشاهدة هذا العبث، أتمنى أن تتقبل بالغ أسفي، أما كليكما فمعاقب، عليكما أن تنظفا الساحة كاملة قبل الرحيل, حتى وإن قضيتما الليل كله هنا»

أنهى المعلم جواتشي حديثه لينصرف رفقة ضيوفه، ومن بعدهم انصرف كافة الطلاب ليبقى كل من باكو وميلسا ينظفان الحلبة تحت أنظار معلميهم الآخرين, بدا الضيق على كليهما وخاصةً ميلسا، ليقترب منها باكو بعد أن هدأ قليلًا:

«اعتقد أننا كنا مخطئين، بكل تأكيد المعلم جواتشي يعلم أفضل منا ما هو الأفضل، ربما إن توسلنا إليه سيعطينا فرصة أخرى»

- «نعم باكو، لقد أطلقنا جماحنا إلى مالا نهاية, لكن ربما

هناك من سيساعدنا, عمي شوبار, ربما لو طلب هذا من المعلم جواتشي لاستعطف قلبه»

- «نعم أصبتِ، فكلاهما صديقين مقربين منذ أن أتيا للبلدة معًا»

أنهى كليهما عملهما ليغادرا الحلبة مع حلول الظلام، ليوصلها باكو حتى منزلها, لتودعه مخبرة إياه أنها ستفعل ما بوسعها حتى يساعدهما عمها شوبار.

***

لم تنل ميلسا قدرًا كافيًا من الراحة، فقد توجب عليها أن تعد وجبة للعشاء لها ولعمها شوبار، وتنتهي من تجهيز المائدة منتظرة إياه، ليمر بها الوقت دون أن تشعر ويغلبها النعاس، لتفيق على أثار خطواته داخل المنزل وهى مستلقية على المائدة تغط في نومها، لتفيق سريعًا وتذهب لاستقباله قبل أن تتساءل عن سبب تأخره، ليخبرها أنه كان برفقة المعلم جواتشي وضيوفه، مخبرًا إياها أنه قد تناول الطعام برفقتهم، فقد أعد لهم مأدبة ضخمة، ولم يكن من اللائق أن يرفض التواجد معهم، ويخبرها أن تتناول طعامها في حين ذهب هو ليبدل ملابسه.

وبعد أن أنهت ميلسا طعامها وأنهت أعمالها المنزلية المتعلقة، ذهبت لعمها في مكتبته الخاصة، ليدعوها للجلوس قبل أن تتحدث:

«عمي، أعلم أنك كنت متواجدًا اليوم في الساحة وراقبت كل ما حدث، أولًا- أود الاعتذار عما بدر مني أنا وباكو ، لقد عميت أعيننا وعقولنا، ودفعتنا شهوة الانتصار والفوز، وأنانية من كل منا لنظهر بهذا الشكل، لكن لنا طلب منك، الجميع يعلم مدى احترام المعلم جواتشي لك، وأنا أتمنى منك أن تتوسط لكلينا لديه ليمنحنا فرصة أخرى»

- «إن بداية الاعتذار عن الخطأ هو أمر محمود يا بنيتي، لكن أنتما من يجب أن يأسف على نفسه، فقد أهدرتما فرصة عظيمة قد لا تتكرر طيلة حياتكم، أما الاعتذار فيجب أن تذهبا معًا لمعلمكما وتعتذرا له»

تفهمت ميلسا حديث عمها لتكرر اعتذارها، بينما هو أخذ يخبرها عما أغضب المعلم جواتشي، وعن جلستهم مع القائد جيرهالد، مانحًا إياها طاقة من الأمل، مخبرًا إياها أنه سيمكث في البلدة ليومين آخرين، فربما يكون أمامهما فرصة أخرى لتعويض إخفاقهما، ليسألها بعد ذلك هل هي مستعدة لإكمال حديثهما عن تاريخ (زاندو)، أم أنها قد

انهكت من اختبارات اليوم؟، عارضًا عليها أن تأخذ قسطًا من الراحة في هذه الليلة، لكنها أخبرته أنها على أتم استعداد لاستكمال الأحداث، ليشير لها لتأتي بذاك الكتاب العتيق، لتجلس أمامه وتبدأ القراءة مجددًا من حيث انتهت في ليلتها الماضية.

***

1

تغيرت الأوضاع في (بوزان)، فبعد معركتهم الأخيرة زادت حماسة الرجال، وأصبحوا يشعرون بقيمة أكبر لعملهم، بدأت الطموحات تزداد بداخلهم من أجل ما هو قادم، لذا استمروا في العمل المستمر, لتنظيف القلعة من آثار المعركة، واروا جثث الموتى الثرى، وضمدوا جراح المصابين، وأودعوا الأسرى في سجون القلعة التي كانوا نزلاءها منذ أيام قليلة، أعادوا تجهيز أنفسهم للتصدي لهجوم آخر محتمل، بدا النشاط على الجميع، عملوا بلا توقف تحت أنظار الأمير ليدلي، قائدهم أو ملكهم الجديد، كان وحده يشعر بالقلق حيال مستقبله، فهو يعلم قدر هؤلاء الرجال وإلى أي مدى قد يصل بهم.

نعم أظهروا قدرًا من البسالة والشجاعة لا ينكره أحد، لكن القادم لن يكون سهلًا بكل تأكيد، فتلك لم تكن إلا شرارة البداية، ليجتمع بسرعة بقادة جيشه الصغير، ليخبرهم عما يجول في خاطره.

: «أيها السادة، أنا لا أود أن أفسد عليكم فرحتكم، أو فرحة أي من رجالنا، لكن علينا أن لا نغتر بتلك اللحظة التي حققنا فيها نصرنا الأول، فما أسقط (زاندو) إلا لحظات من

الفخر والغرور انتابت ملوكها، مع خيانة غرست في قلوبهم وفي قلب (زاندو) قاطبة، أعلم أن ما قمنا به جميعًا هو نجاح لا يمكن نكرانه، بفضلكم وبفضل أولئك الرجال في الخارج، استطعنا أن نحول مجموعة من المساجين. لما يشبه الجيوش النظامية, بل حققنا انتصارًا لا يستهان به أمام فيلق عسكري كامل، في غضون أيام قليلة من اتحادنا معًا، لكن أيها السادة، ما قمنا به للآن ما هو إلا شرارة أولى، فإما تتحول هذه الشرارة إلى طاقة من النور إن أحسنا استخدامها، أو ستكون أولى حلقات الجحيم الذي سيسقط علينا، لذا يجب أن نستعد جيدًا، فذاك الخائن المدعو تيري. لن يقف مكتوف الأيدي حين يعلم بما فعلناه بأخيه ورجاله, فالآن إن كنا قد واجهنا فيلق واحد وقضينا عليه، لنعلم جيدًا أننا سننتظر جيش كامل مدجج بالسلاح والغضب، ومن خلفه جيوش أخرى لن تتوقف»

تفهم الرجال جيدًا ما يرمى إليه الأمير ليدلي، ليوقنوا أنهم أمام قائد يعلم جيدًا ما يقوم به، لا ينظر أسفل قدميه، بل يضع ناظريه على بعد خطوات عديدة للأمام.

أنصتوا جميعًا له ليترقبوا تعليماته، لكنه على الجانب الآخر بدأ يطلب منهم أفكار تساعدهم على التقدم للأمام، ليبرز

كل منهم ما يمكنه القيام به، وأفكارهم في تحصين القلعة بالشكل الأمثل، ليخرج عليهم إدجار باقتراح مغاير، ألا وهو مغادرة القلعة على الفور، وأن يعملوا بطريقة الكر والفر في حربهم المقبلة، عارض الجميع تلك الفكرة، ليشير إليهم ليدلي بالهدوء ليعاود الحديث:

«ربما تكون تلك خطوة مستقبلية إدجار، لكن الآن علينا أن نثبت جدارتنا بشكل أكبر، لقد أخذنا خطوة للأمام بسيطرتنا على (بوزان)، فيجب ألا نفقد ما اكتسبناه، فما حققناه للآن لن يذاع خبره إلى حكام (زاندو) الحاليين فقط، بل سيصل إلى كافة أبناء هذه الأرض، فيجب أن نثبت أننا نواة حقيقية للمقاومة، ولسنا مجرد حدث عارض، فإن نجحنا في استقطاب المزيد من أبناء (زاندو) المثابرين خلف حقوقهم، فوقتها سنكون بحق شوكة في حلق أولئك الخونة»

مرة أخرى برجاحة عقله وفطنته، امتص ليدلي الصدام بين رجاله، ليبقى وحدتهم كما هي دون أي تأثر، ليبدأ بعدها في تمرير تعليماته لهم.

طالبهم بوضع المزيد من المتاريس على كافة مداخل القلعة، وتأمين كافة أركانها، ملقيًا تلك المهمة على أداميوس ورجاله؛ لمعرفتهم بكافة نقاط القوة والضعف في أرجاء

القلعة، كما طلب بتكثيف التدريبات العسكرية لرجاله، موجهًا تلك المهمة لرجليه مارتي وديجو لخبرتهم العسكرية، بينما إدجار ورجاله من عصابة الفولكا، كانوا هم سرايا الاستطلاع والتمشيط حول القلعة، ليشرع رجاله فورًا في تنفيذ أعمالهم، ليباشر هو كل ما يحدث في قلعته منتظرًا ما سيحدث، راجيًا أن تكلل رحلة أندرو بالنجاح رفقة أبناء المنجالا، وأن يأتوا بالمدد الذي وعدوه به.

***

دائمًا ما كانت (بوزان)، هي تلك البقعة القابعة بجنوب (زاندو) التي يخشاها الجميع من العامة والخاصة، ففيها تسقى ويلات العذاب والإذلال لمن تقوده أقداره هناك، شعر أندرو أنه في طريقه لتلك الويلات في أقصى الجنوب عندما قادوه مقيدًا رفقة الأمير ليدلي، اعتقد وقتها أنه في أقصى بقاع (زاندو) تجاهلًا من الجميع، لكنه الآن هنا في قلب قبائل المنجالا، علم أن (زاندو) لا تقف حدودها عند ممالكها الخمس فقط، فإن كانت (بوزان) تقبع في الجنوب، فالآن هو في أقصى الجنوب.

أخذ يراقب هؤلاء القوم، لم يكونوا بمقدار تطورهم, لكنهم كانوا أكثر ترابطًا وانتماءً لهذه الأرض، آمنوا لقرون عديدة

بنبوءتهم الموعودة، ليعودوا من جديد لأرض تركها أسلافهم منذ قرون عديدة، وأعجب بإيمانهم وعزيمتهم.

أخذ أشوري يعرفه على كل شيء في أرضهم وتراثهم, بكل الفخر والعزة، لكن أندرو بداخله راودته الكثير من الشكوك، هل هؤلاء الأناس قادرون على أن يكونوا سندًا للأمير ليدلي، هل هم حَقًّا نواة أولى لجيش يقوده لإسقاط خونة (زاندو)، واستعادة عرشه في مدينة الوسط، ومن بعدها طرد الملاعين من أرضهم؟

ظلوا ينتظرون حضور قادة القبائل، فقد أتتهم البشرى بقدوم الموعود، ليخبروه أنه في اليوم التالي سيحضر اجتماع قادتهم، ليطلب منه كبير عرافي الفودا أن يجتمع به منفردًا، ليقضي معه جزء كبير من الليل في حوار خاص بهما، لا يعلم فحواه إلا كليهما، ليخرج بعدها أندرو مغايرًا لما كان عليه من قبل.

مع نسمات الصباح الأولى، تبادرت تلك الصيحات والأصوات إلى مسامع أندرو، ليخرج على عجالة من خيمته، ليراقب بعينيه تقاليد ومراسم لانتقال موكب ما، ليجتمع كافة محاربي وفتيان القبيلة مصطفين على جانبي الطريق، محدثين مَمَرًّا شَرَفِيًّا يبدأ من خيمة زعيم قبائل المنجالا

السيد إيكابي، ليرتدي أندرو حلته سريعًا ويعاود الخروج ويبحث في الأرجاء عن رفيقيه أشوري وأنتيكوس، ليجد كلاهما في زمرة من المقاتلين الشبان أمام خيمة الزعيم، ليشير إليه أشوري بأن ينضم إليهم، منتظرون خروج كبير العرافين السيد توفا وبرفقته الزعيم إيكابي، ليشيروا له أن ينضم إليهما، وهم يتقدمون هذا الموكب ويتبعهم أشوري وزمرته من المقاتلين، متوجهين بشكل مهيب وسط تعالي الأبواق كأنهم في محفل مقدس، ليراقب أندرو عن كثب كل ما يحدث، ليجد وجهتهم مستمرة حتى موضع معبد ابتشك المقدس، ليستقبلهم كهنة المعبد بكل ترحاب مباركين إياهم.

انتهت مراسم استقبال الزعيم إيكابي وموكبه، ليصطف مقاتلو المنجالا أمام المعبد في صفوف عسكرية، منقسمين لكتائب وسرايا متعددة، بينما استمر توافد قادة وزعماء قبائل الجنوب واحدًا تلو الآخر، ليحظوا بمباركة الكهنة والعرافين، ليكتمل نصابهم مع توسط الشمس للسماء بحضور زعيم قبيلة النوماكي متأخرًا كالعادة.

اصطف الجميع ليباركهم الكاهن الأعظم وهو يتلو التراتيل والصلوات، مناجيًا الآلهة في صلاتهم تلك، بأن يرشدوهم نحو مجدهم ومجد أسلافهم في حربهم المقدسة تلك،

ليعترض بيرشا زعيم النوماكي مقاطعًا تلك الصلاة:

«سيدي الكاهن، اسمح لي بأن أقاطعك، فنحن للآن لم نتخذ قرار الحرب، فلتجعل الصلاة من أجل مباركة جمعنا هذا»

تقبل الزعيم إيكابي كلماته على مضض لكنه لم يتفوه بأي كلمة، ليعالج كبير الكهنة الأمر بمنتهى الهدوء والحكمة، مبتسمًا للسيد بيرشا، ليعاود تراتيله وصلواته متممًا إياها، داعيًا الجميع لينتقلوا لجلستهم الخاصة، ليتقدمهم السيد توفا كبير العرافين:

«أيها السادة، لقد اجتمعنا هنا من قبل منذ فترة وجيزة، تحدثنا هنا عن نبوءتنا عن أرضنا الأم، وعن حلم العودة عن رحلتنا المجيدة المنتظرة، وعن حرب الخلاص، لا داعي لأن نعيد ذاك الحديث الآن، لكن ما أذكره أننا في المرة الماضية اتفقنا جميعًا أن نجتمع مجددًا, إن عاد رسلنا وبصحبتهم الموعود، واليوم نحن لدينا ضيف على أرضنا ليحدثنا عن أرضنا الأم وما حدث بها»

أنهى حديثه ليشير لأندرو بالتقدم للأمام، ليتوسط ساحتهم ويوجه إليهم التحية ويبدأ حديثه شاكرًا إياهم، ثم معرفًا لهم عن نفسه وعن أوضاع أرض (زاندو)، وعن رحلته مع الأمير ليدلي، وكيف كانت الحرب، وكيف التقى أشوري

وأنتيكوس، وأبناء المنجالا في سجن (بوزان)، وكيف انتهى به المصير كرسول إليهم قادم من الأمير ليدلي، أمير الوسط ووريث عرش مملكتها، ليثبت لهم في النهاية صدق ما قاله؛ بأن أخرج من بين طيات ملابسه تلك النسخة الاحتياطية من خطاب ملوك (زاندو) إلى ممالك القديسين، طالبين منهم مساندتهم في تلك الحرب، فقد احتفظ بتلك النسخة التي أعطاها إليه الأمير ليدلي، أثناء رحلتهم إلى ميناء (اللؤلؤة) من قبل، ليستمر محتفظًا بها ومخفيًا إياها طيلة تلك المدة، حتى أثناء فترة حبسه في (بوزان)، أخفاها بين طيات سرواله الداخلي!

شكره العراف توفا، ليأخذ منه الرسالة التي تدل على صدق حديثه، عارضًا إياها على كافة زعماء القبائل، ليجدوها قد ذيلت بتوقيع ملوك (زاندو) الراحلين وأختامهم، ليثبت هذا الخطاب صدق حديث أندرو، وصدق نبوءتهم بأن يصل أبنائهم إلى المختار الذي سيقودهم نحو المصير المحتوم.

بدت دلالات التصديق والإيمان بالنبوءة على وجوه قادة القبائل، بينما بعضهم بدا عليه القلق، ليقطع السيد إيكابي تلك الهمهمات محدثًا إياهم:

«أيها السادة، اعتقد أننا الآن أمام واقع حقيقي، نبوءة

قديمة لنا بانهيار أرضنا الأم في (زاندو)، وها هي الخيانة تدب في أوصالها، لتسقط أرضها بين أيادي الملاعين، وحفنة من المرتزقة ليسطوا على أرضها وعلى خيراتها، أخبرتنا نبوءتنا أيضا أنه سيأتينا أمير مضطهد ليكون عونًا لنا، ونكون عونًا له في حرب الخلاص من أجل تلك الأرض، وها نحن اليوم نحمل رسالته بين أيدينا، بل إن لقائنا به قد حدث في المكان المذكور في النبوءة، (بوزان) ذاك السجن اللعين، أرى أن أسطورة الأولين قد تحققت في نبوءتهم، الآن يأتي دورنا نحن لنحقق باقي تلك النبوءة، بأن نصطف جميعا لنجدة (زاندو) أرضنا الأم، وأن نعود من جديد كأبناء مخلصين لها»

ازدادت حماسة الجميع مع وقع تلك الكلمات التي ألقها الزعيم إيكابي على مسامعهم، ليبدي بعضهم موافقته على الفور للغدو نحو مستقبله المحتوم، ويبدأ البعض الآخر في النقاش، تكاثرت الأسئلة عن أرض (زاندو) وأحوالها، وتوالت الإجابات من أندرو تغطي كافة الأسئلة، وحده زعيم قبيلة النوماكي من ظل صامتًا حتى أنهى الجميع استفساراتهم، ليأخذ دوره في الحديث:

«أيها السادة، إخواني زعماء القبائل, لن أقول أني أشكك في صدق النبوءة، أو في صدق كل ما حدث اليوم، أو حتى

في هوية السيد أندرو، بل أصدق كل هذا وأؤمن به، لكن لي سؤالًا واحدًا، ماذا سنجني نحن بعد انتهاء كل هذا، وبعد نهاية تلك الحرب، ما هي الفائدة التي ستعم على أبناء قبائلنا ورعيتنا؟، اسمحوا لي, العودة لـ (زاندو) وحدها ليست كافية، كما أن العودة بتلك الطريقة ستكلفنا الكثير، فنحن مقدمون على حرب شعواء وليست نزهة بسيطة، فهل يستطيع السيد أندرو أن يجيبنا على هذه النقطة؟»

توجهت الأنظار نحو أندرو الذي بدا عليه الثبات، يعلو وجهه ابتسامة لطيفة تبث روح الطمأنينة في قلوب الجميع.

: «فائق احترامي وتحياتي لك سيد بيرشا، فأنا لا أرى في حديثك إلا عين العقل، فليس من المنطق أو العقل أن تخوضوا جميعًا حربًا شعواء كما ذكرت، لمجرد نبوءة قديمة توارثها الأجداد جيلًا بعد جيل حتى استقرت لديكم، فالمنطق دائمًا في مجال الحروب يقول أن لكل حرب غنيمتها، فما هي الغنيمة التي ستعود عليكم؟، صدقًا إنه السؤال الأكثر وجاهة في جلستنا هذه، لكن الحقيقة أن الإجابة ليست لدي بل هي لديكم أنتم، هل تحقيق حلم الآباء والأجداد. ورفع رايتهم من جديد فوق أرضهم الأم كافيًا لهذا الأمر أم لا؟، إن كان كافيًا فهيا بنا نخوض تلك الحرب، أما

إن كان هذا السبب غير كافٍ فعلينا جميعًا أن نسأل أنفسنا، ماذا يكفي العودة من جديد, أن تخلد أسماؤنا في التاريخ، أن نحصل على إمارة صغيرة نحكمها، أن نكون من أصحاب المناصب في (زاندو) المستقبل، كل تلك طموحات مشروعة، ولا ينكرها أحد عليكم أو على غيركم، أو ربما يكون خوض تلك الحرب هو سبب آخر أن نسارع نحن لردع عدو سيدق أبْوَابنَا مستقبلًا حينما ينتهي من أهل (زاندو)، فمن يصدق أو يمتلك قناعة ولو بسيطة أن الملاعين سيكتفون بما حققوه فهو مخطئ، فهم يريدون الثأر من كل من أذاقهم الويلات في الماضي البعيد، وأسلافكم كانوا ممن أذاقوهم تلك الويلات, نعم أعلم أن (زاندو) قد تغيرت بعد الحرب العظمى، فأنتم غادرتموها نحو الجنوب، وهناك من غادر نحو الشمال، وهناك من بقي وأسسوا تلك الممالك التي سقطت الآن، لكن يبقى الجميع من أبناء تلك الأرض، يبقى مصيرهم واحد, الجميع في حرب مع الملاعين، وهنا نملك خيارين: إما أن نجمع عتادنا وأن نصطف مع من يستطيع ممن يقطنوا تلك الأرض لردع هذا الخطر، أو أن نقبع هنا ننتظر حتى يأتي لنكون أمامه فرادى, فإن كان زمن الحرب العظمى قد ولى وانتهى، فإننا الآن أمام حرب عظمى جديدة قد انتهى شقها الأول، لكن الشق الأهم لم يبدأ بعد, أما عن

إجابتي ماذا ستعطيكم أرض (زاندو)؟، فصدقًا أنا لا أعلم، فلست أنا الموعود بل هو سيدي الأمير ليدلي، لقد ذكرت لكم ما حدث من قبل، لم يترك سيدي أرضه ويغادر نحو ممالك القديسين ليطلب المدد والعون، بل عاد وواجه الأمر، نعم لم تكن بالمواجهة المتكافئة لكنه لم يهرب، حتى وإن تسرع في قرار المواجهة تلك, وجدنا أنفسنا في النهاية قابعين في قلب (بوزان) نذوق ويلات الأسر والذل والخيانة، شعرنا وكأن الدنيا بأسرها قد أظلمت، لم يعد هناك أي طاقة من أمل أو نور لأن تعود أرضنا من جديد كما كانت، لكن ما علمته أن في أحلك اللحظات تضيء زاوية من نور دائمًا، بالفعل أيها السادة, سطع نور خافت تمثل في رسل أرضكم, السيد أشوري والسيد أنتيكوس، مجرد نبوءة كانت محض خيال لم نستسغها بسهولة، لكن في النهاية توجب علينا التمسك بهذا الشعاع البسيط الذي أمدنا بالنور، من داخلنا شعرنا بالحياة تدب في أوصالنا من جديد، كنتم أنتم سر هذه الحياة، أبنائكم، نبوءتكم، حلمكم، وانصعت في النهاية إلى أمر سيدي بأن أكون رسوله إليكم، في كل لحظة كنت أقضيها في رحلتي مع أبنائكم, كنت أتساءل أي قوم أولئك، أي أناس ثابروا خلف حلمهم تلك العقود والقرون وهذا الدهر المديد؟، انتابني الشغف وملأني الفضول حتى أعرف عنكم،

وحقًا لا أستطيع أن أصف إليكم مدى فخري بكم، حتى وإن لم تتحقق نبوءتكم تلك، أو تخوضوا تلك الحرب، لقد كان حديث السيد إيكابي معي مدعاة للفخر، إيمان السيد توفا بما تنبأ به أسلافه مدعاة للانبهار، حتى مجلس اليوم هو فخر لم أشهد مثله من قبل إلا في مجالس ملوك (زاندو) الراحلين، حتى سؤال السيد بيرشا هو نفسه عين العقل، يجعلني أوقن أني أقف أمام رجال يعلموا جيدا ما يقوموا به، لأدرك الآن أن إيمان سيدي الأمير ليدلي بكم هو عين الصواب، فسيدي لا يؤمن بأحد إلا وجعله في مكانه الصحيح، فمكانتكم عنده إن صدق اللقاء بينكم وبينه, لن يكون لها نظير، أما ما يمكنه أن يقدمه لكم فهو أيضًا قد لا يعرف، فلا أحد منا يعلم ماذا سيكون مصير (زاندو) المقبل بعد تلك الحرب، إلا إن كان للسيد توفا رؤى مستقبلية عن ذلك»

- «هو النصر لا غير، هي أرض جديدة بأحكام جديدة، هي (زاندو) لم يشهدها أحد من قبل»

اكتفى السيد توفا بتلك الكلمات المقتضبة، ليعقب على خطاب أندرو الحماسي الذي ألقاه على مسامع الجميع، ليدعو بعدها كافة الحاضرين بأن يغادروا القاعة، وأن يبقى فقط كبير الكهنة وقادة القبائل، ليغادر كافة المرافقين لمجلسهم،

وتبدأ بعدها جلسة حامية الوطيس بين قادة وزعماء القبائل، ليتخذوا قرارهم ويحددوا مصيرهم، تعالت الأصوات ونشبت الخلافات، تزعم السيد إيكابي جبهة المؤمنين بالنبوءة وضرورة خوض تلك الحرب المقدسة، بينما تربع السيد بيرشا على قمة هرم المعارضين حتى وإن قل عددهم، سيطر القلق على تفكير أندرو، لكنه بذل كل ما بوسعه ليبدو عليه معالم الهدوء بالخارج أمام الجميع، فبداخله بدا كل شيء معرض للانهيار، أماله وطموحاته هو وسيده, بأن يهب أهل القبائل لمساعدتهم، استمر الاجتماع حتى اقتراب الشمس من المغيب، ليخرج عليهم القادة ويتقدمهم كبير الكهنة والعراف توفا والذي توجه إليهم بالحديث، مخبرًا كافة الحضور أن موعدهم سيكون في صبيحة اليوم الثالث، لتبدأ كافة جيوشهم في زحفهم المقدس.



2

ليلةُ واحدة كانت حاسمةً، قلبت كفة المعركة رأسًا على عقب، رجال قد آمنوا بوطنهم قدموا كل ما لديهم، أعدوا عدتَهم جيدًا للمعركة، ليدافعوا عن قلعتهم وميناهم بكل شراسة، ليثبت أبناء الغرب أنهم مخلصون لأرضهم، لن يرضخوا أو يهلعوا ليذيقوا الملاعين هزيمتهم الأولى في أرض (زاندو)، ليتجرع دوجلاس ويلات غروره بعد أن طالته براثن الهزيمة الموجعة، فبجيشٍ جرار تولى قيادته لقي الهزيمة أمام هؤلاء القلة، حاول أن يستجمع شتاتَ نفسه، أن يعيد تنظيم ما تبقى من جيشه، بعد أن أصابته الصدمة في الأيام الماضية، ليستحضر رباطة جأشه ويخرج على رجاله ليعتلي تبةً قريبة من خيمته، صائحًا برجاله بأن يقتربوا منه، ليبدأ بعض الجنود في الالتفاف حوله، بينما هو يواصل دعواته لبقية رجاله، محاولًا بث الأمل في نفوسهم، محمسًا إياهم للاستمرار في المعركة، فهم لم يخسروا إلا جولة بينما الحرب لم تنته بعد.

بدأ الرجال يلتفون حوله تباعًا، بعضهم يسمع بإنصات وإيمان به، وبعضهم ينظر إليه بكل غلٍّ وغيظ، فقد كان هو السبب في هزيمتهم، أما البعض الآخر سخروا منه ليتركوه

غير مهتمين بما يقوله، ليبدأ صوته في الارتفاع صائحًا بهم بأن لا يولوه الأدبار، وأن يستمعوا لكلمات قائدهم، ليزداد غضبه من تجاهل أكثرية الرجال، ويزداد صياحه على الجميع، موجهًا بعض السباب لمن تركوه.

بدا أنه مقبل على نوبة من الغضب والجنون، فتقدم بعض من قادة الكتائب والسرايا طالبين منه الهدوء، وأن يعود إلى خيمته مرة أخرى، فهو ليس مسموحًا له بالحديث الآن.

- «من أنتم حتى تمنعوني، أنا هو قائدُ هذا الجيش بأمر من حكمائنا وفي معية السيد, لا تنسوا رتبكم العسكرية، فلا يمكنكم أن توقفوني أو تجعلوني أصمت!»

- «سيد دوجلاس رجاءً اهدأ، وعد إلى خيمتك, أنت تعلم القواعد أكثر منا»

- «عن أي قواعد تتحدث يا هذا؟!»

- «قواعد الهزيمة يا سيدي»

- «لا تقولوا هزيمة، لم نهزم بعد، إنها مجردُ جولة، ما زال أمامنا الفرصة لننتصر عليهم!»

فقد دوجلاس صوابَه بشكل كامل، ليبدأ في الهجوم على هؤلاء الضباط، فحاولوا كبح جماحه، قبل أن ينقضوا عليه

ويقيدونه، قبل أن يقترب أعلاهم رتبة منه صائحًا به:

«عليك أن تهدأ سيد دوجلاس ، أنت تعرف قوانين (السيد) ، القائد الذي يهزم يقتل، ونحن للآن لم ننفذ الأمر احترامًا لك، لكن بعد ما حدث؛ سيتم تقييدك وحبسك إلى أن يصل الإمداد القادم إلينا، ليرى القائد الجديد ماذا سيفعل بك»

ازداد صياح وسباب دوجلاس، بينما يقتاده الرجال نحو سجنه الجديد، ليعتلي هذا الضابط موضعه صائحًا بالرجال:

«أيها الرفاق، جميعكم تعلمون القوانين، من هذه اللحظة السيد دوجلاس ليس قائدًا لهذا الجيش، سننظم أنفسنا من جديد، ونلملم شتاتنا إلى أن يصل إلينا الإمداد، ونرى ماذا سيفعل قائدنا الجديد، لكن عندما يأتي يجب أن يرانا مستعدين لخوض المعركة»

اختلفت المشاعر وردود الأفعال بين الجند، ما بين مؤيدٍ ومعارض في صمت، ومن سيطر الخوف والمجهول عليه، فتلك هي هزيمتهم الأولى، والتي كانت مريرة وحاسمة، كما خسروا قائدهم الذي لاذ بالصمت عندما أيقن مصيره، فالآن هو في حبسه ينتظر قرار إعدامه؛ نتيجة لما تسبب فيه من هزيمة نكراء لجيوش (السيد).

***

لم يتوقف الرجال بداخل ميناء (اللؤلؤة) عن العمل، قضوا الأيام التي تلت المعركة في إزالة أثارها، بدؤوا في ترميم الأسوار الداخلية للقلعة، بعد انهيار سور الدفاع الأمامي في تلك المعركة، ليجعلوه فَخًّا محكمًا لجيش الملاعين، لتكون تلك المعركة هي نقطة انطلاق، ودافع كبير للجميع من أجل الاستمرار في الصمود والدفاع عن أرضهم، سعوا لتقوية النقاط الدفاعية في أسوار القلعة، تجهيزها بالعتاد الحربي اللازم، ليضعوا كل ما تبقى لديهم على أهبة الاستعداد. لم يذق بيدرو ورجاله طعم الراحة، فهم يعلمون جيدًا أن تلك هي البداية فقط، وأن القادم سيكون أشد عنفًا، ولا يعلمون إلى أي مدى سيصمدون. بدا الإنهاك جليًا على القادة وهم يتشاورون في خطواتهم التالية، ليعرض كل منهم ما قاموا به من تدابير دفاعية جديدة، في ظل استماع تام من القائد بيدرو، فقط يشيد بما قاموا به محمسًا إياهم حتى انتهى الجميع ليأتي دوره في الحديث:

«أيها السادة، أعلم أن الجميع قد طاله الإنهاك والتعب، فنحن للآن لم ننعم بالراحة حتى بعد تلك المعركة، وهذا لا يعبر إلا عن مدى حبكم وإخلاصكم لهذا الوطن.

من قبل كان أمامنا فرصة للاستسلام, بأن نرضخ وأن نكون طوع أولئك الملاعين، أما الآن فلا خيار سوى الحرب، خاصة بعد الهزيمة التي كبدناهم لهم، لكننا الآن أمام خيارين: إما أن نعزز دفاعاتنا ونستعد لموجة الهجوم التالية، فأولئك الملاعين بالخارج ينتظرون تنظيم صفوفهم، وربما أن يصلهم إمدادًا آخر من الجند.

أنا لا أفرض شيئًا على الجميع، فنحن هنا نتشاور فالمسؤولية مشتركة بيننا... فعلينا الآن أن نضع خطتنا التالية، إما أن نتبع معهم نظام الكر والفر لنشتت صفوفهم أكثر، أو أن ننتظر مصيرنا جميعًا»

لم تكن كلمات بيدرو عشوائية، بل سعى لانتقاء التوقيت المناسب، ليضع أمام الجميع خيار الهجوم بأسلوب الكر والفر، لينفض الجميع عن أذهانهم وأجسادهم ما حل بهم من تعبٍ وإنهاك، ليبدؤوا جولة جديدة من التخطيط والنقاش، ليكون براجوس أول المرحبين بأسلوب الكر والفر، فقد كانت تلك هي فكرته من البداية، ليضعوا كل تصوراتهم لكلا الأمرين, إما الصمود، فهم بالفعل يجهزون مدينتهم لذلك، فلن يحيدوا عن خطتهم تلك، لكن الهجمات يجب أن تكون مدروسة ومباغتة، ليخلص الجميع لوضع خطة سريعة

ومحكمة لإحداث تلك الهجمات، اعتمدت على أن يكون الليل هو غطاؤهم فيه.

تقدم براجوس ونحو الخمسمائة فارس، استعدوا ما أن انتصف الليل، وأحكم قبضته على الأجواء للقيام بهجمتهم الأولى، ليخرجوا جماعات متفرقين من بوابات المدينة المختلفة في عشر فرق، كل فريق قد تألف من خمسين فارسًا, تقدموا بمنتهى الهدوء إلى أقرب النقاط من جيش الملاعين، كانت التعليمات واضحة، هذه الهجمة ليست للاشتباك المباشر، بل ينبغي عليهم استهداف الخيام ومخازن السلاح القريبة، ليبدأ بعض الرجال بالتسلل من أقرب الأماكن، ليضعوا هناك قدورًا من الزيت القابل للاشتعال، وعادوا أدراجهم وهم يسحبون فتيلًا من تلك القدور، استغلوا غفلة الملاعين فلا قائد لهم الآن، ولا يوجد أي ترتيب بين صفوفهم، لكنهم اتخذوا حذرهم الكامل، ليأتي الموعد المحدد، ليطلق براجوس سهمًا مشتعلًا في السماء رآه قادة الفرق، ليقوموا سريعًا بإشعال الفتائل التى انطلقت سريعا نحو قدورها التي لم تتحمل النيران، لتحدث ما يشبه الانفجار الناري، لتبدأ النيران بالتقاط كل ما يقترب منها وتقضي عليه، لتبدأ الموجة الثانية من الهجوم، ويقوم الرجال جميعًا بإطلاق وابل من السهام على دفعات متتالية،

يضربون بها معسكر الملاعين، ويعودون منسحبين بعدها سريعًا، لكن الانسحاب لم يكن بتلك السهولة أو السذاجة، فقد انبرت فرقة من القناطير تهاجمهم، ساعيةً لحصد أرواحهم, ليظهر بعد ذلك جزء جديد من الخطة، فقد ظهرت السفن الحربية لأبناء الغرب للعيان، في أقرب نقطة من الشاطئ، تفتح نيرانها من المقاليع والمنجنيق المشتعل، تضرب به أقصى نقطة ممكنة، لتطول جيش الملاعين بعد أن اطمأنوا أنهم لن يكون لهم القدر الكافي من الرجال للرد عليهم، خاصة بعد أن أبيد العمالقة والغيلان في المعركة السابقة.

سيطرت الفوضى على تنظيم جيش الملاعين، مع هجوم القطع البحرية الذي لحق بالانفجارات التي ضربت معسكرهم، ليندفع الجنود بعيدًا عن الشاطئ، محتمين بقلب المعسكر من تلك الهجمات، بينما القناطير لم يتوقفوا عن ملاحقة براجوس ورجاله، لتبدأ هنا خطوة جديدة، بأن أطلقت كافة المقاليع بداخل المدينة، ما لديها من قذائف جاهزة تضرب به جيش الملاعين، واعتلى الرماة أعلى أسوار القلعة ليطلقوا سهامهم نحو من تقدم من القناطير، واستمروا في المتابعة ليبدؤوا في حصاد أرواحهم، بينما احتمى براجوس ورجاله أسفل أسوار قلعتهم، ينتظرون من ينجو من القناطير لينقضوا عليه مسقطين إياه أرضًا.

دقائق ولحظات بسيطة، لكنها كانت كفيلة بهدم ما تبقى من جيش الملاعين على الجانب النفسي والمعنوي، حتى الخسائر المادية لم تكن بالكبيرة لكنها كانت مؤثرة، حتى أنها أثرت في نفوس وحماسة أبناء الغرب، ليكسبوا على أرض المعركة جولة أخرى أداروها باقتدار شديد، ليعود الجميع سالمين إلى داخل أسوار قلعتهم.

***

لم يكد تيري يهنأ بوصوله إلى قصر حكمه لمملكة الجنوب، حتى أخبره أخوه بافيان بما حدث في (بوزان) من اضطرابات، ومحاولة للثورة من المساجين، واستغاثة إيفان قائد السجن بهم لنجدتهم، وإرسالهم لفيلق حربي مكون من عشرة آلاف رجل، بقيادة أخوهم الأصغر روبرت لدعم موقف السجن، نظير أن يعود إليهم ومعه ولاء تام من إيفان ورجاله وبصحبته ليدلي أسيرًا.

أشاد تيري بما قام به إخوانه، فقد أسعده هذا الخبر، ليعوض به ما خسره من أرض من ملكه، نتيجةً للاتفاقية التي وقعها مع الأمير فيليب أمير قلعة (بنتلي)، ليقص على إخوته ما حدث، مخبر إياهم أنهم لم يمتلكوا أي خيار آخر لكسب ود آل بنتلي، فهم ليسوا على استعداد لخوض

أي حرب أخرى الآن تثير العامة عليهم، خاصة أن اعتراف آل بنتلي بحكمهم الجديد، يعد مكسبًا دِبْلُومَاسِيًّا للجميع، ليختتم حديثه بالوعود التي تلقاها من أتريموس، بأن يحصلوا على ما فقدوه من أرض من قلب مملكة الغرب، حين يحكم الملاعين قبضتهم عليها. لم ينته الليل حتى سمع تيري تلك الطرقات على أبواب جناحه الملكي، ليوقظوه من نومه عقب رحلة شاقة، غادر فراشه بجوار زوجته وهو يسعى لأن يصب ويلات الغضب والعذاب على من تجرأ وفعل ذلك، ليفتح الباب على مصراعيه وعلى وجهه آيات الغضب، ليجد أخاه بافيان يقف مطأطأً الرأس، يعتذر إليه أنه أيقظه في هذا الوقت، لكن الأمر عاجل ولا يتحمل الانتظار حتى الصباح. عاجل تيري بتبديل ملابسه، ليتوجه رفقة أخيه إلى قاعة الحكم، وهو يسمع أخبار الكارثة التي قد حلت في (بوزان)، ليجد هناك ثلاثة جنود بدا عليهم إنهاك السفر، ليحيوا الملك وهم مرتعدون، ليطلب منهم تيري بأن يخبروه سريعًا بما حدث، ليتقدم أحد الجنود مرتجفًا مترددًا في الحديث، وأخذ يقص ما حدث، وكيف نصب لهم الفخ في قلعة (بوزان) بعدما سيطر عليها المساجين. لم يتمالك تيري نفسه من الغضب, وصاح في رجاله, ثم استل سيف أحد الحرس بجواره وأطاح برأس الجنود العائدين من (بوزان)

: «هذا هو جزاء أي جندي يهرب من المعركة، أتتركون قائدكم وتعودون؟, بافيان، ليستعد الجيش لدك تلك القلعة وسأقود أنا المعركة بنفسي!»

لم يكن تيري قد ثبت أركان ملكه بعد، ليأتي بخسارة أولى باتفاقية مع آل بنتلي، والآن تأتي هزيمة عسكرية لرجاله أمام حفنة من المساجين، راودته الشكوك بشأن تلك الواقعة، فإن انتشر الخبر ستهتز صورته، لذا فعليهم أن يردعوا هذا التمرد سريعًا، ليعود من جديد كقائد للجيش يقود تلك المعركة، وهو يعلم جيدًا أن هناك أمير آخر بالانتظار، فحتى وإن لم يأتِه الخبر اليقين، فهو يؤمن بداخله أن ليدلي هو من يقف خلف هذا التمرد ويحكم تلك القلعة الآن.

***

رغم عودته في قطع متأخر من الليل، بعد رحلة شاقة قطعها من مدينة (الشمس)، لكن لم يركن الأمير فيليب للراحة، وعقد اجتماع سريع مع الحكيم توساني، وأخيه لويس، والحكيم كولن، والقائد جراكوس، ووزير إمارته السيد نيكولاس، ليظلوا جميعًا مستمعين لما رواه لهم، وما حدث في رحلته نحو مدينة (الشمس)، ويقص عليهم كل كبيرة وصغيرة قد صادفته في رحلته، من لقائه بخونة (زاندو)،

وما عقده معهم من اتفاق بضم بعض الأراضي إلى إمارته حسبما نصحه الحكيم توساني، ليظهر لهم كطامع هو الآخر في هذه الأرض، وإرث الملوك الراحلين، مرورًا بلقاء زوجته بالأميرة كاترينا، وكيف تمكنت من التواصل معها، والتأكد من أنها لم تترك ثأر أبيها وانضمامها لهم، كما تطرق للقائه بآل روز، وكسب ولائهم أيضًا، ليكونوا عونًا لهم في مدينة (الشمس)، وترك الخبر الأهم إلى نهاية حديثه، ليخبرهم أن الأمير ليدلي يتواجد سجينًا في سجن (بوزان)، بعدما فدته الأميرة كاترينا بقبولها ذاك الزواج، نظير أن يبقى أخوها حَيًّا، حتى وإن كان سجينًا، لينبري جراكوس للحديث:

«سمو الأمير فيليب، سيدي الحكيم توساني، أيها السادة، اسمحوا لي أن أنطلق أنا ورجالي لنذهب نحو سجن (بوزان) ، ونحرر الأمير ليدلي من هناك، فأنا أعرف كل ثغرات ذاك السجن جيدًا، كما أنه كان لي صداقة قديمة بقائد السجن السيد إيفان»

- «قد يكون هذا الخيار متاحًا في الفترة المقبلة جراكوس، فوجود الأمير ليدلي أمر حتمي وضروري الآن، فهو أمين سر أرض (زاندو)، والوريث الشرعي الناجي من ملوك (زاندو) السابقين، لكن يجب أن نتدبر الأمر جيدًا قبل القيام به»

: «أيها السادة، اسمحوا لي، سمو الأمير فيليب، هل في خضم كل تلك الأحداث، ورد ذكر الحكيم توساني، أو بحثهم عن موقعه ومكانه؟، فلتسمحوا لي أيها السادة، إن كان أولئك الغوغاء من يحكمون (زاندو) الآن، لا يفكرون في أن يبحثوا عن رجل بمكانة السيد توساني، فهم بهم من الغباء الكثير، فلتسمح لي سيد توساني، فأنت خزنة أسرار (زاندو)، وحافظ عهدها، ومالك مفاتيح عروشها بما تقتنيه، وبما لك من مقام ومكانة»

أنصت الجميع جيدًا لحديث المستشار كولن، الذي لفت نظر الجميع لتلك النقطة، وهو أمر الحكيم توساني، هل تناسوه في خضم فرحتهم باغتصابهم لأرض (زاندو)؟.

تعلقت الأنظار بالأمير فيليب، فهو من يمتلك الجواب عن تلك الأسئلة.

: «للأسف سيد كولن، لقد أعددت في رأسي العديد من الإجابات المحتملة، لكل سؤال قد يطرح علي عن رؤيا الحكيم توساني، أو رؤيتكم، لكن ما حدث أن كل تلك الإجابات قد ذهبت أدراج الرياح، فلم يرد ذكر الأمر تمامًا أمامي، لا أعلم إن كان هذا عن عمد منهم، أو ربما يكون أنهم اعتبروا الحكيم توساني قد انتهى من الوجود»

- «إنه لأمر جيد أنهم تناسوا وجودنا سمو الأمير فيليب، لكن دعونا نعبر تلك النقطة الآن، أتمنى أن توافق عزيزنا جراكوس على اقتراحه، بأن تعطي له الإذن بالتحرك رفقة رجاله نحو (بوزان)، لكن لن يذهب لتحرير الأمير ليدلي، بل سيذهب من أجل تحري مدى مصداقية الخبر، فربما يكون أتريموس قد راوغ الجميع بإعلانه وجود الأمير ليدلي في (بوزان)، وفعل شيء آخر في الخفاء»

أثنى الجميع على حديث الحكيم توساني، ليعطي الأمير فيليب الموافقة، ليبدأ جراكوس سريعًا في تجهيز رجاله من أجل تلك الرحلة، ليستعدوا بالتحرك مع أشعة الشمس الأولى نحو (بوزان)، في رحلة قدرت بمسيرة الأيام الثلاث، إن تحركوا بمنتهى السرعة ودون أي توقف.

بدا أن هذا الاجتماع قد أوشك على النهاية، ليستعد الجميع للمغادرة إلا الحكيم توساني الذي أوقف الأمير فيليب:

«سمو الأمير فيليب ، أعلم أنك منهك للغاية من عناء تلك الرحلة، وإن الليل قد أوشك على الانتهاء، لكن اسمح لي أن أنفرد بك لبعض الوقت، فهناك أمر خاص وعاجل لا يتحمل التأخير»

وافق الأمير فيليب على الفور، ليشير للجميع بالذهاب،

بينما توجه هو والحكيم توساني بمفردهما إلى إحدى غرف ديوانه الخاصة. ليحكم إغلاقها عليهم ليستمع بكل إنصات.

: «سمو الأمير، أعلم أن كل ما سأقصه عليك الآن هو ضرب من ضروب الخيال، لكن عليك أن تتحلى بالهدوء والصبر، وأن لا تحكم على ما أقوله إلا في نهاية حديثي عندما تفكر فيه مَلِيًّا، فقد يكون في هذا خلاصنا جميعا وخلاص (زاندو)»

زادت تلك الكلمات من حماسة الأمير فيليب، لمعرفة ما يخبئه الحكيم توساني، فهو يحمل أحد الأسرار التي قد تنجد (زاندو) مما هي فيه، حتى وإن كان ما سيرويه له هو أمر غير منطقي، أو فيه ضرب من ضروب الخيال والجنون، ليبدأ الحكيم توساني في سرد سره الأعظم، الذي خبأه بين جنباته لسنوات عدة قد مضت.

***

مهما كانت براعتك في المراوغة، فسيأتي الوقت الذي تنفذ لديك فيه كل حيلك التقليدية، كان هذا حال كاترينا، لم تكن تعلم ماذا تفعل، الأيام تمر بها، لم يعد لديها أي جديد تقنع به أتريموس بالابتعاد عنها، فهي لم تكن مخادعة من قبل، فقط كان يمكنها مراوغة قلب أندرو لتشعر بدلاله وحبه لها،

لكنها الآن أمام شخص آخر، قضى على عائلتها جميعًا بين قتيل وأسير، وقاد خونة (زاندو) للسيطرة على أرضها، فهل لا يمكنه أن يظفر بها، حاولت أن تعصر ذهنها جيدًا حتى تجد حجة جديدة، تبعده بها عنها لليلة أخرى، لكنها حقا كانت الليلة الخاطئة، فقد أوى أتريموس إليها وهو في قمة غضبه، فالجميع يسعى لنيل نصيبه من الغنيمة التي سيطروا عليها، كل نبلاء آل نيكلسين أصبحوا مسعورين للسلطة، الجميع قدم له المساعدة من قبل، والآن بعد أن هدأت الأمور في مملكته وأحكم سيطرته عليها، بل وتزوج من سليلة ملوكها السابقين، تعالت أفواههم يطالبون بمناصب ترضية لهم.

لم تكن جلسته رفقة كلاوديو أبهج ما يكون، فقد أخبره كلاوديو بكل تلك المطامع. وأخبره أنه يجب عليهم أن يرضوهم ولو قليلًا ، فإن تجاهلوهم سيثورون عليهم، وهم ليسوا في حاجة لذلك، بينما أتريموس هو الآخر لا يريد أن يوافق على الأمر بكل سهولة، فإن تم الأمر ورضخ لهم ستزداد مطامعهم مستقبلا، لكنه في النهاية لم يكن أمامه إلا أن يتجنب تلك العاصفة، وأن يعطيهم ما يريدون، ليتفق مع كلاوديو على أن يوزعوا أهم المناصب على أكثر الموثوقين منهم، كمهام الجيش والخزانة والحرس الملكي، نزولًا في الدرجات, بل إن كلاوديو أقترح شيئا آخر، أن يعطوهم

إمارات شرفية، وأن ينصبونهم حكامًا على الثغور البعيدة عن مدينة (الشمس)، ليكونوا عيونهم هناك، وأن يحكموا السيطرة عليها، فلم يلق الاقتراح إعجاب أتريموس، فهو الآن يمنحهم سلطة بعيدة عن عينيه، لكن طرق كلاوديو في الإقناع لم تكن بالضعيفة، فأخذ يسوق أمامه مبررات هذا الاقتراح وفوائده، فسيجعل هذا منهم درعًا أَوَّلِيًّا للدفاع عن المملكة، من أي خطر يأتي من أطرافها، وسيبعدهم عن ساحة القرار في مدينة (الشمس)، كما أنه جهز أيضًا كل الأسباب التي سيقدمها لهم، ليوافقوا على توسعة نفوذ كامل لهم هناك، مع حصولهم على نسبة من الضرائب التي سيحصلونها لهم شَخْصِيًّا، وأن يكون جزء منها للبلدان التي سيحكمونها لتيسير أمورها، والجزء الآخر سيكون خاصًا بخزانة المملكة.

لم يبد أتريموس مقتنعًا تمامًا، لكنه كان يثق في حنكة وقدرة كلاوديو على التخطيط، كما أنه لا يشك مطلقًا في ولائه له، فهو مستشاره الأول ورجله المقرب، فرضخ في النهاية لتلك الاقتراحات.

تملك الغضب أتريموس نتاج جل هذا الزخم من الأحداث، لم يكن متمالكًا لأعصابه، ولم يرَ أمامه إلا كاترينا، أراد أن يفرغ كامل غضبه بأن ينال الراحة بين أحضانها، بعد أن

ظن أن كل أعذارها قد انتهت، ليجدها تراوغه من جديد، ليخرج كامل ثورته عليها، يكيل لها اللطمات والضربات، حتى سقطت على الفراش مَغْشِيًا عليها، فزاد جنونه وتملكته الشهوة، ليصبح ذئبًا بَشَرِيًا متعطشًا لتذوق طعم فريسته، فقد خارت قواها كاملةً، لينقض عليها ممزقًا ملابسها وهي غير مدركة لما يحدث، لينزع ملابسه عنه، معتليها رغمًا عنها, يروى ظمؤه من رحيق جمالها، لتتملكه نشوة عارمة، فلم يكن يشعر أنه يضاجعها، بل كان يضاجع آخر إرث لآل فيرجسون، ليعلن نفسه ملكًا حَقِيقِيًا على إرثهم في مملكة الوسط، ويفرغ كامل غضبه وشهوته للسلطة والنساء، ويطلق العنان لشياطينه ليعبث بجسدها، ليفرغ كامل طاقته بداخلها، غير مبالٍ بحالتها الرثة، ليسقط بجوارها منتشيًا، ولتخور قواه في نوم عميق.

فقط الألم والكدمات هي ما شعرت بها كاترينا، بدأ وعيها يعود إليها شيئًا فشيئًا، لم تكن تدرك ما حل بها، لتبدأ في إدراك ما حل بها، فقد جردت من ملابسها بوحشية، ليتبعها تجريدها من عذرتيها، لترى بجوارها هذا الوحش الذي اعتدى عليها ملقيًا خائر القوى، حالة من الهياج انتابتها، ليلمع في عينيها خنجر أتريموس الذي رماه غير مكترث بجوار فراشهما، لتذهب في عجالة وهي تلملم شتات نفسها لتمسكه

بأيد مرتعشة، لتعود محاولة طعن أتريموس حتى ترديه قتيلًا ، لتثأر لنفسها ولأبيها ولأخيها، ولكل نفس طاهرة قد أزهقت في أرض (زاندو)، نتيجة فعلة هذا الخسيس ورفاقه، لترفع يدها عاليًا منقضة عليه، لكنها فوجئت به يباغتها ويمسك يدها من معصمها، مطيحًا بها بعيدًا، ليكيل لها صفعة تطرحها على فراشها... ويعتليها محكمًا قبطته عليها صارخًا في وجهها:

«يبدو أن ليني معكِ في الفترة الماضية قد جعلك تتناسي من أكون أيتها الغرة... فأنا ملك (زاندو)، وأنتِ مجرد ساقطة من نسل آل فيرجيسون، أنتِ هنا فقط لتعطيني شيئًا من الوقار والشرعية، لكن يبدوا أنني تناسيت أنك من نسلٍ قذرٍ مغتصب!»

أنهى كلماته لينهال عليها باللكمات والضربات ليغشى عليها مجددًا، قبل أن يقوم ويرتدى ملابسه ويغادر جناحها، ويأمر حرس الجناح بمنعها من الخروج، وأن لا يدخل إليها إلا خادمة بعينها سماها لهم لترعاها.

3

بؤرة الأحداث، تلك هي النقطة التي سعى آل بنتلي دائمًا أن يبتعدوا عنها، لم يسعوا طيلة تاريخهم لكسب أي عداوات، فقد حرصوا على الود والعلاقات الطيبة مع ممالك (زاندو) الخمس، مكتفين بما حصلوا عليه من إمارة مستقلة وتكريم لهم، لكن الأحداث الآن هي من تنتقل إليهم، فقد أصبح الأمير فيليب في قلب الحدث منذ وافق على استضافة الحكيم توساني ورفقته، ليدخل في مغامرة شديدة الخطورة من أجل إنقاذ (زاندو) كنوع من العرفان لملوك (زاندو) السابقين، لكن كل ما مروا به في تلك الفترة، وحتى معرفتهم بموقع الأمير ليدلي، وسعيهم لإنقاذه من خلال جراكوس ورجاله، في مغامرة أخرى غير محسوبة قد تطيح بهم جميعًا، لكن جل هذا أصبح نقطة في بحر من الخيال بعدما سمع ما رواه له الحكيم توساني ليفرغ إليه سره الأهم، ليصاب عقل الأمير فيليب بنوع من الذهول، أخذ يجول مرات ومرات بداخل تلك الحجرة، وهو يطلب من الحكيم توساني أن يعيد على مسامعه الحديث مرة أخرى، ليستوقفه عند كل نقطة ويسعى للتأكد منها، حاول أن يبحث في داخله عن الهدوء، لكنه لم يجد إلا الاضطراب والقلق، ليجلس أخيرًا عله يهدأ، قبل أن يناقش الحكيم توساني فيما أخبره به

- «سيد توساني، أنت تعرف قدرك لدي، وأنا أعلم قيمتك وحنكتك ومكانتك الكبيرة، لولا كل هذا لظننت أحد أمرين: إما أنك تمازحني بتلك الطرفة السخيفة، أو أنك أصبحت...»

- «أصبحت خرفًا، يا بني قُلها إن شئت، لكن الحقيقة أنى لست هذا أو ذاك، بل إن ما أرويه لك هو الحقيقة الكاملة، وإليك هذا ما يثبت صدق ما أقوله إن أردت التصديق»

أخرج الحكيم توساني قطعة قديمة من الورق من بين طيات ملابسه، ليضعها أمام الأمير فيليب، ليمسكها بعناية شديدة فقد بدا أن أثار الزمن قد عبثت بها، سعى ليقرأ كل ما فيها من كلمات، لعيد قراءتها مرة تلو أخرى، وهو يخطف النظرات على وجه الحكيم توساني الجامد، والذي ينتظر رد الأمير فيليب عليه.

- «حقيقةً لا أعلم ما كل هذا سيد توساني، لم أكن أعتقد أنني سأواجه سِرًّا كهذا طيلة حياتي، ولا أعلم كيف سنتعامل معه، وكيف سيتقبله أهل (زاندو)؟، فحتى إن تقبلته أنا أو وافقت عليه، الجميع قد يرانا خونة لأرضنا، تلك المجازفة حتى وإن كان فيها طوق للنجاة، هي ضرب من الجنون، والأهم من هذا, كيف احتفظت بهذا الأمر على كاهلك وحدك سيد توساني؟!»

- «إني اعذرك يا سيدي، فلقد ظللت طيلة حياتي أكتم هذا الأمر بين جنباتي ، فهذا هو قدري، وتلك هي مهمتي التي أيقنتها منذ كنت في ريعان شبابي، لكن هناك شخص واحد شاركته هذا السر، إنه الملك الراحل شيرار»

- «ماذا؟! أتقول أن الملك الراحل شيرار كان يعلم بهذا السر؟»

- «هذا هو الواقع، وتلك هي الحقيقة»

أخرج الحكيم توساني قطعة أخرى لكنها حديثة بعض الشيء, ليضعها أمام الأمير فيليب، فقد كانت مقفلة بختم الاتحاد، فض الرسالة ووجدها تؤكد محتوى ما قاله الحكيم توساني، بل ذيلت بختم وتوقيع الملك شيرار الراحل، ليعطي الإذن باستخدام هذا السر الأزلي في حال سقطت (زاندو) بين أيدي الملاعين.

لم يجد الحكيم توساني بُدًّ من عودته إلى ذاك اليوم في قلعة الاتحاد، حين اجتمع ملوك (زاندو) وجيوشهم لمواجهة الملاعين، ووصول رسلهم المتغطرسين، ذاك اليوم الذي كان فارقًا، لكنه تذكر جزء خاص في ذلك اليوم، حين اجتمع مساءً بشكل شخصي مع الملك شيرار.

- «خيرًا يا سيدي, لقد أخبروني أنك تريد اللقاء بي»

- «اجلس يا عزيزي, أنت تعلم أننا مقبلون على حرب لا نعلم إلى أي مدى ستكون عواقبها، وأنا الآن أضع بين يديك أمانة إنقاذ (زاندو)»

- «مولاي، لِمَ كل هذا القلق؟، جيوشنا قادرة على الظفر بهم، وستعودون إلينا مظفرين بالنصر، سنعيد مملكة الشمال إلى سابق عهدها من جديد»

- «اسمع يا عزيزي، أتذكر تلك النبوءة التي أخبرتني بها منذ سنوات, وذاك السر الذي أمنتني عليه؟»

- «مولاي, إني أقدر ثقتك بي، وإيمانك بأني هنا من أجل تلبية كل ما هو في مصلحة (زاندو) وأهلها»

- «أعلم هذا، فأنت هنا منذ عقود ثلاث قد توليت هذا المنصب، تبذل كل ما في وسعك من أجل ممالكنا، ومن قبلها فعلت الكثير، لذا عزيزي توساني، إليك هذا المرسوم الخاص منى قد ذيلته بتوقيعي وختمي الملكي، إني أوصيك إن سقطنا في تلك المعركة, فلتقم بكل ما بوسعك لإنقاذ (زاندو)، حتى وإن كانت تلك النبوءة، فقد أعطيتك الإذن بذلك»

روى الحكيم توساني جل ما بداخله من أسرار إلى الأمير

فيليب، كما وضع أمامه هذا التخويل الموقع من الملك شيرار، ليكون سندًا لهم في تحركهم على هذا النحو.

- «اعذرني سيد توساني، لِمَ لم تخبرني بهذا الأمر منذ البداية؟»

- «كنت انتظر التأكيد يا سيدي، إن كان هذا الأمر سيحدث أم لا, وأنا أكاد أجزم أن هذا الأمر في طريقه للحدوث، سيدي أعلم أن الأمر ليس بالهين، لكن لا سبيل آخر لنا، فكل السبل المطروحة هي على تلك الشاكلة، ولن يكون هذا هو السبيل الوحيد، فتلك نبوءة قديمة متشعبة الأطراف»

***

في البدء كان تقدم الأسطول الخاص بجيش الجليد بطيئًا للغاية، فقد كان عليهم أن يقطعوا مسافة ليست بالقليلة في المياه المتجمدة، ظلت الرحلة بطيئة في أيامها الأولى، لكن مع إشراقة يوم جديد، بدت الشمس ساطعة أمام الجميع لا تحجبها السحب، كما قلت حدة الكتل الجليدية التي تعيق تقدمهم في المياه.

لم تتأخر الملكة إلينا في أن تعتلي منصة سفينتها الملكية، لتشاهد هذا التقدم الجديد في رحلتهم، رافقها عمها جورج

مستشار المملكة الأول، وكذلك وزير المملكة الأول السيد دوراتي، لتتساءل الملكة إلينا عن مدى طول رحلتهم وقصرها، ومتى يتوقعون الوصول إلى أرض (زاندو)، ليجيبها الوزير دوراتي عن سؤالها:

«حسب ملاحينا يا مولاتي، فإننا الآن نغادر حدود مملكتنا، وندخل إلى السواحل قرابة أرض الملاعين، وحسب رؤيتهم قد يقتضي الأمر نحو خمس أيام على الأكثر قبل أن نصل نحو أرض (زاندو)، وتحديدًا قرابة سواحل مملكة الشرق»

- «وأين ستكون وجهتنا الأولى، وأي ميناء سنتوجه إليه؟»

- «هذا لم يحدد بعد يا مولاتي، فمن الآن ستتقدم بعض سفن الاستطلاع لمراقبة المجال البحري، لرؤية إن كان هناك تحركات بحرية محتملة، فمن الوارد أن يكون لنا معركة بحرية قبل التقدم نحو الساحل الخاص بهم، وهذا أيضًا سيحدده لنا كبار مجلس السحر الأعلى»

- «حسنا سيد دوراتي، أرى أنكم ألممتم بكل الأمور، وهذا عهدي بك وبكامل قادة المملكة، وأتمنى أن تخبروني فور حدوث أي متغيرات على الفور»

حياها الوزير دوراتي، مغادرًا إياها ليذهب نحو رجاله،

لتطالع الملكة إلينا هذه السماء الصافية والشمس الساطعة، هذا الأمر الذي كان قليل الحدوث، أو ربما نادر في سنوات عديدة في مملكة الجليد، مستمتعة بأشعة الشمس الدافئة، لتشعر بيد عمها الحكيم جورج يربت على كتفها لتلتفت إليه سريعًا.

: «الآن يا بنيتي، أنتِ تكتبين تاريخًا جديدًا لشعبك ومملكتك، فللمرة الأولى منذ أستوطن أسلافنا تلك الأرض، يخرج جيشنا نحو الجنوب، بل ويترأس هذا الحشد الهائل ملكة الجليد بنفسها، الآن نحن نبتعد عن وطن عهدناه، لكننا نقترب من وطن تربينا على حبه، حتى وإن لم نقطنه من قبل»

- «ما الذي تريد أن تخبرني به يا عماه، أتريد أن ترهبني أم تحمسني؟»

- «بل أريد أن أنصحك يا بنيتي، فنحن مقبلون على أرض مشتعلة، على أناس قد يروننا أعداء لهم، ومنهم من قد يروننا سبيل النجاة الأول لهم, لذا أنصحكِ أولًا أن تحافظي على شعبك، هؤلاء المقاتلون الذين وثقوا بك وبقرارك، وخرجوا جميعًا تحت إمرتك، وهم مستعدون لبذل الغالي والنفيس، والتضحية بأنفسهم من أجل إعلاء رايتك خفاقة،

لا تستخدميهم أداة لترهيب أهل هذه الأرض، بل اجعليهم طوق النجاة لهم، اجمعي معهم أهل (زاندو)، ليكونوا جميعًا تحت رايتك، مقاتلين من أجل الحق»

***

وحدها الفوضى هي ما بدت أمام هذا الجيش الجرار المتقدم نحو ميناء (اللؤلؤة)، بدت مؤخرة جيش الملاعين بحالة يرثى لها، ظن القائد أرجان قائد هذا الجيش المساعد، أنها فوضى الانتصار، لكنه أخذ هذا ذريعة ليعنف قادة الجيش المنتصر، خاصة أنه من الأوراك، جنود (السيد) الأوفياء، لكن سرايا الاستطلاع عادت إليه لتخبره أن هذا الجيش، قد تعرض لهزيمة نكراء قضت على أكثر من نصف جنوده. لم ينتظر القائد الجديد كثيرًا، بل تقدم سريعًا رفقة خاصته من القادة والحرس الشخصي، نحو صفوف هذا الجيش المنهزم، بدا أمامه الجنود في حالة يرثى لها، ليجدهم يلتفون من حوله مستنجدين به وبالإمداد القادم معه، لكنه تقدم سريعًا نحو خيمة القيادة، ليجد مجموعة من قادة الصف الثاني والثالث للجيش, التفتوا جميعًا نحو القائد الجديد، مؤدين التحية العسكرية له وهم مطأطئ رؤوسهم، تحرك حولهم بشيء من التعالي والضيق، ليقف على رأس

الطاولة ليسألهم بغضب عما حل بهم، وكيف انهزم هذا الجيش الجرار بتلك السهولة؟

سرد القادة له ما حدث من البداية، وكل ما مروا به من جولات خلال تلك المعركة، وكيف نصب لهم المدافعون عن القلعة، كمينًا ليبيدوا نصف جيشهم في ليلة الهجوم على الميناء، بتفجيرهم للسور الأمامي للقلعة، وحرقه بمواد ملتهبة لم يروا مثلها من قبل، كما سردوا له الهجوم الذي تلا تلك المعركة، وكيف تسللوا بين صفوفهم ودمروا عدد من مخازن أسلحة الجيش، والكمين الجديد الذي نصبوه لفرسان القناطير، وإسقاطهم لعدد منهم قتلى أمام أسوار القلعة.

توالت صيحات الغضب من القائد أرجان لهؤلاء القادة, موبخًا ومعنفًا إياهم، يكيل لهم اللطمات واللكمات، قبل أن يأمر رجاله بأن يقوموا بأخذهم بعيدًا عنه, ليبدأ في تنظيم الجيش من جديد، ويأمر قادتهم بترتيب الكتائب والطلائع، وأمرهم أن يأتوا له بالقائد دوجلاس، وأكبر خمسة معاونين له في الساحة الأمامية بمواجهة الميناء.

بداخل الميناء، هرع القائد بيدرو وكافة رجاله نحو الأسوار الأمامية للقلعة، وهم يشاهدون تلك التعزيزات الجديدة، التي وصلت لدعم ما تبقى من جيش الملاعين، كتائب

جديدة من العمالقة والغيلان، يضاف إليهم فيالق من الأوراك، ليضرب الإحباط في آن واحد بكافة الموجودين خلف الأسوار، فما رأوه أمامهم من دعم، يعنى أنا كل ما قاموا به من قبل قد ذهب سدى، فهؤلاء الملاعين إن أبادوهم سيأتي غيرهم وغيرهم، ليظلوا في حلقة مفرغة، هذا إن استطاعوا في الأساس أن يصمدوا لجولة أخرى.

تقدم القائد أرجان أمام جيشه وهو يصيح بهم، محدثهم عن هدفهم الأوحد، وهو إعلاء كلمة (السيد) ورايته عالية:

«يا أبناء (السيد) الأوفياء، إننا هنا اليوم من أجل إعلاء راية سيدنا نحو عنان السماء، لا تسمحوا لأي شيء بأن يوقفكم، فـ (السيد) دائمًا معكم، كل نصر حققناه حتى الآن هو بمعية (السيد) معنا، كل تقدم كان تحت أعين سيدنا الذي لا يغفل عنا، وكل انكسار هو عائد لنا ولأنفسنا، لقادة خذلوا أنفسهم ولم يفوا بوعودهم لسيدهم، قانون (السيد) واضح لنا جميعًا، المنهزم ليس منا، الجبان ليس منا، لا تجعلوا أمامكم إلا راية (السيد) لإعلائها، هذه الأسوار أمامكم ليست منيعة على سيدنا، ولكنه جعلها درسًا لنا، ليعلمنا الجلد والصبر على تحقيق مرادنا، فقد صبرنا لقرون نحن وأسلافنا، وها نحن الآن نجني ثمار ما وعدنا به سيدنا، ما حدث للآن

هو مجرد جولة، لم يوفق فيها بعض من المتخاذلين، أودوا بحياة أبناء (السيد)، وقبل أن تبدأ جولة جديدة، علينا أن نزيل أثار هؤلاء المتخاذلين من أمامنا»

أنهى أرجان حديثه، ليقوم رجاله باقتياد القائد دوجلاس، وعدد من قادته المساعدين، نحو منصة قد أعدت سريعًا ليصعدوا بهم عليها، بدا الاستسلام عليهم جميعًا إلا دوجلاس، كان يصرخ كالمجانين، ليكمم الحرس فاه ، قبل أن يصيح فيهم القائد أرجان بأن ينفذوا عدالة (السيد) بقتلهم جميعًا، لينفذ الرجال أمره مباشرة ويقطعون رقابهم، لتتعالى بعدها صيحات الجيش كاملًا بإعلاء اسم سيدهم عاليًا.

زاد الذعر بداخل الجنود في ميناء (اللؤلؤة)، فهؤلاء الملاعين قد قتلوا قائدهم السابق بدم بارد لمجرد خسارته معركة, ليعلم الجميع أن الجحيم ينتظرهم بشوق أكثر من أي وقت مضى.

***

بدا جراكوس ورجاله، على أهبة الاستعداد لمغادرة قلعة (بنتلي)، ليقطعوا رحلتهم نحو (بوزان)، من أجل إنقاذ الأمير ليدلي، وحرص الحكيم توساني على توديعه هو ورجاله، موصيًا إياه بأن يعود سالمًا وأن لا يغامر برجاله، فعليهم أن

يكونوا حذرين للغاية، ليعده جراكوس بأنه لن يرتكب أي حماقات، واعدًا إياهم بأن يعود برفقة الأمير ليدلي، وريث عرش مدينة (الشمس)، ليتحرك هو ورجاله بمنتهى السرعة.

ركب آخر كان يتجهز للتحرك نحو (بوزان)، لكن هذه المرة كان تيري يشرف على إعداد جيشه ليقوم بتحرير أخيه، وأن يعود برأس ليدلي، ويعيد السيطرة من جديد على (بوزان)، ويثبت أركان ملكه مرة أخرى، ليقف في شرفة قصره الملكي يشاهد كل ما يحدث، ليأتيه أخوه (بافيان) يخبره بأن التجهيزات العسكرية تتم على أسرع نحو ممكن، وأنهم سيتمكنون من تجهيز جيش قوامه يتجاوز الخمسون ألف مقاتل مع حلول المساء.

- «حسنًا بافيان، عليك أن تسرع الخطى، فمع صبيحة يوم غد، أريد أن يكون هذا الجيش جاهز للزحف نحو (بوزان) ، سأقودهم أنا شَخْصِيًا، وأنت ستبقى هنا تدير شؤون البلاط الملكي، لكن لا أريد أي حماقات أخرى، فوقتها لن أخذ في الاعتبار كونك أخي حتى!»

بدت كلمات تيري حادة وحاسمة، ليمتص بافيان كلماته تلك محاولًا تهدئته، ومطمئنًا إياه أن كل شيء سيكون على أكمل وجه، متمنيًا له أن يعود غانمًا من هذه الحملة العسكرية،

وأن كل شيء سيعود من جديد تحت سيطرته في مملكة الجنوب.

***

الشرق دائمًا ما رأوا أنفسهم منبوذين، كونهم أهل الصحراء القاحلة، ولا يوجد لديهم ما يفتخرون به، حتى بحر الشرق العظيم، لا يصل بهم إلا لأرضي قاحلة على ضفته الأخرى، لم يكن كل هذا ليقف عائقًا أمام طموح كيجان ملك الشرق الجديد، الذي اجتمع سريعًا برجاله وأعوانه ومساعديه الأربعة الأوائل، ستيوارت وزير المملكة الأول، بيرس قائد الجيش الجديد، ماركوس وزير الخزانة، وفريدريك مستشاره الملكي الأول.

- «أعزائي، إننا الآن أمام متغيرات جديدة تحل على أرض (زاندو) وأرضنا، ما حدث في رحلتنا أنا وفريدريك نحو مدينة (الشمس)، لم يكن بالشيء السعيد أو الجيد، فظهور لاعب جديد على الساحة كآل بنتلي, جعلنا نقوم ببعض التنازلات، لكن هذا كان أكثر القرارات حكمة، بعد مشاورات عديدة بيني أنا وفريدريك، فذاك اللعين أتريموس، جعلنا جميعًا في موقف صعب بدعمه لطلبات آل بنتلي، لكن الآن يجب أن نستعد لحقبة جديدة»

أنصت مساعديه له بكل اهتمام، فقد أبدى كيجان لهم رؤيته المستقبلية كملكهم، لتكون قراراته صريحة وصارمة، يريد بناءَ جيش قوى لا يقدر أحد في (زاندو) على منافسته، عليهم تسخير كل موارد مملكتهم في هذا السبيل، ليقوموا بتجنيد كل الرجال الأشداء لهذا الأمر، وليجزلوا لهم العطايا والرواتب، سيجعل من الجيش خادمًا لنفسه، بأن يستعيض عن أي شيء أخر من خارجه في أوقات الأزمات، يجعلون الجبال هدفهم ليبدؤوا التعدين في كل موضع معلوم لديهم، يمكنهم استخراج موارد نفيسة منه, سيفرضون حراسة صارمة على مدن مملكتهم، بمعنى أدق سيجعلون أهلها حبيسي أرضهم, سيشرعون سريعًا في تشييد أسطول بحري كبير، أسطول يقوم بكلا المهمتين: الصيد والحرب في آن واحد، فهو لديه طموحات توسعية كبرى.

- «مولاي اسمح لي، إن كل هذا سيستنزف خزائن المملكة بأكملها، فكيف سنقوم بهذا، وأي أرض تلك التي سنتوسع فيها؟, فالشمال به الملاعين، وفي أقصى شرق البحر العظيم توجد أراضٍ قاحلة لا تفرق عن أرضنا الكثير»

استمع كيجان جيدًا إلى حديث ماركوس وزير خزانته، قبل أن ينهض من مكانه، لينهضوا جميعًا ويتجهوا نحو طاولة

عملاقة، جُسِم عليها خارطة أرض (زاندو)، ليلتفت حولها ويشير إلى موضع محدد عليها:

«هنا عزيزي ماركوس، ستكون وجهتنا، الجميع هنا سيحظى بقدر من الغنائم،

أتريموس وتيري سيحظون بغنائم من أرض الغرب، وتوزيعها على ممالكهم نتيجة اتفاقهم مع الملاعين، ونحن سنحظى بقدر ضئيل من مملكة الشمال، أما تلك الأرض فهي بقعة غَنّاءُ لا ينظر إليها أحد, سنتوسع في أقصى جنوب (زاندو)، في أرض الغجر أيها السادة»

بدا الاندهاش على كافة مساعديه، فهو يريد أن يسيطروا على أرض لم يخطوها أبناء (زاندو) من قبل، ليخبرهم كيجان أنه يفكر على المدى الطويل، بأن التوسع في تلك الأرض والسيطرة عليها، سيجعلهم محيطين بقلعة (بنتلي) من كافة الجهات، وسيكون لهم حدود جبلية وعرة مع مملكة الجنوب، كما أن تلك المنطقة حسب ما ورد إليهم منذ قديم الأزل، هي منطقة غابات ستكون عونًا لهم في توفير المحاصيل الزراعية الخاصة بهم، كما أن قاطني تلك الأرض، هم مجموعة من الغجر المنبوذين من أرض (زاندو) منذ قديم الأزل، ولن يكونوا عائقًا أمامهم لفرض سيطرتهم على

تلك الأرض، بل سيجعلونهم خدمًا وعبيدًا لهم، لإمدادهم بما يريدون من موارد.

لم يكن كيجان متسرعًا في رؤيته، بل أعطاهم القدر المطلوب لتجهيز الجيش والأسطول لخوض تلك الحرب، فهو ليس عجولًا، لكنه يخطط على المدى البعيد لإعادة هيبته من جديد.

أما عن أمر التمويل، فقد طلب من ماركوس بأن يعقد اجتماعات عاجلة مع كبار النبلاء والأغنياء في مملكة الشرق، من يثقون أنهم سيدعمون جهود المملكة من أموالهم الخاصة، نظير بعض الامتيازات التي سيحصلون عليها في تلك الأراضي الجديدة.

استمر اجتماعهم لوقت طويل، لكنهم في النهاية سعوا خلف طموحهم للتوسع في ملكهم، فقد وعدهم كيجان بامتيازات كبيرة، في حال نجاحهم في تلك المهمة وثراء كبير بانتظارهم.

***

نحو أقاصي الجنوب كان توجه كيجان ورجاله، لكن ما لم يعلموه بعد ، أن قاطني الجنوب هم من وضعوا (زاندو)

نصب أعينهم، شاهد أندرو بعينيه كيف يشرف الزعيم إيكابي بنفسه، على تجهيز المقاتلين من قبائل المنجالا، تم تجهيز السرايا العسكرية واحدة تلو الأخرى، بعضهم غادر مقر التجمع، ليبدأ أندرو بالاستفسار عن سبب رحيل بعضهم، ليوضح له أشوري أنهم يتقدمون نحو نقطة التجمع النهائية لتأمينها، وتأمين المعابر نحو مملكة الجنوب في أرض (زاندو)، ليأتي في خاطر أندرو سؤالًا آخر، هل سيعبر هؤلاء المقاتلون جميعًا تلك الجبال، كما عبرها هو ورفيقيه أشوري وأنتيكوس من قبل، بتسلق تلك الجبال الوعرة؟، لتأتيه إجابة أخرى بأن ينتظر ليرى ما سيفعله أبناء الغجر.

بدأ توافد المقاتلين من كافة القبائل وقادتهم وزعمائهم، وحدهم قبائل النوماكي هم من تخلفوا عن القدوم، فيبدو أنهم قد حسموا أمرهم بأن لا يشاركوا في تلك الحرب، ليظهر الاستياء جليًا على بعض الرجال من هذا الأمر، ليأتي التفسير واضحًا من أشوري، مخبرًا أندرو أن قبائل النوماكي هم حجر الزاوية الثاني لقبائل الغجر، فهم يشكلون وقبائل المنجالا القوى الكبرى لقبائل الغجر، كما أنهم معروفون بمهارتهم في القتال، وجسارتهم التي لا يشق لها غبار.

حاول الزعيم إيكابي أن يخفي استياءه من موقف قبائل

النوماكي، محفزًا الجميع, ليعقد اجتماعًا سريعًا رفقة زعماء باقي القبائل، ليتخذوا قرارهم بالتحرك نحو (زاندو) على وجه السرعة، فقد أخبره الجميع أنه في الصباح الباكر بحد أقصى، ستصل كامل قواتهم ورجالهم، ليعطي الأمر بتحرك سرايا المشاة سريعًا نحو نقاط الانتقال (لزاندو)، وأن يتبعهم في الصباح زعماء القبائل وبرفقتهم باقي القوات.

رغم كل جهدهم وإيمانهم، لكن ما جمعوه من رجال وعتاد، لم يكن بالقدر الكبير لمواجهة جيوش الملاعين، ومن قبلهم جيوش خونة (زاندو) أنفسهم، لكن جميع القبائل استطاعت أن تجمع قرابة الأربعين ألف مقاتل، أو ما يزيد عليهم بقليل، ليجتمع الزعيم إيكابي بعدها بأندرو مندوب الأمير الموعود.

- «سيد أندرو، اعتقد أنك تراقب ما نقوم به بكل دأب، ونحن لم نبخل بأي شيء لدينا، نعم أعلم أن كل ما قمنا بحشده من رجال ومعدات للآن، لا يكفى لتحقيق كل أمنياتكم، لكننا نؤمن بأنفسنا وبقضيتنا ونبوءتنا، ستجد الرجل منا بمائة مقاتل آخر، نحن سنكون النواة الحقيقية للأمير ليدلي، ونأمل أن يلتف حوله وحولنا أهل (زاندو)، أو من لا يزال يؤمن بحقه في تلك الأرض، لا نريد إلا أن يعم السلام، لكن لإحلال السلام مع معتدي، لا يكون هذا إلا كنت

في موقف قوة، لنردعهم بحد السيف ليأمن العامة بعد ذلك»

- «سيد إيكابي، إني أقدر مجهوداتك أنت وباقي الزعماء، وجهد جميع الرجال في قبائلكم، وما رأيته هنا من عزم وإصرار لن يضيع سدى، إني أؤمن بكل ما تؤمن به، فما زال هناك في (زاندو) من يؤمن بحقه في تلك الأرض، لكنهم ينتظرون فقط تلك الشرارة التى ستقودهم نحو الأمان، وأنتم هم شرارة (زاندو) الحقيقية»

***

بإعدامه للقادة المنهزمين، وإعلانه عن سيطرته الكاملة على جيش الملاعين، المرابط أمام ميناء (اللؤلؤة) سعى القائد أرجان لتنظيم صفوف جيشه، جعل مشاة الأوراك في المقدمة، يليهم فرسان القناطير، ليتوالى بعدهم كامل الصفوف والفيالق من كافة أبناء (السيد).

أعطى أوامره مباشرة إلى رجاله بأن تنصب المقاليع من جديد، وأن يتم قصف سور القلعة بكل قوة ودون أي توقف على مدار الساعة، بداخله تجتاحه رغبة عارمة في التقدم، واجتياح هذا السور بهجوم قوى دون أي توقف، لكن ما رواه له ضباط جيش دوجلاس، عن تلك المتفجرات الغريبة التى استخدموها في هدم السور الأمامي، وكيف أعدوا

فخًا محكمًا لجيشهم، ليسقطوهم في جحيم من النيران، لذا أحكم عقله، فلن يتقدم قبل أن يسقط هذا السور أمامه، فهو لن يقبل بوجود فخ آخر، وحتى إن أسقطوا تلك الأسوار سيكون تقدمه مدروسًا، ولتبدأ المقاليع بالعمل من جديد ودون أي توقف!

بداخل القلعة علم الجميع أن الجولة الجديدة في هذه المعركة قد بدأت، فالملاعين تقدموا للأمام, لكي تصبح أسوار القلعة في مرمى ضرباتهم، ليعقد اجتماع عاجل بين القائد بيدرو وكافة رجاله:

«أيها السادة، الآن يجب أن نحافظ على كل ما نمتلكه من عتاد ومن موارد، فنحن أمام موجة أخرى من الحصار، علينا أن نصمد حتى يعود السيد كلارك من أرض القديسين، ونأمل أن يمدنا بالمؤن والأسلحة المطلوبة لصد تلك الهجمات، ليكن شغلنا الشاغل الآن هو تدعيم الجدار، يجب أن نصمد، وعلينا أن ندرس من الآن خطة بديلة في حال اجتياح الأسوار، أريد الجميع في حالة تأهب، فإن كانت هذه هي جولتنا الأخيرة، فيجب أن ننهيها بفخر وعزة»

بدا حديث بيدرو واقعيًا لقائد يعلم أنه أمام النهاية الحتمية للمعركة، لكنه وجد كل الدعم من رجاله، ليشرعوا على الفور

في طرح كل الأفكار أمامهم للصمود لجولة أخرى.

***

4

فور خروجهم من حدود أرض قلعة (بنتلي), وتوغلهم في أراضي مملكة الجنوب، لم يلفت انتباه جراكوس إلا أولئك العامة الذين يسيرون في جماعات متفرقة، وكأنهم مهجرون من أرضهم, ظن في البداية أنها مجرد مصادفة، لكن مع تكرار الأمر مع كل قرية يمرون بها، زاد القلق بداخله، ليأمر بعض من رجاله بأن يقتربوا من أولئك العامة, ويسألونهم عن وجهتهم، ولِم يغادرون أرضهم؟

تفرق رجاله نحو تلك الجماعات، ليعودوا جميعهم برد واحد، الجميع يتجه نحو (بوزان)، فقد شاع في أركان الجنوب، أن هناك أحد أمراء (زاندو) السابقين، يتخذ من (بوزان) حصنًا له, رفقة بعض من القوات، وقد انتصروا على قوات الملك تيري المعتدي واستطاع أسر أخيه.

لمعت تلك الفكرة سريعًا في عقل جراكوس، هل فعلها الأمير ليدلي, وجعل من (بوزان) حصنًا له؟، إذًا فإن ذهابه لإنقاذه قد أصبح أمرًا يسيرًا الآن.

طلب من رجاله بأن يسارعوا الخطى نحو (بوزان)، كما قام بإرسال فارسين من رجاله نحو قلعة (بنتلي)، ليخبرا الأمير

فيليب بما ورد إليهم من أخبار، وأنه سيواليهم بالخبر اليقين حين وصوله إلى (بوزان).

***

تغيرت الأجواء بـ (بوزان)، أيام قليلة مرت بعد المعركة التي تفوق فيها ليدلي ورجاله، على قوات مملكة الجنوب، وانتشر الأمر في كافة الأرجاء، بدأ العامة يتوافدون نحو حدود القلعة، وبدا العامة مشتتون وحذرون، لم يمتلكوا الجراءة على التقدم نحو أبوابها، ليضربوا الخيام ويقطنوا في الأرجاء المحيطة بالقلعة من كافة الجهات.

في البداية كان ليدلي ورجاله يراقبون الأمر بمنتهى الحذر، اجتمع ليدلي سريعًا برجاله ليستمع منهم عَمَّ هناك من أخبار، ليعلم من إدجار أن رجاله قد رصدوا تقدم العديد من العامة نحو القلعة، مستنجدين بهم من بطش تيري، ومحتجين على ما حدث للملك أرسين وكافة ملوك (زاندو).

: «هذا ما كنت أخشاه يا إدجار، فإن قدوم العامة إلى هنا قد يكون شوكة في حلقنا، فقد يستخدمهم تيري كدروع لجيشه في مواجهته القادمة معنا، لذا علينا أن نعكس الأمر، أخبرني أداميوس، ما هو استعداد القلعة لاستقبال هؤلاء العامة؟»

- «سيدي، كما تعلم القلعة بنيت كقلعة عسكرية، لمنع من بداخلها الخروج منها، لكن ما زال لدينا أماكن لاستقبال العامة إن أمرتنا بذلك، سنقوم بفتح كل الزنزانات لتكون مأوىً لهم»

- «حسنا أيها السادة، عليكم أن تبدؤوا بالتواصل معهم، تأكدوا من نواياهم، ديجو، ستشرف على ذلك، وأنت أداميوس، ستشرف على تسكينهم في القلعة، لكن أيها السادة، كل رجل فيهم يجيد حمل السلاح، أريد أن يتم تجهيزه للمعركة القادمة، فقط النساء والأطفال والشيوخ هم من يُبعدون عن ساحة المعركة »

ظل ليدلي يراقب توافد الجميع إلى داخل القلعة, الأعداد كانت قليلة ومن الممكن إحكام السيطرة عليها, لكن ما يخشاه هو أن يزداد الوضع عن ذلك, وتخرج الأعداد عن السيطرة, فسيكون عليه حمايتهم أولًا, وتوفير المؤن اللازمة لهم ثانيًا, فقد أصبح بالفعل ملك متوج على أرض (بوزان).

***

ما كان تيري ليتحمل كثيرًا، حتى يرد اعتبار مملكته الحديثة، ليتم في يوم واحد تجهيز جيش جرار, قوامه

يتجاوز الخمسون ألف مقاتل، تقدمهم هو شخصيًا نحو

(بوزان) لإخماد الثورة المندلعة بها، واقتلاع عنق ليدلي، ووضعها عاليًا فوق أسوار (بوزان)، ليكون عبرةً للجميع، لتبدأ سرايا الاستطلاع بالتقدم نحو (بوزان)، وكتائب الجيش المتعددة، ليبقي حراسة أخرى قوية على عاصمة الجنوب، جعلها جميعًا تحت إمرة أخيه بافيان، وزير المملكة ونائبه في الحكم.

جعل حديثه مع قادة جيشه واضحًا وصريحًا، يوجد تمرد في (بوزان)، بقيادة الأمير السابق ليدلي أمير مملكة الوسط السابق، وأن أخاه الأصغر قد وقع أسيرًا لديهم على الأغلب، أو لاقى حتفه، لكنه على جميع الأحوال لن يعود إلا بعد ردع هذا التمرد، سيفرض حصارًا كاملًا على (بوزان)، فكما يعلم الجميع تلك القلعة قد بنيت منذ قرون، لتكون قاعدة عسكرية من الصعب اختراقها، لذا قد يطول بقاءهم هناك بعض الشيء، لكن سيكون عليهم الاستعداد لذلك.

- «مولاي، إن سمحت لي، لقد توافدت بعض الأخبار إلينا، بأن بعض العوام من القرى القريبة من (بوزان)، ذهبوا إلى هناك وتحصنوا بها، فإن أذنت لنا سنقوم باعتراض أولئك الرعاع يا مولاي»

لم يعط تيري قراره سريعًا، بل أخذ يفكر لوقت قصير، قبل أن يأمر رجاله بأن يتركوا العامة يذهبون إلى قلعة (بوزان)، فهو يريدهم أن يكونوا عبئًا إضَافِيًّا على عاتق ليدلي ورجاله، فهو يعلم جيدا طبيعة الأمير ليدلي وعاطفته نحو العامة، فاحتوائه لمثل هؤلاء سيثقل كاهله قبل معركتهم المرتقبة.

***

في أقصى الجنوب، تحركت قبائل الغجر نحو قلب (زاندو)، لم يشغل بال أندرو في تلك الرحلة، سوى كيفية عبورهم لجبال (ألابا) الوعرة، فتلك الرحلة ستفقدهم الكثير من الوقت، كما أنها سترهق كامل القوات المتحركة، لكن ما رآه عند وصولهم نحو تلك الجبال أدهشه، فقد حفر أبناء القبائل أنفاقًا للعبور في قلب الجبال نفسها، أخذ بعض الوقت حتى يستوعب الأمر، ليعلم بعدها أنهم قد قاموا على مر السنوات الماضية، بدراسة كافة الكهوف المتواجدة في تلك الجبال، وأنهم قد قاموا بالنحت فيها، ليربطوا الكهوف بعضها ببعض ليستعدوا ليوم مثل هذا، ليرى أمامه تلك السرايا التي سبقتهم بأيام، وهم يقومون بتأمين تلك الممرات والكهوف، فقد سبقوهم لإزالة الفخاخ التي وضعوها عليها للتضليل.

كان تقدمهم بداخل تلك الكهوف حذرًا، فقد تقدمهم

مجموعة من المرشدين, ليخبروهم عن الطرق التي سيسلكونها, بدأ الرجال في اتباعهم، لم يتحركوا بسرعة كبيرة، لكنها كانت أكثر أمنًا لهم من تسلقهم الجبال، بل هم الآن يعبرون من قلبها الوعر، لتقودهم تلك الأنفاق في النهاية، إلى مخارج كهوف أخرى قبل نهاية الجبال، ليقطعوا في الآخر مسافة يسيرة يعبرون بها نحو أرض (زاندو)

***

لبى الحكيم توساني طلب الأمير فيليب، بأن يذهب إليه بشكل عاجل، ليسلك طريقه نحو قاعة الحكم على وجه السرعة، ليرافقه في طريقه الحكيم كولن، الذي تساءل عن سبب هذا الطلب، ليخبره الحكيم توساني أنه ربما قد وردت أخبار جديدة.

انتظرهم الأمير فيليب، وشقيقه الأصغر الأمير لويس، ووزير إمارتهم بكل تأهب، ليطلب منهم الأمير فيليب أن يجلسا، قبل أن يستدعى الجنديين اللذين أرسلهما جراكوس، طالبًا منهما أن يعيدا ما قالاه من قبل، ليخبرا الحكيم توساني برسالة القائد جراكوس، والأخبار التي وردتهم عن (بوزان)، ليسألهم الحكيم توساني عن مدى تأكدهم من الأخبار، ليخبراه بكل ما عرفاه، قبل أن يأذن الأمير فيليب

لكلا الجنديين بالانصراف.

- «اعتقد أن هذه الأخبار جيدة أيها السادة، فرحلة جراكوس نحو (بوزان) ستكون أكثر سهولة لاستعادة الأمير ليدلي»

- «اعذرني سمو الأمير فيليب، فتلك الرحلة ستكون محفوفة بالمخاطر بشكل أكبر، إن صدقت الأحاديث، وسيطر الأمير ليدلي على قلعة (بوزان) بشكل أو بآخر، واستطاع أن يهزم فيلق من قوات جيش تيري، فهذا الأمر لن يمر بكل سهولة، فهذا يعنى أيها السادة، أنه سيتوجب عليه خوض معركة قوية أمام جيش كامل في هذه المرة»

- «إذًا فلنأمل يا سيد توساني، أن يقنعه جراكوس ويغادروا القلعة قبل وصول ذاك الجيش»

- «آمل هذا سيد كولن، لكن من صميم معرفتي بالأمير ليدلي، فهو لن يغادر قلعته تلك فآل فيرجسون لا يهربون»

- «هل ترون أيها السادة أن نساعده بالجند في تلك المهمة، إن أعطيتني الأذن أخي، لتحركت بفرقة عسكرية لمساندتهم»

- «لا لويس، أي تحرك لنا الآن سيحسب علينا، فالأمير

ليدلي لن يواجه جيش تيري وحده، بل سيواجه كافة الخونة من خلفه»

- «أصبت سمو الأمير فيليب، علينا أن ننتظر ونرى ما سيحدث، وما سيرسله لنا جراكوس من أخبار، وقتها سنتخذ قرارنا المناسب»

كان رأى الحكيم توساني، ومن قبله الأمير فيليب هو الفصل، بأن ينتظروا ما ستصل إليه الأمور في (بوزان)، لكن الأمير فيليب لم يقرر الانتظار فقط، بل جلس يطرح معهم كافة التغيرات، من احتمالات المشاركة في تلك المعركة، وما يمكنهم توفيره من جند، والخطة الأخرى في حال لجوء الأمير ليدلي إليهم، وكيف سيكون استعداد إمارتهم لذلك، فهذا يعنى نقل كافة الأحداث إليهم.

***

مع عبورهم للبحر المتجمد، أصبح تقدم أسطول جيش الجليد أسرع نحو أرض (زاندو)، تقدمت سفن الاستطلاع بالسرعة القصوى، الجميع يعمل -ليل نهار- بلا توقف، مع حجم السفن الكبير ومعداتهم المتطورة في الملاحة، تقدموا في يومين إلى قرابة حدود مملكة الشرق، ليبدأ الملاحون من تقليل سرعتهم، ورصدهم للتحركات البحرية المحتملة

لأى سفن من مملكة الشرق، ليبدأ الرصد الفعلي لعدد من السفن،

والمراكب الصغيرة التي تعمل في الصيد في بحر الشرق العظيم، لم تبد سفن الاستطلاع أي تحرك تجاه تلك السفن، فقد كانت التعليمات لهم بالرصد فقط، وعدم الاشتباك مع أي سفينة إلا في حال تمت مهاجمتهم.

أربع قطع بحرية متوسطة يعمل كل من عليها في مجال الصيد، كلهم من أهل مملكة الشرق، أرادوا الإبحار بعيدًا عن حدودهم بعض الشيء، بحثًا عن رزقهم مما يفيضه بحر الشرق عليهم من أسماك، غط قائد تلك القطع في نوم عميق بعد ليلة شاقة من العمل، ومع علو صوت الطرقات على باب قمرته ليوقظه أحد رجاله، أقسم أن يصب كامل اللعنات عليهم، ليقوم سريعًا موبخًا لهم، قبل أن يخبره رجاله برصدهم لسفن عملاقة تحمل عمالقة عليها، لم يعمل ذهنه إلا في اتجاه واحد، أن تلك السفن تحمل على متنها قوات من الملاعين، انطلق مسرعًا نحو سطح سفينته، ليرصد بنفسه تلك السفن العملاقة التي لم يشهد مثلها من قبل، ليجد عددًا من العمالقة منتشرين على أسطح تلك السفن، أعطى الأوامر سريعًا لرجاله بأن ينطلقوا عائدين إلى أرضهم، لترفع السفن

الأربع أشرعتها، ويبدأ الرجال بالعمل سريعًا لمغادرة تلك المنطقة، عائدين إلى ميناء (ريجلون)، أقرب ميناء لهم, وأكبر موانئ مملكة الشرق، بل ومدينتهم الثانية الكبرى.

فور تأكده من سلامة كافة العاملين على سطح تلك السفن، وتواصله مع قادة البحارة بها، ومراقبته لتلك القطع البحرية الكبيرة، التي بدأت تتبعهم ببطء شديد، سارع بكتابة رسالة حملها طير متجه صوب ميناء (ريجلون)، لتحذر الجميع من هجوم مرتقب من الملاعين.

علم قادة سفن الاستطلاع أن خبر قدومهم سيصل سريعًا لمدن مملكة الشرق الآن، لتتقدم قطعتان بحريتان ببطء شديد للأمام، في حين عادت القطعة الأخرى نحو الأسطول القادم خلفهم لتخبرهم بما حدث.

***

على عكس الأجواء المشتعلة في ميناء (اللؤلؤة)، فالأجواء هنا هادئة في ميناء (ريجلون)، ليس على صعيد الحرب فقط، والتي تضرب آخر معاقل أرض الغرب، لكن حتى قبل كل هذا، كان ميناء (اللؤلؤة) شعلة من النشاط لا تتوقف، بقوافل التجارة المستمرة مع أرض القديسين، وسفن الصيد، وحتى القطع البحرية العسكرية، أما هنا في ميناء (ريجلون)،

فلا يوجد تجارة، فقط رحلات الصيد لتلك السفن الصغيرة، والسفن العسكرية التي تقطع بعض الرحلات؛ نحو صحراء الشرق القاحلة في رحلات استكشافية، لا هدف لها إلا التباهي مع باقي أقرانهم في الممالك الأخرى.

مع تغير المقاعد في أرض (زاندو)، وجلوس كيجان على عرش مملكة الشرق، أعلن تعيين قائد جديد لميناء (ريجلون)، ليأتي القائد سبستيان، ويشغل منصبه هذا كنوع من الترضية له، على ما قدمه من مساعدة في سبيل وصول كيجان نحو السلطة، ارتضى بهذا المنصب مع إشراف مباشر له على الأسطول البحري.

عادة ما يعم الهدوء على الأجواء في الميناء، إلا من بعض المشاحنات بين الصيادين، لكن سريعًا ما تتم السيطرة عليها، فالعسكر منتشرون في كل بقاع الميناء، خاصةً في الأسواق وفي مرفأ الميناء.

في ختام جولته اليومية بالميناء، ظن سبستيان أن يومه قد انتهى، ليخبر رجاله أنه سيذهب للراحة، لكن يبدو أن الراحة لن ترافقه في الفترة المقبلة, فسريعًا ما وصل أحد الجنود نحو ديوان الحكم، ليخبره بأن هناك رسالة عاجلة قد وصلت للميناء، يحملها طير من إحدى السفن التي تقوم

بالصيد على الحدود الشمالية للمملكة، ورصدهم لتحركات لسفن تقل قوات من الملاعين تتحرك نحو الميناء.

انتفض سبستيان من مجلسه، ليتلقى تلك الرسالة ويقرؤها بنفسه مرة تلو الأخرى، استدعى كافة رجاله في القلعة مباشرة ليعقد اجتماعًا عاجلًا, أمرهم أولًا بإرسال الطير نحو العاصمة (سوران)، ليخبروا الملك كيجان بأن هناك تحركًا مرتقبًا من الملاعين نحوهم، كما أمر رجاله بأن يعدوا الأسطول للتحرك، لتتقدم بعض السفن الاستطلاعية لمراقبة تحركات تلك القطعة البحرية المزعومة.

ليبدأ الجميع في العمل بالفعل، ويفرض الحظر الكامل في الميناء، على كافة سفن الصيد بعدم مغادرة الميناء، أو التحرك منه، لتتحرك عدد من القطع الحربية في جنح الليل, ليبدؤوا مهمتهم الاستطلاعية على وجه السرعة.

***

إن كانت الأجواء قد بدت تشتعل في ميناء (ريجلون)، مع إعلان الحظر التام فيه، وشعور العامة بنوع من القلق لما هو قادم، فالعامة في ميناء (اللؤلؤة) هم بالفعل تحت طائلة الخطر، القصف لا يتوقف على أسوار الميناء، الملاعين يكثفون ضرباتهم نحو الأسوار، بل إنهم زادوها بالقصف

بالكرات المشتعلة، فقد طلب القائد أرجان من رجاله أن يكون القصف الليلي بكرات مشتعلة على أسوار الميناء، أولًا أراد أن يرهب الجميع في داخل الميناء، فهو بتلك الكرات يخبرهم أن الجحيم قادم لهم, أما هدفه الثاني فكان إشعال الأسوار، فإن كانت تحوي مواد ملتهبة كما حدث في الأسوار الأمامية، فسيقوم بإشعالها قبل وصولهم للأسوار، ليحرق بها من في الداخل.

لم يكن لدى الجميع بداخل الميناء أي حيلة إلا الصبر والانتظار، لم يكن يعلم بيدرو أي حيلة أخرى سيقوم بها، من أجل إبقاء قلعته صامدة أمام هذا العدوان الغاشم، وعلى مدار الساعة كان رفقة رجاله لمتابعة موقفهم.

: «أيها السادة، إننا للآن مازلنا سالمين داخل قلعتنا، لكن يبدو أننا لن نستطيع الصمود هكذا، فالقصف الآن أكثر قسوة، كما أن الأسوار الأمامية التي عصمتنا منهم في الجولة الماضية قد فقدناها الآن، لذا أريد تفريغ المدينة من العامة، سندفع الجميع إلى داخل أسوار المرفق الخاص بالميناء، ولتغلق أسوار حوض السفن ليكون الجميع داخلها بأمان.

أيها السادة، أريد أن نقوم بتفخيخ المدينة بالكامل، لنضع

كل ما لدينا من مواد قابلة للاشتعال في كل الأرجاء، فنحن على كل الأحوال لن نصمد كثيرًا، أمامنا أيام قليلة قبل انهيار الأسوار، لذا سنجعل المدينة محرقة لهم.

سيد أنطوي أريدك أن تشرف على كل هذا بشكل شخصي، وأن تضع خطة مناسبة للانسحاب نحو الميناء، أما أنت سيد جونزالو، أريد أن يكون الأسطول على أهبة الاستعداد، إن حانت تلك اللحظة سنقوم نحن بقصف المدينة، كما أريد أن تجهز أي شيء يمكنه التقدم في المياه، وحمل الجميع لنخلي القلعة، فإن لم يعد كلارك سريعًا، سنتوجه نحن صوب أرض (القديسين)»

وحده الصمت ما عم الأجواء في داخل الغرفة، لم يكن أمام الجميع أي خيار آخر يطرحونه، فقد بدا حديث بيدرو قاطعًا وجديًا بالحفاظ على أكبر قدر من حياة الجميع، فهم الآن أمام مهمة واحدة، وهي الهروب من جحيم الملاعين.

***

5

دورية جديدة من جنود مملكة الجنوب، يقومون بتمشيط المناطق الجبلية الفاصلة بينهم وبين غجر الجنوب، مجموعة من الفرسان شرعوا في تمشيط الأجواء الجبلية في رحلة روتينية، يقومون بها مع شروق يوم جديد، كالعادة يعبرون لمناطق محددة، وبعض القمم الجبلية التي يراقبون منها الممرات الجبلية الفاصلة بين الجبال، بدت الأجواء طبيعية في كل النقاط التي يتوجب عليهم العبور من خلالها، ليختموا رحلتهم إلى آخر النقاط، ليتسلموا نوبة جديدة من الحراسة، عليهم قضاء كامل اليوم هناك، حتى تأتي الدورية الجديدة تتسلم منهم مهمة المراقبة، كما فعلوا هم مع زملائهم الذين غادروا ليركنوا للراحة الآن.

مرت الساعات الأولى لليوم عادية، إلى أن بدأ أحد الرجال يشاهد تحركات غريبة في الممرات أسفل الجبل، على الفور قام بتنبيه رفاقه ليهرعوا لمتابعة ما يحدث، فقد اعتادوا على تسلل بعض من غجر الجنوب نحو أرض (زاندو)، ليحدثهم قائدهم بأنه يتوجب عليهم التحرك، فيبدو أنه لديهم صيد ثمين بالأسفل، ترك أحد رجاله في النقطة ليتابع الأمر عن كثب، بينما تقدم هو ورجاله نحو أولئك المتسللين.

لم تكن الرؤية واضحة بما يكفي، بسبب الضباب المتواجد، ليظل هذا الجندي يتابع بكل جد عله يرى أي جديد، لتبدأ الرؤية تتضح رُوَيْدًا رُوَيْدًا مع انقشاع الضباب من حوله، لتبدأ الرؤية تتضح له شيئًا فشيئًا، لم يكن ما يعبر أمامه عدة أفراد في محاولة فاشلة للتسلل نحو أرض (زاندو)، بل رأى أمامه تحركات عديدة لجماعات من المقاتلين الذين يتقدمون نحو مملكة الجنوب، بادر سريعًا بتحذير زملائه، ليتجه مسرعًا ويقوم بدق الأجراس العملاقة، لتصل الرسالة سريعًا إلى زملائه المتجهين صوب تلك المعابر، بأن المتسللين يفوقونهم عددًا، ليطلب منهم قائدهم بأن يتراجعوا للخلف، لكنهم لم يحظوا بالوقت الكافي للتراجع، فقد وجدوا حولهم العديد من أبناء الغجر يحاصرونهم، وهم يوجهون سهامهم ورماحهم نحوهم محاصرين إياهم، ليحاول فرسان الجنوب الانسحاب، ففر أحدهم بينما وقع بعضهم قتلى، وذاق بقيتهم ويلات الأسر بعد أن استسلموا لمقاتلي أبناء الجنوب.

مع تعالى أصوات الأجراس، علم كافة أبناء الغجر أن أمر وصولهم إلى أرض (زاندو) أصبح مكشوفًا، وأنه لا مجال للتراجع الآن، وسريعًا ما تقدم أندرو نحو الزعيم إيكابي ليتحدث معه.

: «سيد إيكابي، اعذرني على تدخلي في مخططاتكم، لكن الآن ستتوالى أصوات الأجراس في كل بقاع الجنوب، وستشتعل النيران، هذا الأمر يعنى أنهم قد علموا بوصولنا، علينا الآن أن نخرج من هذه الممرات بسرعة، وأن نذهب إلى مكان آخر يمكننا الاصطفاف فيه، والاستعداد للمواجهة، فعاجلًا أم أجلًا سنجد جيش الجنوب في انتظارنا»

- «لا تقلق سيد أندرو، مع انتصاف النهار على الأكثر، سيكون الجميع في الجانب الآخر من هذه السلاسل الجبلية، كما أن هناك أمر آخر، أنت أكثرنا دراية بتخطيطات أهل (زاندو) العسكرية، لذا ستكون معنا في طليعة القيادة، لترشدنا لكيفية تشكيل الصفوف بالشكل الصحيح لمجابهتهم»

ألقت كلمات الزعيم إيكابي المسؤولية على عاتق أندرو، ليجد نفسه مسؤولًا عن تنظيم هؤلاء الرجال، ليخوضوا معارك حقيقية مع جيوش نظامية، تفوقهم في القوة والعتاد، لكنه كان ليفعل أي شيء حتى ينجد سيده الأمير ليدلي، بل وينجد محبوبته كاترينا، وأهل (زاندو) قاطبة.

***

بدت كل خطط كيجان التوسعية، التي شرع في العمل عليها مع رجاله على المدى الطويل، في مهب الرياح الآن، بعدما وصله تلك الرسالة من ميناء (ريجلون)، برصد بعض الصيادين لسفن تقل الملاعين، تتوجه نحو سواحل مملكة الشرق، بدا الغضب عليه، شعر وكأنهم قد وقعوا في فخ محكم، الملاعين أغروهم بالانقلاب على حكامهم، ليعودوا بعدها ويقوموا باصطيادهم فرادى، الشمال قد سقط في قبضتهم، والغرب أيضًا قد أبيد بشكل كبير، والآن دارت الدوائر على مملكة الشرق.

تعالت أصوات بعض رجاله بحثًا عما قاموا به في الماضي القريب، لكن لم يعد هناك مجال للحديث عن الماضي، يجب أن ننظر إلى الوضع الراهن الآن.

على الفور، أمر كيجان رجاله بإعداد أكبر قدر ممكن من الجنود والمؤن، وأن يدفعوا بهم نحو ميناء (ريجلون)، بل إنه سيذهب بنفسه ليقود هذه المعركة، فلن يسمح بأن تسقط مملكته الوليدة بين أيدي الملاعين.

: «أيها السادة، أتمنى أن تكون تلك مجرد سفن صيد للملاعين، وأن يبقوا على عهدهم معنا، لكن يجب أن نستعد بكامل قوانا، أريد أن يتحرك الجيش من الآن، كل سرية أو

فيلق يجب تجهيزه للتحرك نحو (ريجلون)، وأنا سأنطلق إلى هناك أيضًا، أريد أن تكتبوا رسالة إلى مدينة (الشمس)، فالملعون أتريموس هو من عقد هذا الاتفاق معهم، وهو الضامن لهم أمامنا، أخبروه بأن يتحرك سريعًا»

- «مولاي, اسمح لي، ماذا لو كان أتريموس هو من قام بتسليمنا لهم؟»

- «وقتها أقسم أن انتزع قلبه من صدره، والتهمه بأسناني هذه، لأفرغ أولًا من أولئك الملاعين، وبعدها سأجعل مدينة (الشمس) تلك قطعة من الماضي!»

بدأت بذور الشك بين القادة، بأن الخيانة قد لحقت بهم من مدينة (الشمس)، وعقدوا نيتهم أن يردعوا الهجوم عن مملكتهم أولًا، قبل أن يعودوا ليذيقوا أتريموس ويلات العذاب.

: «أمر آخر أيها السادة، إن كانوا يخططون لهجوم بحري، فمن الممكن أن يهاجمونا بريًا أيضًا، لذا أريد أن يتم تدعيم الحدود الشمالية للمملكة من هنا، لننصب لهم الكمائن ليكون هنا مقبرتهم الكبرى، سأقود ثلث الجيش نحو ميناء (ريجلون)، لأساند الأسطول البحري هناك، أما أنت يا بيرس، ستقود باقي الجيش لتأمين الجانب الشمالي للمملكة، وأنت

يا ستيوارت، ستدير الديوان الملكي هنا، وستكون حلقة الوصل بين الجميع، أريدك أن تجند كل رجل في أرض الشرق يمكنه حمل السلاح، ليخوض هذه الحرب، ولتمدنا بالقوات والمؤن في كلا الجبهتين، كما أريدك أن تكتب رسالة لآل بنتلي، تطلب فيها من فيليب أن يحضر بالمدد الذي لديه، وأقسم لكم أنه إن لم يأتِ، لأقتلع رأسه هو وأمارته عندما ننتهي من هذه المعركة»

بدا الشرق في تحدي جديد، تحدي إما أن يثبت أركان ملك كيجان، أو يفنيه قبل بدايته الحقيقة، ليعمل هو ورجاله على كافة الجبهات، ووكأنهم خلايا من النحل لا تتوقف عن العمل.

***

تعالت أصوات الأجراس فوق النقاط الأمنية لجبال (ألابا)، كما أشعلت النيران التحذيرية، لتكون تلك هي مجرد شرار، لتشتعل النيران التحذيرية وتدب الأجراس في كامل بقاع مملكة الجنوب، معلنَة عن وجود تسلل مجموعة من غجر الجنوب، وبسرعة توجب على قادة كافة المعسكرات، التي يتجمع بها جنود الحماية في محيط الجبال، الانتفاض مباشرة، ثم توجه الجميع صوب تلك النقاط التي أعلنت الإنذار، والتقى قائد المعسكر الرئيسي لتلك المنطقة,

المتاخمة لأقصى الجنوب الشرقي، بذاك الجندي العائد إليه فَارًّا على جواده.

- «سيدي، إنه ليس تسللًا عَادِيًا، إنه هجوم كامل يقوم به الغجر على المملكة!»

- «ماذا تعني بهجوم كامل أيها الجندي؟، لا تخشَ شيئًا، سنذهب الآن إلى تأديبهم»

- «سيدي، إنهم جيش كامل، آلاف من الغجر يعبرون نحو أرضنا يا سيدي!»

استمع قائد المعسكر جيدًا، لما رواه له هذا الجندي العائد، ليصف له ما رآه، وكيف سقط زملائه في الأسر، كما أنه انتظر من بعيد، يتابع أعدادهم التي عبرت الجبال من أنفاق خفية، قدر هذا الجندي ما رأى أنه قد عبر من أولئك الغجر، بما يقارب العشرة آلاف رجل محملون بالسلاح.

بسرعة حاول القائد أن يحصر ما لديه من رجال، وما يمكنه جمعه من النقاط المتواجدة بالقرب منه، فعلم أنه على الأرجح لن يجمع نصف عدد أولئك الغجر في أفضل تقدير.

أمر رجاله بأن يراسلوا العاصمة، ليخبروهم بهذا الهجوم الذي يحدث عليهم ليمدوهم بالرجال، وأن يبعثوا كذلك

لكافة المدن والقرى القريبة لدعمهم، قبل أن يذكره أحد مساعديه بتلك الرسالة التي وصلتهم من العاصمة، مخبرة إياهم بأن الأجواء ستشهد تحرك جيش الجنوب نحو (بوزان)، لردع التمرد الذي حدث هناك، ليأمر القائد رجاله بأن يتوجهوا سريعًا لملاقاة هذا الجيش، وطلب العون والمدد منهم، ليعيد تشكيل رجاله بأن ينضموا جميعًا في تشكيل واحد، ليتقدموا نحو أولئك الغجر، لتعطيل تقدمهم حتى يصلهم المدد المنشود.

***

مع عودة إحدى سفن الاستطلاع نحو أسطول الجليد، علم الجميع أن أمرهم قد كُشِف بشكل كامل، فقد رصد وجودهم عدد من سفن الصيد، لينعقد بسرعة في السفينة الملكية، اجتماع لقادة الجيش مع الملكة إلينا، والوزير دوراتي ومستشارها السيد جورج، وانضم إلى هذا المجلس الحربي، رئيس المجلس الأعلى للسحرة، لما يمثل لديهم من قيمة روحانية ومعنوية كبيرة.

- «مولاتي الملكة، أيها السادة، لقد عادت إحدى سفن الاستطلاع، لقد تم رصد وجودهم عن طريق سفن صيد صغيرة، وسرعان ما هرعوا عائدين أدراجهم، كما تم رصدهم

وهم يقومون بإرسال التحذيرات إلى مملكتهم»

- «حسنا أيها السادة، اعتقد أننا الآن قد وصلنا إلى نقطة اللا عودة، سيد دوراتي، أريد أن تقوموا برسم تشكيل هجومي لكامل قطع الأسطول، ليكون الجميع على تقارب، لا أريد أن أخسر فردًا واحدًا من أبناء الجليد»

- «اسمحي لي يا مولاتي، واسمح لي سيد دوراتي، لقد قمت بالفعل بإصدار تعليمات لقادة الأسطول، بأن يكون الجميع على تقارب، سنسير بشكل الحربة للأمام، السفينة الملكية سيتم إحاطتها جيدًا لتأمينها، لقد أمرت الجميع أن نكون على يقظة كاملة، سيكون هناك دوريات مستمرة على ظهر كل سفينة للملاحة، والاستعداد للقتال، فحسب توقعاتنا سنصل إلى وجهتنا حيث ميناء (ريجلون) في غضون أيام ثلاث على الأكثر»

استمر القنطور سوكراتيس، قائد الجيش في حديثه، ليشرح للملكة وللجميع الخطة الحربية التي وضعها رفقة قادة الأسطول، واستعدادهم التام، لينصت له الجميع باهتمام بالغ، وينهي حديثه بشرح تفصيلي لموقفهم الحربي في المرحلة المقبلة. بادر بعدها كبير السحرة بأخذ دفة الحديث هذه المرة:

«يبدو أيها السادة، إننا أمام جيل قد انتظرناه منذ عهود طويلة، لنحقق غايتنا ونبوءتنا، عائدون بكل فخر نحو (زاندو) أرضنا الأم، وقد سرني ما وجدته من استعداد وحماس من الجميع، لكن عليكم أن تتجهزوا لمعركة بحرية قبل وصولنا إلى (ريجلون)، فمن المتوقع الآن أن يتقدم أسطول مملكة الشرق نحونا، كما أتوقع أنهم يظنوننا من الملاعين، لذا سيد سوكراتيس، أتمنى أن يكون هناك استعداد تام لأي معركة بحرية، كما أريد أن أوصيكم جميعًا بأن تكونوا رحماء، فإن استطعنا أن نكسب ود أهل الشرق، سنتمكن من مهمتنا بالعودة لوطننا بكل سهولة، أما آخر أمر أريد أن أطرحه عليكم، هو تلك القصاصات، والتي تحوي شرح لميناء (ريجلون)، نقاط قوته وضعفه، ربما تلك القصاصات قد وصلتنا منذ مدة ليست بالقصيرة، وعلى فترات متقطعة، لكن آمل أن تفي بالغرض، فأنا كلي إيمان بما قدمه لنا عزيزنا راجاك، على مدار تلك السنوات التي قضاها في أرض (زاندو)، وأتمنى أن نجده بانتظارنا في ميناء (ريجلون)»

***

مع انتصاف النهار، اكتمل العبور المقدس لقبائل الغجر،

انتقلوا إلى سهل رحب، ليبدأ اصطفاف الجيش فيه وترتيب صفوفهم.

بدأ أندرو يتابع الرجال، يتصرف كقائد عسكري لتنظيم الجيش، وضع المشاة في قلب الجيش، وقسم الفرسان إلى جناحي الجيش في الميمنة والميسرة، بينما استقر الرماة على تلتين تحيطان بالسهل الذي تمركز به الجيش.

بدأ الجميع بالعمل على وجه السرعة ليأمنوا موقعهم العسكري، في عملٍ مضنٍ وجاد، فأبناء الغجر الآن يستعدون لمواجهتهم الأولى.

اجتمع الزعيم إيكابي رفقة زعماء القبائل الأخرى، وهم يشاهدون التنظيم العسكري، ليبدأ بعدها أندرو بتوزيع القيادة عليهم، فمنهم من قاد الميمنة، والبعض الآخر في ميسرة الجيش، بينما ارتكز الزعيم إيكابي في الوسط هو وبعض الزعماء الآخرين.

لم يتأخر أبناء الغجر من الكشافين في أرض الجنوب، بالوفود لمساندة الجيش، ليأتي إليهم برانكو سريعًا وبرفقته رجاله، ومعه لوكاس وابنته أديلا، تقدموا بسرعة نحو خيمة القيادة، ليلقاهم الزعيم إيكابي بكل ترحاب.

- «سيدي، مرحبًا بكم في أرض (زاندو) ، ولنسأل الآلهة أن يمنحونا كامل دعمهم في زحفنا المقدس هذا»

- «مرحبًا بك عزيزي برانكو، لم تخذلونا كالعادة، أنت وكافة أبناء المنجالا، المنتشرون في كل أرجاء (زاندو) من أجل يومنا الموعود»

- «هذا واجبنا يا سيدي، لكن اعتقد أنكم تنتظرون منا كافة الأخبار، وللأمانة أحمل لكم عدة أخبار. ما بين السعيدة والمرتقبة»

تلهف الجميع للاستماع لما لدى برانكو من أخبار, ليروي لهم كيف حدثت الثورة بداخل سجن (بوزان)، وكيف أحكم الأمير ليدلي سيطرته على الأمور هناك، وكيف أقنع المساجين في (بوزان) أن يؤمنوا بقضيته، وأن يكونوا جيشه الخاص، كما أخبرهم عن معركتهم الحربية الأولى، التي أدارها الأمير ليدلي بذكاء كبير، ليقوم بقيادة رجاله بنصب فخ محكم، لفيلق عسكري من جيش الجنوب, قوامه عشرة آلاف رجل، لينتصر عليهم ويأسر قائدهم.

بدت السعادة على كامل أبناء الغجر, فهم الآن يرون بشكل ملموس، مواصفات القائد المميز، والأمير الموعود الذي تتحدث عنه نبوءتهم، ممثلًا في الأمير ليدلي، ليزداد إيمانهم

بعقيدتهم، وأنهم الآن عائدون لأرضهم الأم مرة أخرى، ومساعدة أهلها لردع خطر الملاعين، بينما اطمأن قلب أندرو بأن سيده وقائده الأمير ليدلي، ما زال صامدًا على قيد الحياة، بل أشعل فتيل الثورة الأولى له في قلب (بوزان).

أكمل برانكو حديثه، ليخبرهم بتحرك جيش جرار من عاصمة الجنوب، متوجهون نحو (بوزان) لأحكام السيطرة عليها، ليطالب أندرو بأن يتحركوا على الفور نحو (بوزان)، لمساندة الأمير ليدلي ورجاله هناك، لكن أتاه رد برانكو، بأنه يتوجب عليه الانتظار حتى يعود باقي كشافيه، ليخبروهم بما رصدوه من تحركات الجنود في المدن القريبة منهم، فمن المتوقع أن يجدوا حشدًا قادمًا لمواجهتهم، في المساء أو صباح اليوم التالي على الأكثر، كما أخبره أنهم أقرب إلى (بوزان) من العاصمة، فسيمكنهم من مساندة الأمير ليدلي، لكن عليهم أن يأخذوا حذرهم أولًا.

***

لم يكن عبور جراكوس ورجاله، نحو أسوار قلعة (بوزان) بالأمر السهل، فقد توجب عليه أن يترك رجاله، ويتقدم هو برفقة اثنين من حرسه فقط, رافعًا الراية البيضاء، ليعترضه بسرعة عدد من الرجال، ويطلبون منه أن يعرف عن نفسه،

ليخبرهم بأنه القائد جراكوس، قائد قلعة الاتحاد سابقًا، وأنه أتى إلى هنا لمقابلة الأمير ليدلي. تقدم أحد الرجال سريعًا نحو القلعة، ليخبر الأمير ليدلي بالوافد الجديد، الذي يرغب في لقائه، ليأمرهم بأن يحضروه سريعًا.

لم يكن لقاء ليدلي وجراكوس عَادِيًّا، بل حمل الكثير من العواطف والمشاعر بين كليهما، تعانقا بكل حماس، ليصطحبه الأمير ليدلي معرفًا إياه على قادته ومساعديه، ومعرفًا إياهم على القائد جراكوس، الذي طلب السماح لرجاله بأن يتواجدوا في القلعة، لتأتيه الموافقة مباشرةً، ليذهب الجنديان الذين رفقاه ويعودا برفقة خمسمائة فارس، رآهم الجميع وهم يتقدمون نحو القلعة، ليشعر الجميع أن هذا هو بداية المدد الذي سيكون في صفهم في المعركة المقبلة، ليزداد إيمانهم بقائدهم وحلمهم نحو (زاندو) جديدة.

لبى الأمير ليدلي طلب جراكوس، بأن ينفردا معًا، ليبدأ جراكوس بقص ما مروا به في رحلتهم الماضية هو والحكيم توساني، وأخبره عما قام به الأمير فيليب من استقبال ودعم لهم، ليستمر في سرد كل الأحداث التي دارت خارج أسوار (بوزان). استمع الأمير ليدلي بالإنصات، حتى أنه لم يبد على وجهه أي تعابير أو مشاعر، عندما قص عليه جراكوس

ما حدث في مدينة (الشمس)، وزواج أخته كاترينا من أتريموس.

: «سيدي، هل أنت بخير، أراك صامتًا؟»

- «لقد تغيرت الأوضاع كثيرًا يا جراكوس، ليست هذه (زاندو) التي نعرفها، سقط آباؤنا وقادتنا وضاعت أرضنا، لكن أتعلم يا جراكوس، لقد كانت أشد اللحظات ألمًا لدي، حين وقفت أختي كاترينا لتفديني من الموت، بأن تقبل الزواج من أتريموس نظير أن أبقى حَيًّا، لقد كانت حساباتي خاطئة من قبل، فعندما توقعت أنه بعودتي لمدينة (الشمس)، سأجد من يساندني لاستعادة عرشي، لكني وجدت أتريموس أحكم قبضته على كافة مفاصل الجيش، والمملكة في غفلة منا، لكن الآن نحن أمام بداية جديدة بكل تأكيد»

- «هون عليك يا سيدي، سنقتص منهم بكل تأكيد، لكن اسمح لي يا مولاي، كيف تمكنت من إحكام السيطرة على (بوزان)؟»

- «آه يا عزيزي، إنها قصة طويلة وعجيبة، لكنها بثت الإيمان بداخلي من جديد نحو غد مشرق»

أتى دور ليدلي ليقص ما حدث معه، منذ وطأت قدمه أرض

(بوزان)، وكيف التقى بأبناء المنجالا، والثورة التي أحدثوها، وكيف سيطر على هذا السجن، واستعان بسجنائه ليكونوا هم نواة جيشه.

بدت الدهشة على وجه جراكوس، فما حكاه الأمير ليدلي، بدا شديد الغرابة عن تلك النبوءة التي يؤمن بها أبناء الغجر، وكيف وصلوا إليه وتغلغلوا في أرض (زاندو)، وبداخل قلعة (بوزان) الحصينة، وإيمان الأمير ليدلي بهم.

: «ماذا بك يا جراكوس، فيما شرد ذهنك؟»

- «حقيقة يا مولاي، إن كل شيء يبدو غريبًا، لكن، أَحَقًّا تود الاعتماد على هؤلاء المساجين، وعلى غجر الجنوب لاستعادة أرض (زاندو)؟»

- «هل لديك أي حل آخر جراكوس؟»

- «لِمَ لا تعود معي نحو قلعة (بنتلي)، وهناك يمكننا أن نفكر بهدوء بما يمكننا فعله»

- «لا هدوء بعد الآن جراكوس، فحتى إن ذهبت إلى آل بنتلي، والأمير فيليب، فلن يتركنا تيري وباقي الخونة، هم يعلمون أني أشكل خطرًا داهمًا عليهم، كما أني لن أترك كل هؤلاء الرجال الذين وثقوا بي، أما عن غجر الجنوب فهم من

وثقوا بي, وأنا لن أخذلهم، سأنتظر عودتهم إلى هنا لنحقق سَوِيًّا نبوءتهم»

بدا ليدلي مؤمنًا تمامًا بما يقوله، وبدا عدم الاقتناع على وجه جراكوس، لكنه سعى ليفكر قليلًا، بكيف يمكنه إقناعه بالعودة معه نحو قلعة (بنتلي).

ليقطع تفكيرهم تلك الطرقات على الباب، قبل أن يدلف أداميوس إلى الداخل، دون أن ينتظر الإذن بذلك، لتبدو عليه اللهفة بما أتى به من أخبار.

- «مولاي، اعذرني على تطفلي ودخولي المفاجئ، لكن أجراس الإنذار والنيران التحذيرية تدق في جبال (ألابا) ، وسائر المدن تقوم بالتحذير، إن تلك هي إشارة التأكيد، بعبور أبناء الجنوب نحو أرض (زاندو)، المدد أصبح في الطريق نحونا!»

***

6

لم يكد أتريموس أن يهنأ ببعض الراحة، بعدما قام بإرضاء كافة أعوانه، وتوزيع الغنائم عليهم، ليشعر بالراحة في مملكته، ليجد أمامه أخبارًا بتحديات أخرى قادرة على قلب كل المعطيات.

جلس ينصت بكل جدية لما أخبره به كلاوديو، عن تلك الرسالة التى وصلتهم من كيجان، مخبرة إياهم أنهم قد رصدوا تحركات لسفن حربية، تابعة للملاعين على حدودهم الساحلية، واستنفار مملكة الشرق لأى هجوم محتمل.

: «هل يعني هذا أن الملاعين خدعونا من البداية؟، وما مدى تأكد كيجان من أنهم ينوون مهاجمتهم، فربما تلك سفن صيد لهم»

- «كل شيء وارد يا مولاي، لكن لا يوجد أي إيضاح من رسالة كيجان، أو تأكيد على شن هجوم حربي، فبصراحة إن غدر بنا الملاعين فستكون كارثة، فلن يثق بنا أي أحد، أو نجد من يقف خلفنا في تلك المعركة»

- «لا أعتقد ذلك كلاوديو، ربما هناك لبس في الأمر، الملاعين للآن لم يحسموا أمرهم في مملكة الغرب، ما زال

ميناء (اللؤلؤة) صامدًا أمامهم، ولا أعتقد أنهم سيقدمون على محاولة هجومية، قبل أن يحسموا أوضاعهم هناك»

- «إذن ماذا ترى يا سيدي؟، لا بد من أن نجد حلًا للأمر، أو نطمئن على وضعنا ومعاهداتنا معهم»

- «هذا ما سنقوم به بالفعل يا كلاوديو، لتكتب رسالة تحية وتقدير لهم، وضع عليها ختمي الملكي، كما أريدك أن تحمل بعض الهدايا الثمينة، وأن تذهب إليهم كمبعوث رسمي منى، نيابة عن كافة ملوك (زاندو) ، لتتوجه نحو قلعة (بلاجا)، فعلى الأغلب ما زالوا هناك، وأريدك أن تتأكد من الأمر»

- «وماذا إن كانوا قد قاموا بهذه الخطوة من أجل مساومتنا على شيء آخر؟»

- «كل الأمور واردة ، لذا أريدك أن تذهب بنفسك وتفاوضهم، فأنت أبرعنا في هذه الأمور»

- «حسنا يا مولاي، سأستعد للرحيل في الحال، لكن هناك خبر أخر ليس بالجيد»

لم يكن أتريموس على استعداد لتقبل أخبار سيئة أخرى، لكن لا مفر من هذا, فروى له كلاوديو ما أتاه من أخبار عن (بوزان)، والانقلاب الذى قام به ليدلي هناك، وكيف اتخذ من

(بوزان) مركزًا له.

لم يتمالك أتريموس أعصابه هذه المرة، بل انفجر بثورة عارمة:

«اللعنة على ليدلي هذا!، إنه يصر أن يكون كالشوكة في حلوقنا, واللعنة على كل أولئك الحمقى في (بوزان)، كيف استطاع مسجون أن يحكم سيطرته عليهم، كلاوديو، اكتب بشكل عاجل لتيري، ليقم بردع هذا الانقلاب، وليأتِني برأس ليدلي ، أخبره أنى على استعداد لمده بالجند والأموال التى يريدها، أي شيء يريده أنا موافق عليه، وإن لم يكن قادرًا على ذلك فسأذهب بنفسي لأقتلع رأس ليدلي!»

- «حسنا يا مولاي، سأنفذ أوامرك على الفور، لكن رأس ليدلي أصبحت مطلبًا ضروريًا، وقد أخبرتك من قبل بذلك»

- «ليس هذا وقت الحديث عن الماضي، لقد كنت أرغب في بعض الهدوء والشرعية، لكن لن أتردد في تمزيقه لأشلاء الآن!»

***

ظل الحكيم توساني منفردًا بنفسه في خلوته الخاصة، ارتدى رداءً رقيقًا للغاية، وأشعل تلك الأعشاب أمامه في

مبخرته، واضعًا إياها أرضًا، وهو يفردها على قماش أبيض ناصع, جلس قبالتها مغمض العينين، يأخذ أنفاسه بكل هدوء، متمعنًا في جلسة التأمل هذه التي يقوم بها.

عم الهدوء حوله، وكأن الموجودات جميعها في غرفته، هي الأخرى قد شاركته جلسة التأمل هذه، حتى وإن قمنا بالإبحار داخل عقل الحكيم توساني، سنجده قد انفصل عن كل شيء، لا يدور بعقله أي أفكار مزعجة أو مضطربة، وكأنك تبحر بسفينة عملاقة الحجم، فوق بحر هادئة أمواجه لا تشوبها شائبة، وكأن الدنيا بأسرها قد انصاعت له، ليهدأ كل شيء ويسانده في جلسته هذه، ليشعر بالسكون يتخلل كل ذرات جسده، وكأنه يتحكم بها جميعًا، ولو أراد الطيران الآن لحلق في السماء، فقد أصبح بخف الريشة, بعيدًا عن أي شيء، لتبدأ مع تلك اللحظة همهماته الغير مسموعة، وكلماته الغير مفهومة، يتحدث تارةً ويصمت تارةً أخرى، وكأن الطبيعة تجيبه ويستمع لشيء ما.

استمر في حالته تلك لفترة ليست بالقليلة، حتى التقطت أذنه تلك الطرقات على باب غرفته، لتعلن عينه الانتفاض من نومها العميق، ليفتح عينيه موجها أنظاره نحو الباب بحدة هادئة، وكأن الطارق قد أخرجه من منام رائع، يعبر فيه بين

الجنان الغناء المثمرة، بعيدًا عن الدنيا وما فيها.

تمالك الحكيم توساني نفسه، ونهض نحو باب غرفته ليجيب الطارق، ليجده الحكيم كولن منتظرًا بالخارج، ليرحب به ويطلب منه الدخول، لكن الأخير أخبره أن الأمير فيليب طلب لقائهم، لكنه أخبر الحاجب أن ينصرف، وأتى ليخبر الحكيم توساني بنفسه، خاصة بعد أن طابت له رائحة الأبخرة التي خرجت من غرفته، ليخبره الحكيم توساني أنها بعض من أوراق العطريات، كان قد اشتراها من أحد التجار الوافدين من أرض القديسين، بعد أن أخبره أنها مفيدة للاسترخاء, وتساعد على صفاء الذهن.

: «في الحقيقة سيد توساني، لقد اشتممت تلك الرائحة من قبل تهفو علينا من غرفتك، والفضول وحده هو ما دفعني لسؤالك عنها، فلم أقابل مثل ريحها الطيبة من قبل»

- «إن شئت أتيتك ببعض منها، فما زال لدى قدر يسير منها»

شكره الحكيم كولن معتذرًا عن فضوله، ليخبره أنه سينتظره ليذهبا معًا للقاء الأمير فيليب، فطلب منه توساني أن يعطيه برهة من الوقت يرتدى فيها ملابسه ويلحق به.

***

لم يقم الأمير فيليب بأي مقدمات، بل على الفور أخبر الجميع بما وصله من أخبار، أولًا- حدثهم عن الرسائل التي آتت من كيجان، طالبًا منهم العون، مع وجود هجوم بحري محتمل من الملاعين على ميناء (ريجلون)، ليكمل ما توالى إليه من أخبار، بعد أن تم رصد أجراس الإنذار والنيران التحذيرية القادمة من مملكة الجنوب، والتي تشير لوجود بعض التحركات، وتسلل المهاجمين للمملكة من جبال (ألابا).

لم يستفض في الشرح، لكنه ألقى بالمعلومات مباشرةً أمام مجلسه، طالبًا منهم المشورة:

«ما رأيكم أيها السادة في كلا الخبرين، وما هي مشورتكم لي؟»

- «أرى أن الأحداث تتوالى بسرعة سمو الأمير فيليب، إن صدقت توقعات كيجان ورجاله، بأن الملاعين ينوون الهجوم عليهم، فتلك ستكون الضربة القاضية لهم، سيفقدون أي تعاطف موجود لدى العامة معهم، فقد كان إدعاؤهم أنهم تخلصوا من ملوك، أرادوا أن يسقطوا البلاد في حروب لا طائل منها، وأنهم من اعتدوا على الملاعين من البداية، والآن أن نقض الملاعين عهدهم معهم، فسيثور العامة عليهم، لذا علينا أن نتركهم يواجهون مصيرهم بأيديهم، وننحاز نحن

للعامة في النهاية»

- «أرى أن رأى الحكيم كولن، هو عين الصواب يا أخي، فهم من ورطونا في كل هذا من البداية»

- «مولاي, نحن دائمًا نأخذ موقف الحياد، لكن أبدًا لم نتأخر عن مساعدة باقي ممالك (زاندو)، حتى وإن تغيرت الأحوال، فإن نجح الملاعين في السيطرة على مملكة الشرق، فسنكون نحن الخطوة التالية لهم، أرى أن ندعم كيجان ورجاله حتى ولو بشكل رمزي»

- «ما لي أراك صامتًا سيد توساني؟»

- «الأمر محير سمو الأمير فيليب، فكلا الرأيين مقنعان، سواء ما أقترحه السيد كولن ، وأخاك الأمير لويس، وحتى رأى السيد نيكولاس وزير إمارتكم بمساعدتهم، هو أيضًا رأى مقنع لي»

اختلفت وجهات النظر، وطرح الأمير فيليب الأمر للنقاش أمام الجميع، كل منهم قدم ما يسوق به صحة وجهة نظره، وما يتبعها من نجاحات لهم، وما يتبعها من سلبيات، مالت الكفة تارةً هنا وأخرى هناك، إلى أن استقروا على الرأي الثاني، لن ننتظر مكتوفي الأيدي، بل سنتحرك في كامل

الجبهات.

قرر الأمير فيليب، أن يقود جزء من قواته نحو ميناء (ريجلون)، لمساندة كيجان ورجاله، في معركتهم أمام الملاعين، بينما سيدير أخوه لويس، شؤون الإمارة، على أن يظل الجميع في حالة استنفار وتحفز، لما يحدث في الجنوب، وترقب الوضع في (بوزان)، ومساندة الأمير ليدلي إن لزم الأمر.

***

لم يكن تيري في حاجة للمزيد من المشاكل، التي قد تلحق به في الفترة الحالية، فهو بالفعل يتحتم عليه تحرير (بوزان) من سطوة ليدلي، وإنقاذ أخيه من ويلات الأسر.

تقدم جيشه بكل قوة نحو (بوزان)، لكن التحذيرات القادمة من الجنوب عن وجود متسللين عبر جبال (ألابا)، قد ألقت على كاهله المزيد من التحديات، النيران التحذيرية وحدها هي من أتتهم، ليتوجب عليه اتخاذ قراره بشأن وجهته، أيسلك طريقه نحو الجنوب لردع أي هجوم، أو توغل محتمل من قبائل الغجر، أم يكمل طريقه نحو (بوزان)؟

اجتمع سريعًا رفقة قادته ومساعديه العسكريين، ليتشاوروا

في أمرهم، كان رأي مساعديه موافقًا لرأيه، بأن يكملوا مسيرتهم نحو (بوزان)، وأن يتركوا أمر الجنوب لقوات الحماية المنتشرة هناك، فمهما كانت محاولات الغجر فلن تكون مزعجة لهم، كما اقترحوا على ملكهم أن يرسل إلى أخيه بافيان في العاصمة، ليقوم بإرسال بعض من القوات هناك نحو الجنوب، لنشر الأمن هناك، فقد كان رأيهم أن تغير الوجهة والأهداف، التي تحركوا من أجلها من العاصمة، سيربك الجيش حتى ولو بقدر يسير، كما أن ذلك سيمنح ليدلي المزيد من الوقت، لترتيب صفوفه في (بوزان) واستمالة المزيد من العامة في صفه، وربما تكون أحداث الجنوب تلك ذريعة له ليثير المزيد من الفوضى في المملكة.

أقر تيري برأي مستشاريه ومساعديه، خاصةً بعدما توافق هواه مع تلك الآراء، ليكتب مرسوم برسالة منه حملها أحد الجنود سريعًا صوب العاصمة، يخبر أخاه بافيان بقراره، مطالبًا إياه بإرسال قوات حماية، وتعزيز إضافية نحو جبال (ألابا)، لتأمين حدود مملكتهم الجنوبية.

***

مع حلول الليل، استطاع قائد قوات الحماية الجنوبية أن يجمع نحو السبعة آلاف فارس، لم يتوقف رجاله عن العمل

طيلة اليوم، حددوا موقع قوات غجر الجنوب، فلم يكن يريد أن ينتظر كثيرًا ليعطيهم المزيد من الأريحية في أراضي الجنوب، علم أنهم يفوقونهم في العدد، لكنه قرر استخدام عنصر المفاجأة، سيقومون بالكر عليهم بالفرسان ليلًا، ليشعلوا معسكرهم ويقومون بحرقهم هناك، وحدد لقادته المساعدين مهمتهم كاملة:

«أيها القادة، سنقوم بالإغارة عليهم لبث الرعب في قلوبهم، سنجتاح صفوفهم بمنتهى القوة، لا أريد اشتباكًا كاملًا لكن إغارة سريعة، نستغل عدم معرفتهم بفنون الحرب, والقتال خاصةً، ونستغل عدم تمركزهم الجيد في جنح الليل، لنشعل كل ما نجده أمامنا، لا أريد أن نأخذ وقتًا طويلًا، سنفعل هذا ونرتد سريعًا لننتظر التعزيزات ونقوم بسحقهم بشكل كامل»

بدت خطته واضحة وسهلة، قسم رجاله لخمس أقسام متساوية في عدد الجند، سيهجمون بشكل طولي ليشقوا قلب جيش الغجر.

بدأ تقدم الرجال نحو السهل الجبلي المتوقع الاشتباك عنده، لم يجدوا طيلة الطريق أي استطلاع، أو مقدمات لجيش الغجر، ليوقن القادة أنهم أمام هواة غير متمرسين على الحروب النظامية، لتزداد الثقة مع تقدم الفرسان نحو

المعركة، ليزيدوا في سرعتهم ويضغطون على خيولهم بالتقدم للأمام.

بدا معسكر جيش قبائل الغجر كالمقابر الخاوية، كافة النيران مطفأة، لا يوجد أي حراسة أمام السهل ومدخله بين التلتين، بعض من الجنود الفرادى منتشرون بشكل عشوائي، وكأن الفوضى قد دبت بين صفوفهم، بعد ما قام به أندرو من تنظيم لصفوف الجيش.

عندما اقترب فرسان الحماية من السهل، وشاهدوا ما أمامهم من فوضى، تقدموا سريعًا نحوهم، لتقترب الأقسام الخمس للفيلق من بعضها، ويبدؤون العبور من بين التلتين بصيحات عالية، ليبدأ جنود الغجر بالتراجع أمامهم، ويطلقون الأبواق عالية، محذرين باقي الجيش، وهم يتراجعون بسرعة نحو قلب الجيش، بينما يتبعهم الفرسان بمنتهى السرعة، قبل أن يستعيد الغجر توازنهم.

لم تكن إلا إشارة البداية، لتضيء السماء سريعًا بتلك السهام المشتعلة، التي أطلقها الرماة المتمركزون أعلى التلتين، بعد أن أعلنوا عن تواجدهم، لتتوجه سهامهم السريعة نحو مسار فرسان الحامية الجنوبية، ليفاجأوا بهذا السيل من السهام المتوجه صوبهم، ثم وجدوا صفوف

المشاة قد تحركت سريعًا، من أقصى جنوب المعسكر المهجور من البداية، صائحين بمنتهى القوة وهم يتوجهون لمجابهة الفرسان بسرعة، ليدرك قائد الحامية أن هذا كمين قد أعد لهم، ليطلب من رجاله أن يتراجعوا سريعًا، تحت وطأة السهام التي أعاقت تحركهم للأمام، لكن لم تكن تلك إلا البداية، ليجدوا فرسان الغجر يهاجمونهم من الخلف، بعد أن اختبأوا بعيدًا خلف التلتين، ليصيح القائد في رجاله أن يصطفوا، ويواجهوا خصمهم ليفتحوا ثغرة للهروب.

لم يكن أندرو مقاتلًا عَادِيًّا، فقد كان من صفوة الحرس الملكي للملك شيرار والحارس الشخصي للأمير ليدلي، ودائمًا ما كان يلقب بأعظم سيافي أرض الوسط، تَقَدم فرسان الغجر وهو يوجه جواده بقدميه، بعد أن حمل سيفين في كلتا يديه، شاهرًا إياهما باتجاه فرسان الجنوب، علت صيحة عالية وهو يتقدم الجميع، بجوار أشوري وأنتيكوس رفيقي رحلته من البداية، تقدموا كالسهم مشكلين رأس الحربة، ليضربوا مؤخرة فرسان الجنوب، أعمل أندرو سيفيه الاثنين كالمقصلة يمينًا ويسارًا، يطيح بالخصوم أمامه بمرونة رائعة، وهو يتلافى الضربات من هنا ويوجهها هناك.

في البداية انبهر به فرسان الغجر، وهو يقاتل بكل جسارة،

ليتبعوه بكل إيمان بقائدهم الحربي, بينما أرهبت جسارته تلك فرسان الجنوب، فقد شاهدوا أمامهم وحشًا كاسرًا يتقدم للأمام، يسقط الفرسان هنا وهناك ما بين جرحى وقتلى.

سريعًا ما أحكم أبناء الغجر كمينهم على مهاجميهم، لتدوم المعركة لوقت قصير، قبل أن يعلن فرسان الجنوب هزيمتهم، واستسلام من تبقى منهم من رجال لهم، ليحققوا انتصارهم الأول في أرض الجنوب، نحو حلم نبوءتهم العظيمة التي أمنوا بها أجيالًا تلو الأخرى.

***

تقدمت قطع الاستطلاع البحرية لمملكة الشرق نحو الشمال, متوجهين صوب الموقع الذي حدده الصيادون في رسائلهم، من اللحظة الأولى بدا قائد تلك السفن متحفزًا لأي قتال ممكن، ووضع جميع رجاله على أهبة الاستعداد، والاستنفار الحربي في حالته القصوى.

في يومهم البحري الثاني، التقوا بقطع الصيد البحرية التي أرسلت الإنذار للجميع، علم منهم القائد ما رصدوه، كان نحو ثلاث قطع بحرية حربية، حجمها كبير للغاية، ويحملون على متن سفنهم مجموعة من العمالقة، بدوا واضحين للعيان من مسافة بعيدة، ليوقنوا أنهم مجموعة من الملاعين.

تأكد القائد منهم عن الموقع الذي حددوه، ليأمر رجاله بمواصلة المسير نحو هذا الموقع في بمنتهى السرعة.

مع حلول ليل اليوم البحري الثالث، بدت سفن الملاعين أمامهم، كانت قطعتين بحريتين فقط، مما يعنى تراجع إحدى تلك القطع، كان حجم السفن الخاصة بهم أكبر منهم حجمًا، لكنهم كانوا يفوقونهم في عدد القطع، فهم معهم خمس قطع بحرية جاهزة للاشتباك.

على متن سفن أبناء الجليد، رصد الرجال تلك القطع البحرية، التي تتقدم تجاههم بسرعة، مما جعل قائد المجموعة، يأمر بأن يكون الجميع على أهبة الاستعداد لهذه المرحلة، كما أمر رجاله بأن يقوموا بإطلاق النيران التحذيرية لتلك السفن، بأن لا تتقدم تجاههم، ليقوم الجنود بإطلاق النيران التحذيرية لثلاث مرات متتالية، لكن لم يكن هناك أي توقف من جانب سفن أبناء الشرق، ليتم إعلان الاستنفار على كلتا السفينتين، ويأخذ الجميع مواقعهم القتالية.

مع إطلاق النيران التحذيرية بعدم التقدم تجاه السفن المعادية، طالب قائد سفن الشرق رجاله، بأن يستعدوا بكامل قوتهم للاشتباك معهم، ليزيد من تقدم قواته للأمام، وقرر أنه سيقتحم ما بين السفينتين بسفينة القيادة التي يقودها،

ويتبعه سفينتين معه، على أن تحيط السفينتان المتبقيتان بخصميهما من الخارج.

أمر رجاله أن يعدوا مدافعهم، للتصويب نحو السفن فور المرور بجوارها، ليتم إصابتهم بسرعة، وأن يستعد المقاتلون للاشتباك بشكل مباشر واحتلال تلك السفن.

كونت سفن الشرق ما يشبه حربة للأمام، تقدمتهم سفينة القيادة، ولحق بها سفينتان، بينما آخر سفينتين ابتعدتا عنهم إلى الجانب بعض الشيء، ليتمكنوا من محاصرة السفن أمامهم, وسريعًا ما فطن قائد سفن أبناء الجليد لما يخطط له سفن الشرق، ليعطي أوامر سريعة لرجاله بالدوران السريع، كل مقاتلة في اتجاه معاكس للأخرى، لتقوما بمواجهة سفن الشرق بشكل عرضي، ليفتح رجاله نيران مدافعهم بمنتهى القوة، وبشكل مباغت على سفن الشرق.

مع بعد المسافة بين كلا الطرفين، توقعت سفن الشرق أن تلك الضربات لن تطولهم بأي أذى، لكنهم صدموا بمدى قوة تلك المدافع التي صوبت نحوهم، فقد أصاب الفوج الأول من القذائف، مقدمة سفينة القيادة بشكل أثار الرعب في قلوب الجميع، لكن قائدهم طلب من الجميع التقدم للأمام، ليقوموا بشق تلك السفن بشكل عرضي، ليأتي فوج آخر من القذائف

التي أطلقها أبناء الثلج، لتصيب بعضها سفن الشرق، ليشير القائد لرجاله بأن يستعدوا للاشتباك، بينما تكمل السفينتان الدوران حول محورهما عائدتين للخلف كالفارين منهم، رغم أنهم قد ألحقوا بهم إصابات بالفعل.

صاح قائد سفن الشرق برجاله أن يسرعوا للأمام بالسرعة القصوى، فالأعداء يفرون منهم الآن، لتبدأ المطاردة نحو الهاوية، فلم تكن سفن أبناء الجليد تنسحب بشكل كامل، ولكنهم كانوا يعودون أدراجهم صوب باقي الأسطول البحري، الذي تواجد خلفهم بمسافة ليست بالبعيدة، ليوقن قائد سفن الشرق أنه قد أوقِع بهم بعد فوات الأوان، عندما وجد سفن الأسطول تحيط بهم من كل جانب، يطوقونهم من بعيد مطالبين إياهم بالاستسلام، لكن قائد السفن صاح في رجاله أن افتحوا مدفعيتكم أمامهم، حتى يسقطونا صرعى، لكنه لم يقو على مواجهتهم كثيرًا، فقد كانت قذائف أبناء الجليد أقوى منهم، استهدفت مقدمة ومؤخرة سفنهم فقط، لم يريدوا قتلهم، لكنهم أرادوا إعطاب سفنهم لتبدأ بالغرق، ويبدأ الرجال بالقفز إلى المياه لإنقاذ حياتهم.

صارع بحارة الشرق من أجل النجاة، سفنهم تغرق أمامهم، والجميع قفز في المياه، حاولوا التمسك بأي قطع خشبية

يجدونها أمامهم، فلم يكن لديهم إلا سبيل واحد، ألا وهو الهروب بعيدًا عن سفن الأعداء، قاوموا الأمواج العاتية حولهم, علهم يصلون لبر الأمان، في قرارة نفسهم علموا أنهم يواجهون الموت، لكن حب الحياة هو ما دفعهم للبحث عن النجاة.

تعالت صرخات بعضهم، واستنجادهم ببعضهم البعض، لكن لم يدم هذا كثيرًا, ليجدوا قوارب عديدة تقترب منهم، ومن خلفها سفن أعدائهم، فعلموا أنهم لن يتركوهم يهربون حتى، بل سيكون مصيرهم هو الموت هنا في عرض البحر.

مر الوقت عليهم كأنهم في كابوس، إلى أن اقتربت القوارب منهم، لم تكن إلا قوارب نجاة يستقلها بشر مثلهم، يمدون لهم يد العون لانتشالهم من المياه، وباليد الأخرى مشهرين لهم أسلحتهم لجرهم نحو الأسر.

استسلموا للأسر، فهذا سيعطيهم فرصة أخرى للحياة، لكنهم لم يفهموا شيئًا، ظلوا مرتبكين، فهم يرون بشرًا، وأقزامًا، وعمالقةً، وقناطير، كلهم أسوياء، فهل تعافى الملاعين من لعنتهم، لكن حيرتهم لم تدم كثيرًا عندما صعدوا على متن سفنهم، ليعلموا من هؤلاء أنهم أناس قد غادروا (زاندو) منذ زمن بعيد، ولكنهم قرروا العودة الآن.

على متن السفينة الملكية، وقف قادة سفن الشرق، محاطين بجنود الحرس الملكي الخاص بالملكة إلينا، اصطف قادة جيش الجليد في مشهد مهيب، عندما أعلن الحاجب الملكي، عن وصول الملكة إلى سطح السفينة، ليقوم الجميع بتحية عسكرية لملكتهم، التي خرجت عليهم تتشح بدرع حربي ذهبي، مرصع بأربع أحجار كريمة كالتي على تاجها، ليشير كل حجر منها لجنس من أجناس مملكتها، البشر، والأقزام، والعمالقة، والقناطير.

تقدمت الملكة حتى توسطت قادتها، لتواجه المأسورين من أبناء الشرق، وتوجه حديثها لهم.

: «مرحبًا بكم على متن السفينة الملكية أيها السادة، أعلم أنكم تتساءلون من نحن، ولِمَ نتواجد هنا بالقرب من أرضكم، كما أتوقع أنكم في بادئ الأمر، قد توقعتم أننا من الملاعين، لكن في حقيقة الأمر نحن منكم، من أبناء (زاندو)، لكننا غادرنا أرضنا الأم منذ قديم الأزل، اعتقد أن رجالي بالفعل قد أخبروكم من نحن، ومن أنا، فنحن لسنا هنا من أجل خوض حرب معكم، لكننا مستعدون لخوض أي حرب قد تفرض علينا، فنحن نمتاز عنكم بتوحدنا وتنوعنا، وتقدمنا العسكري، واعتقد أنكم شاهدتم الفرق ما بين سفننا وسفنكم الحربية»

قطعت الملكة حديثها الرسمي لتتقدم للأمام لتصبح على مقربة من الأسرى قبل أن تحول نبرة صوتها لحديث ودي معهم:

«أيها السادة، أنتم هنا لستم في الأسر، ولا ننوي بكم أي سوء، لكننا أتينا لنجدة أهل (زاندو)، فلا تعتقدوا أن الملاعين سيتركون قادتكم الجدد، أو من خانوا ملوكهم هكذا لوقت طويل، بل سيطيحون بهم؛ ليحكموا سيطرتهم على أرض (زاندو)، إننا هنا أبناء الجليد، من أجل مد يد العون والمساعدة لكم، نريد أن نطيح بأولئك الخونة، وأن نعيد الأرض لأهلها، فلا اعتقد أنه يوجد مواطن حر من أبناء (زاندو)، سيقبل أن يحكمه خائن، لذا أيها السادة، نحن نمد يد العون لكم، ونتمنى أن تنضموا إلينا، من أجل تحرير أرضكم من الخونة الذين يحكمونها أولًا، ومن خطر الملاعين ثانيًا ولكم حرية القرار، إن وافقتم فأهلًا بكم معنا، وإن رفضتم فيمكنكم العودة إلى أرضكم، لكن لتنشروا بين العامة من نحن، ولتخبروا ملككم الخائن أنه لا طاقة له بنا»

***

7

مع حلول الصباح، كانت أثار المعركة قد انتهت، لم يتوقف أبناء الغجر، عن العمل طيلة الليل، حققوا الانتصار في مواجهتهم الأولى، نعم امتلكوا اليد العليا من البداية، نظير عددهم الأكبر، لكنهم أيضًا امتازوا بتكتيك حربي مميز، قام به قائدهم الحربي الجديد.

خيروا الأسرى بين أن ينضموا إليهم، في حربهم هذه لنجدة الأمير ليدلي، وتحرير أرض (زاندو) من سطوة الخونة والملاعين، وما بين البقاء في الأسر، إلى أن يقضي الأمير ليدلي في أمرهم، لم يأخذوا منهم جوابًا، بل أمهلوهم حتى يصلوا نحو (بوزان).

استعد الجيش للتحرك من جديد مع بداية إشراق النهار، لكنهم قبل ذلك أقاموا مراسم الجنازة، لمن سقطوا في أرض المعركة من كلا الجانبين، ليقوم كبير الكهنة بتأبينهم. استعد الجميع لحزم أمتعتهم، بينما تقدمت سرايا الاستطلاع بقيادة «برانكو»، الرجل الذي يعرف خبايا مملكة الجنوب جيدًا هو ورجاله.

قبيل الرحيل أشرقت شمس أخرى على معسكر الجيش،

لم تكن شمس (زاندو), لكنها كانت شمس أديلا , فقد قطعت رفقة والدها لوكاس, مسافة يوم كامل في الترحال, ليصلوا نحو معسكر الجيش.

شعر أشوري بشمس أديلا تضيء حياته بأكملها, فلم يكن له على قلبه سلطان إلا سلطان حبها, تقدم لوكاس مباشرة وابنته, نحو القائد إيكابي, ليقدم التحية لقادة القبائل في أرض (زاندو), ويوافيهم بما لديه من أخبار.

لم تفارق عينا أشوري وجه أديلا, حتى انفصل عن كل ما حوله, لم يكن يسمع شيئًا, أو يعقل أي شيء آخر, حتى لكزه أنتيكوس ليلتفت للحديث حوله, فقد كان والده يسأله في أمر ما قبل أن يحدثه:

«ما بك يا بني, أهناك أمر ما يشغل خاطرك, أو حدث شيء ما؟, فأنت لست منتبهًا معنا»

- «اعتذر منك يا سيدي, أنا معك»

- «حسنًا يا بني, فيما كنا نتحدث؟»

- «ها؟, اعتقد أننا كنا نتحدث عن ال... عن الزواج يا والدي, عن الزواج»

انفجر الجميع من حوله بالضحك, فقد بدا على الفتى

الحيرة، وعدم التركيز الكامل، فقد فضحت نظراته وملامحه، بأنه قد شغف حبًا بإحداهن، ولم يكن متواجد غير واحدة فقط، وقد احمرت وجنتيها، بينما أشوري سعى للتركيز، واستعادة كامل ثباته محدثًا والده:

«والدي وزعيمي وقائدنا السيد إيكابي، اعلم أن هذا ليس التوقيت المناسب، لكني لم أعد أقوى على الكتمان، مولاي، إني أريدك أن تشرفني، وأن تخطب لي أديلا ابنة السيد لوكاس، لتكون زوجةً لي»

ساد الصمت بين الجميع، وهم يترقبون قرار الزعيم إيكابي، على طلب ابنه المفاجئ، والذي يأتي في وقت غير مناسب بالمرة.

حاول لوكاس أن يتحدث معتذرًا للزعيم إيكابي، عن أي سوء فهم قد حدث في الأمر، لكن إشارة الزعيم إيكابي، جعلته يبتر حديثه صامتًا، قبل أن يشير إلى أديلا أن تتقدم للأمام، لتقترب هي منه في خجل ودلال، لتنحني بكل أدب أمام الزعيم إيكابي، الذي وضع يديه على كتفها مطمئنًا إياها:

«أي بنيتي، لقد عهدت هذا الفتى أشوري، لا يشغله شيء إلا فنون القتال والصيد، وأمور المقاتلين، لكن منذ عودته

لنا من رحلته إلى أرض (زاندو)، علمت أنه قد فتن بإحدى الحسناوات، والتي أثارت لبه وتملكت قلبه، حقًا كنت في شوق لرؤية من فتنته، وها أنتِ أمامي، غادة من حسناوات السماء قد حلت على أرضنا، ولذا يا بنيتي، فإني وإن وافق أبوك عزيزنا لوكاس، وأنتِ من بعده أن تكوني زوجة لابني، وشريكة له في حياته، فسيكون هذا من حسن طالعنا، أن نبدأ رحلتنا في أرضنا الأم بزواج به رباط مقدس»

ازداد خجل أديلا، ولم تقو على التفوه بأي كلمة، وبدت السعادة جليةً على والدها، الذي لم يقو على تأكيد موافقته، إلا عندما اقترب منه الزعيم إيكابي ليطمئنه، بينما أشوري بدا كالأطفال الصغار فرحًا بشكل هستيري.

قبل أن يتحرك الجيش من مكانه، اصطف الجميع متابعين بكل شغف، لمراسم الزواج الدينية، التي قام بها كبير الكهنة ليبارك هذا العرس، ويعلن كلا من أشوري وأديلا زوج وزوجة، ليبدأ الجيش في التحرك نحو (بوزان)، بينما السعادة غمرت كلا الزوجين، فقد امتطى أشوري جواده، ومن خلفه عروسه تطوقه بكلتي يديها بكل دلال.

***

في قلعة (بلاجا)، نَعِم القائدان أمان، وأجريوس، بالراحة

رفقة رجالهم, فلا مزيد من الحروب على كاهلهما, لكنهم انشغلا باستيطان مملكة الشمال, وانتشر العامة من الملاعين, في كافة القرى والمدن الصغيرة, رفقة بعض السرايا العسكرية للعيش فيها, كان دورهما إشرافيًا روتينيًا, لكنهما لم يوقفا تدريبات جنودهما العسكرية, ليكونوا على استعداد لأي متغيرات قد تحدث, ويبدو أنها قد كانت في الطريق.

رسالة أولى تأتي من مدينة الشمس عبر الطير, حملها الجنود مباشرةً نحو قادتهم. أطلع أمان عليها بسرعة, قبل أن تتغير ملامحه, وهو يطلق بعد الألفاظ النابية تجاه أهل (زاندو), قبل أن يسأله أجريوس عما حملته هذه الرسالة.

: «إن أولئك الحثالة, يستفسرون عن إن كنا ننوي مهاجمة مملكة الشرق عبر البحر, فقد رصدوا عدة سفن لنا هناك»

- «عن أي سفن يتحدثون؟. أنا لا أعلم أننا نملك سفن بحرية أو جيش بحري, إلا إن كان هناك شيء سري لا أعلمه»

- «لا يوجد شيء سرى, إما أنهم يسعون لنقض عهدهم معنا, أو أنهم متوهمون»

- «اعتقد أنهم يسعون لإيجاد أي ذريعة لإشعال الحرب,

فنحن قد مكنا أولئك الحثالة, من الجلوس على عروش ممالكهم, ربما يرون أن دورنا قد انتهى معهم, وهم الآن يفكرون في مهاجمتنا»

- «إن كانوا يفكرون في هذا يا عزيزي, فأقسم لك باسم (السيد) أنني سأشعل أرضهم بأكملها»

أخذ أمان يتوعدهم بكل غل وغضب, إن كانوا ينوون الغدر بهم, لكن قال إنه سينتظر رسولهم القادم في الطريق, ليعلم على ماذا ينوون, لكنه وجد أجريوس شاردًا فسأله عما يدور في خلده.

- «ماذا إن كانوا لا يتوهمون, وبالفعل رصدوا سفن غريبة على حدود سواحلهم؟, هذا يعنى أن هناك طرفًا آخر قد دخل في الصراع»

- «وأي طرف هذا الذي يقوى على الدخول في هذا الصراع؟»

- «لا يوجد غيرهم, سكان الأرض التي لا نقوى على الوصول إليها, إنهم أهل الجليد»

- «سيكون هذا أمرًا رائعًا, إن صدق حدسك يا صديقي, وقتها سيلقون حتفهم على أيدينا, لندعهم يقتتلون على كلا

الجانبين، ووقتها نضرب نحن ضربتنا القاضية»

- «هذا إن صدق حدسي، اعتقد أنه يجب أن نخبر حكمائنا بالأمر»

***

في (بوزان)، كان الجميع على أهبة الاستعداد، أولًا- لانتظار المدد القادم من أقصى الجنوب، وثانيًا- لمواجهة جيش تيري الذي يزحف إليهم، لم يتوقف رجال الاستطلاع عن العمل، بل انضم إليهم رجال برانكو، من أبناء المنجالا المنتشرون في كل بقاع المملكة، الأخبار توالت إلى الأمير ليدلي من كل حدب وصوب، أبناء الغجر قد وصلوا بالفعل وخاضوا معركتهم الأولى، نحو أربعين ألف مقاتل قد أتوا لنصرته، ليأمر رجاله بالعمل على تجهيز أماكن انتظارهم، فهو يعلم أن القلعة لن تسع كل هذا العدد من الرجال، فسيتوجب عليهم العسكرة خارج أسوار القلعة.

وعلى الجانب الآخر الرجال يرصدون تحركات جيش تيري، والذي خرج بكامل عتاده، بقوات تناهز الخمسين ألف مقاتل، أي أن الحرب ستكون الآن متكافئة عدديًا في المعركة المقبلة، لتدب الحماسة بشكل أكبر في قلوب رجاله وقادته، ولكن كان له رأى آخر:

«أيها السادة، اعلم أن الجميع سعيد، بالمدد القادم إلينا في الطريق، لكن القلعة غير قادرة على استيعاب هذا العدد، مما سيجبرنا على إقامة مخيمات خارج القلعة، وهذا سيجعلنا مكشوفين للغاية، في مواجهة جيش تيري، حتى وإن تساوت الكفتان عدديًا، لكننا فقدنا عنصر التحصن بالقلعة، فالمعركة المقبلة ستكون معركة مفتوحة، لذا أيها السادة، علينا أن لا نتوقف عن العمل.

سيد إدجار، أريدك أن تنشر رجالك على طيلة الطريق، ليسهلوا تقدم جيش «المنجالا»، سيد أداميوس، أنت ستذهب شخصيًا لاستقبالهم، واستقدامهم لهنا، أما أنت سيد جراكوس، هل حسمت قرارك بالبقاء معنا أم العودة إلى قلعة (بنتلي)؟»

- « أنا باقٍ هنا معك يا مولاي. سيكون شرف لي، أن أخوض حرب التحرير تحت قيادتك.

- «هذا هو ظني بك، لذا بما أنك من أبناء مملكة الجنوب، ومن قادة جيشها السابقين، أريدك أن تدرس المكان جيدًا حول القلعة، لتختار أفضل مكان يكون ساحة المعركة لنا، وسيساعدك السيد مارتي في هذا، وأنت ديجو، لتشرف على تحصينات القلعة بشكل كامل، أيها السادة. أريد أن نختار

مكان مميز لنا لخوض الحرب, وأريد أن نجعل هناك خط إمداد مباشر, بين القلعة ومكان المعركة, يعطينا امتياز في حربنا هذه»

- «سيدي. اسمح لي أن أبدي رأيي الشخصي, نحن لا نحتاج لمكان بعيد نخوض فيه المعركة, هنا أمام القلعة والواجهة الرئيسية لها, يكون سفح كبير, والقلعة بالكامل محاطة بالجبال, لنجعل الجيش بالخارج, أمام أبواب القلعة مباشرةً, سيعطينا هذا عامل التفوق للرماة من فوق أسوار القلعة, كما سيكون ظهر رجالنا مؤمن بشكل جيد, وسنحصر العدو في مكان واحد»

: «أرى أن رأي السيد جراكوس صائب يا سيدي»

كان أداميوس, أول الداعمين لاقتراح جراكوس, ليبدأ الجميع بالتشاور حول الخطة المقترحة, ليكون التأكيد على هذا الاختيار, ليقتنع الأمير ليدلي برأيهم, رغم رغبته في خوض المعركة في مكان بعيد عن القلعة, حتى إن سقط الجيش لا تسقط القلعة أيضًا, ليقتنع في النهاية برأيهم, إما كل شيء أو لا شيء في هذه المعركة.

***

انتشر أخبار الهزيمة التي لحقت بقوات الحماية، للحدود الجنوبية لمملكة الجنوب، كالنار في الهشيم، ليدب الرعب لدى الجميع، من وجود خطر لعدو في أرضهم، يضربها بكل سهولة.

الجميع في الجانب الآخر، كان يعلم بتحرك جيش الملك تيري، نحو (بوزان) لينهي التمرد هناك، الجميع بدا مشتتًا، منهم من رأى أن ذاك الجيش القادم للعدو، هو الخيار الآمن لضرب الظالمين، لتخليصهم من حكم تيري، المعتدي على العرش، لكنهم لا يأمنون ما سيفعله أولئك الغجر بهم، أسيكونون ملاعين جدد على أرضهم، يفعلون بهم كما حدث بأهل الشمال وأهل الغرب؟

أما البعض الآخر، فرأى أن دعم الملك وجيشه، هو الحل الوحيد لحفظ سلامة أراضيهم، ليبدأ بعض الفرسان والجنود، بالخروج بسرعة من مدنهم، متوجهون نحو جيش الملك للانضمام إليه.

أما البقية الباقية، فرأوا المنقذ متمثل في ذلك الأمير، الذي يسعى لإعادة (زاندو) لعهدها السابق في (بوزان)، سليل آل فيرجسون، ليهرعوا إليه محتمين به، ومن استطاع حمل السلاح توجه إليه.

لكن نيران الخطر لم تتوقف عن الاشتعال في مدن الجنوب, الأخبار تتوالى لجيش الملك تيري, ليصله خبر هزيمة قوات الحماية الجنوبية سريعًا, كما وصلته التقديرات المبدئية لجيش غجر الجنوب, بأنهم يناهزون قوام جيشهم المتوجه نحو (بوزان).

نزلت الأخبار على تيري كالصاعقة, فأخذ بعض الوقت لربط الأحداث من البداية, الأحداث قد توالت في (بوزان), ثورة قد أحدثها بعض المساجين من الغجر المتسللين من الجبال, والمتواجدون في (بوزان), مكنت ليدلي في نهاية الأمر, من السيطرة على القلعة, كما قام بتجنيد المساجين فيها, ليكونوا نواة جيش له, والآن يوجد هناك جيش من الغجر يجتاح جنوب مملكته.

مع بعض التفكير وربط الأمور ببعضها البعض, فأولئك الغجر متوجهون نحو (بوزان). ليكون الرابط المنطقي الوحيد, هو أنهم قادمون لمساندة ليدلي, فإن كانوا يفكرون في غزو مملكة الجنوب, فسيكون وجهتهم هي العاصمة, أو أن يعيثوا فسادا في بلادهم, لكنهم الآن لا يسعون إلا لشيء واحد, وهو مساندة ليدلي, فيبدو أن خصمه لم يكن يعبث في (بوزان), بل عقد حلف مع الغجر!

اجتمع تيري مجددًا مع قادته, ليدرس معهم كل ما لديهم, وما قام باستنتاجه, وضع كل شيء على الطاولة أمامهم, وقرروا تغير خططهم, سيتوجهون نحو (بوزان) بكل تأكيد, لكنهم يريدون المزيد من التعزيزات للجيش, فهم الآن لن يواجهوا حفنة من المساجين, يختبئون خلف حصن أو قلعة, بل جيش من الغجر أتى باتفاق مسبق مع ليدلي.

أرسل تيري رجاله لينتشروا في كل البقاع القريبة, ليحضروا الجند من كل مكان, كما أرسل لأخيه بافيان في العاصمة, أن يمدهم بكل ما لديه من جند في الحال, مفسرًا له في رسالته كل ما طرأ من متغيرات.

***

مهما بلغت قوتك, سيأتي الوقت التي تخور فيه قواك, خاصة إن كنت تتلقى الضربة تلو الأخرى, بكل قوة وعنف, بدا هذا جليًا وواضحًا على أسوار ميناء (اللؤلؤة), فرغم قوتها وصلابتها, لكنها بدأت تتأثر من ضربات الملاعين, القصف لا يتوقف على مدار الساعة, الجميع فوق الأسوار يشعر باهتزازها من شدة الضربات, والملاعين يشاهدون هذا الأنين الصامت لهذه الصخور العتية, لكنهم لا يتوقفون عن إيلامها, المدينة بالكامل أصبحت في خطر, ولا يوجد لديهم

المزيد لكي يقدموه.

لم يعد لدى بيدرو ورجاله, أي حيل يقومون بها, حتى فكرة احتماء الجميع بأسوار الميناء الداخلية لم تكن ممكنة التنفيذ, فالمدينة تستوعب ما فيها من نازحين بشق الأنفس, فتوجب عليهم تغير هذه الفكرة, ليدرسوا خطة جديدة لمواجهتهم القادمة.

: «سيد بيدرو، إن تراجع الجميع للميناء لن يكون فكرة سديدة, المكان لا يكفي لاستيعاب أعداد العامة, إلا أن قررنا التراجع بالجنود أولًا لداخل الميناء, ومن يجيد القتال, ومن بعدها ما يمكن أخذه من العامة, وترك البقية لمواجهة مصيرهم»

- «نعم سيد أنطوي, فكرتي لم تكن سديدة. لكنها كانت محاولة أخرى للنجاة, وبكل تأكيد لن نفرط في أحد, فيجب أن نكون نحن حائط الصد الأول للجميع, علينا أن نجد حلًا بديلًا»

- «أيها السادة، اسمحوا لي برأي قد يبدو مجنونًا بعض الشيء, لكنه سيعطينا الفرصة للنجاة ولو قليلًا »

التفت الجميع نحو براجوس, الذي بدأ بشرح خطته, كان

يريد أن تتحول الحرب من طرقها النظامية, لتكون حرب شوارع وعصابات, سيقومون بنصب الكمائن في شوارع الميناء, سيأخذون الأماكن المجاورة الأولى ليفخخوها جميعًا, بعد أن يتم إخلاء تلك المناطق من العامة, فقط يتواجد من يجيد القتال, مقسمين لعدة أقسام, الفريق الأول سيقوم بالدفاع عن أسوار القلعة, كل مهمتهم تأخير وصول الملاعين, لأكبر وقت ممكن عند هجومهم, بعدها سيبدأ التراجع إلى الخلف, ليلحقوا بالفوج الأول من المدافعين, على امتداد أسوار القلعة, وسيتم التراجع زقاقًا تلو الآخر, ومع كل زقاق يتراجعون به, يتم تفعيل الكمائن به ومهاجمة الملاعين, إلى أن يقوموا بإرهاقهم»

- «تبدو الفكرة رائعة سيد براجوس, لكن في النهاية سيكون علينا التراجع للخلف, أعدادهم بالخارج تفوقنا أضعافًا مضاعفة, يجب أن نعلن الأمر للعامة, الجميع يجب أن يكون مستعدًا, ليتم توزيع السلاح على العامة ليدافعوا عن أنفسهم, أيها السادة, نحن سندافع باستماتة عن أسوار المدينة, والخطوط الأمامية لها, أي فكرة للتراجع ستكون نهايتها كارثية, جميع النهايات كارثية, لكن علينا الصمود وتدعيم الجدار دائمًا»

تبادلوا الآراء، بدا اليأس على محيى الجميع، لكنهم اتفقوا على القتال بشرف حتى النهاية، ليضعوا أرواحهم على أكفهم في هذه المعركة الأخيرة.

***

في ميناء (ريجلون)، الجميع في حالة تأهب قصوى، الذعر قد دب في قلوب الجميع، الملاعين في الطريق للهجوم عليهم، الخرافات قد شاعت عن مسوخهم، وما يقومون به من تدمير، الحكايات قد قصت عم ألم بأهل الشمال والغرب، وكيف فتكوا بهم، الجميع يقسم أنه كان في الحرب، أو كان له قريب قد روى له كيف فتكوا بالجنود بسرعة، وحده الذعر هو ما حركهم مجددًا، ليصنعوا أسطورة يخافون منها ويهابونها.

قرر سبستيان قائد الميناء، فرض حظر التجوال على الجميع، بعد أن سادت تلك الشائعات بين الجميع. أراد بقراره هذا أن يمنع الشائعات، وأن يرفع الروح المعنوية بين الجميع، لكن ما حدث كان عكس ذلك، فقد أثر هذا القرار بشكل عكسي، الجميع في المنازل قد ازداد الخوف بداخلهم، الخرافات تكاثرت، الجميع أيقنوا أنهم مقبلون على الموت لا غير.

لم تدم تلك الحالة كثيرًا, فالجميع فجأة شعروا بالحياة تدب في شوارع المدينة, ليخرج الجميع ويشاهدوا موكب الملك كيجان, وهو قادم على رأس الجيش استعدادًا لخوض الحرب, خرج العامة جميعًا للشوارع, يستقبلون الجنود كالأبطال المنتصرين, محفزون إياهم لردع هجوم الملاعين, لتسود الأفراح بين الجميع, وترتفع المعنويات فيما بينهم.

فور وصوله لميناء (ريجلون), اجتمع الملك كيجان بالقائد سبستيان, ليعلم منه كل ما لديه من مستجدات وأخبار, ليأمر على الفور بإنهاء حالة حظر التجوال, ويعنف سبستيان على قراره هذا, فهو بذلك يزيد من الشائعات.

طالب الملك بأن ينادى في كل أرجاء الميناء, ليحتشد الجميع أمام قصر الحكم في الميناء, ليخرج لهم من شرفة القصر مخاطبًا إياهم ومحمسًا الجميع, ومطمئنًا لهم جميعًا, فهو هنا للدفاع عنهم, وصد أي خطر قد يقترب منهم.

حاول أن ينتقى الكلمات الحماسية والمطمئنة, لتعلو صيحات الجماهير باسم الملك, لينهى خطابه متمنيًا للجميع أن ينعموا بحياة هادئة, وأن يقوموا بأعمالهم من جديد مرة أخرى.

اجتمع كيجان بعدها بشكل عاجل بقادته من جديد, بعد أن

طمأن العامة وأرسى الهدوء نسبيًا في أرجاء الميناء.

- «سيد سبستيان, ما هي أخبار الاستطلاعات التي قمتم بها للآن؟»

- «في الواقع يا سيدي, قد تحركت خمس قطع بحرية, لتقوم بتمشيط السواحل القريبة, من حدود المملكة البحرية, الأوامر وجهت لهم بأن يقوموا كل يوم بإرسال تقرير سريع عبر الطير, والرسائل أوضحت إن كل الأمور هادئة, أما آخر تلك الرسائل وصلت أول أمس, أنهم سيصلون للموقع الذي شاهد فيه الصيادون سفن الملاعين, وكانت تلك هي آخر رسالة قد وصلتنا منهم للآن يا سيدي»

- «حسب رأيك سيد سبستيان, متى يتوقع وصول رسالتهم التالية؟

- «من المفترض أن تصل اليوم, أو مع صباح الغد على أكثر تقدير»

- «أتمنى أن يصل منهم رسائل مطمئنة, لكن ما هو الوضع العسكري للأسطول البحري الخاص بنا؟»

بدأ القائد سبستيان, باستعراض عدد القطع البحرية القابعة بالميناء, ومدى تسليحها وجاهزيتها, كما استعرض حجم

القوات الدفاعية الموجودة بالميناء, وحجم المؤن والعتاد المتاح, وما يلزمهم من مؤن أخرى, كما استعرض عدد سفن الصيد المتواجدة, وما يمكن استخدامه منها, بتسليحها بشكل سريع, لتكون داعمة لسفن الأسطول البحري في المعركة المحتملة.

- «حسنًا سيد سبستيان, كل هذا جيد, أريد أن تقوم السفن البحرية, بدوريات استطلاعية على المناطق القريبة من الميناء, تأهبًا لأي شيء»

بدأ كيجان بعقد مجلس الحرب الخاص بهم, ليدرس أفضل الطرق بتأمين الميناء على الوجه الأمثل, على الصعيد البحري والبري, على كلا الاتجاهين.

***

عمل أرجان على تحفيز رجاله, بالاستمرار في قصف أسوار ميناء (اللؤلؤة) بشكل كامل, ليرى الجميع نتاج هذا القصف على أسوار المدينة, التي بدأت تتصدع أمامهم.

وضع خطة هجومية أخرى لرجاله, فقد قام بتدريب العمالقة والغيلان, المتواجدون معه بشكل كامل, لكي يكونوا حصينين ضد اللهب والقذائف, كما عمل على تدريب الآلات

العملاقة التي يستخدمونها في هدم الأسوار.

قرر أن يبدأ الهجوم ليلًا، لكنه ليس هجومًا كاملًا، سيقوم رجاله بالتحرك نحو بوابات القلعة، يدفعون تلك الآلات للأمام، سيكون مهمتهم التقدم والعمل على إضعاف تلك البوابات، طالبهم بالصمود لأطول وقت ممكن، وأن يستمروا في العمل بكل قوة، وأن يكون تراجعهم، فقط في حالة عدم القدرة على الصمود لوقت أطول، وأن يتركوا الآلات هناك، لكي يعيدوا الكرة من جديد مرة أخرى في حال فشلهم في المرة الأولى، لكن سيكون وقتها قد نجحوا في إضعاف الدفاعات، ليكون الهجوم التالي أكثر قوة.

طالب الفرسان والقناطير أن يتقدموا لمساندتهم، بالمناورة ولفت أنظار المدافعين فوق القلعة، سيكون تقدمهم هو بداية الخطة، ليشكل خطًا أماميًا يحمى به الغيلان والعمالقة، ليفسحوا لهم المجال بعد ذلك بأن يصلوا نحو تلك الأبواب.

حدد مسارات تحرك هذه القوات على طيلة خط المواجهة، كما طالب فرق القصف بالمقاليع والمنجنيق، أن يتقدموا للأمام بعض الشيء مع وقت الهجوم، ليستهدفوا أعلى الأسوار وداخل القلعة وليس الأسوار، في حينها أراد أن يحدث نوع من الفوضى، كما وضع باقي الجيش في حالة

استعداد قصوى، ليدعموهم في حال نجاحهم في مهمتهم ليكون الاقتحام كاملًا.

***

مع حلول الغروب، توافدت طلائع جيش قبائل الجنوب على قلعة (بوزان)، تعالت الصيحات في القلعة، من جنود الأمير ليدلي، فالمدد قد وصل أبوابهم بالفعل، تقدم أندرو تلك الطلائع، ليتوجه مباشرة نحو قائده، استقبله ليدلي بحفاوة وأخوة كبيرة، ليس كأمير وقائد عسكري لديه، بل استقبله كأخ لم تلده أمه.

- «مولاي، حمدًا للآلهة أنك بخير، لقد وصلتني أخباركم، وما قمتم به من بطولات هنا في (بوزان)، الآن يا مولاي يمكننا أن نعود نحو مدينة الشمس، وأن نحرر (زاندو) بأكملها، فلم يُخب أشوري حدسك، فقد أتينا بالمدد، أربعون ألف مقاتل يؤمنون بنبوءتهم، وأميرهم الموعود الذي سيعيد (زاندو) لسابق عهدها، بل سيدخلها في عهد جديد لم تشهده من قبل»

- «حمدا للآلهة على عودتك يا صديقي، أرى الحماس قد دب في أوصالك من جديد، لكن علينا أن نعمل بجد، فتيري يحشد جيش جرار يتقدم به نحونا الآن»

تبادل الاثنين الكثير من الأحاديث في عجالة, قرر الأمير ليدلي أن يغادر القلعة معه بسرعة, ليستقبل زعماء القبائل, القادمون لمساندته في حربه هذه, بينما رجاله قاموا باستقبال القوات التي وصلت القلعة, ليرتبوا أماكن تواجدهم, واصطفافهم بداخل القلعة وخارجها.

وصل ليدلي نحو الزعماء ليستقبلهم, ليقوم أندرو بتعريفه عليهم وتعريفهم عليه, ليصافحهم ليدلي بكل ود مرحبًا بهم:

أيها السادة, أهلًا بكم في أرضكم ووطنكم الأم, مرحبًا بكم: في (زاندو), حقًا لا أعلم كيف أعبر لكم؛ عن خالص شكري وامتناني لما تقدموه لنا من دعم, لكن هي أرضكم, وهذه هي نبوءتكم, لا يمكنني أن أنكر أنى قد شعرت بأن الأمر بأكمله محض أحلام, لكنه الآن واقع يجمعنا نحو هدف واحد, ألا وهو جعل هذه الأرض لنا جميعًا, أن تسع كل حر وصاحب حق, لنبدأ معًا العمل نحو بناء عالم جديد.

أنا لست ملكًا, ولكني رجل يدافع عن الحق, يدافع عن الأرض والعرض, لا أريد إلا تحرير أرض أجدادنا وأسلافنا, لا أملك شيء لأعد به, لكني أملك عهدي معكم, بأن تكون هذه أرضنا جميعًا, وأن نختار جميعا ملكها معًا, حين نطرد كل خائن ودَنِس منها»

تبادل الزعماء مع ليدلي الترحاب والكلمات, رأوا أن قدومه لهم خارج القلعة وعدم انتظاره لهم, هو تشريف لهم, وهو رآهم سيف الحق الذي سيقطع به رقاب الباطل.

***

8

مع إحكام الظلام لسيطرته، على كل شيء في محيط ميناء (اللؤلؤة)، بدأ الملاعين بالاستعداد لتنفيذ خطتهم لإسقاط القلعة، المقاليع والمنجنيق تقدمت للأمام، لتبدأ بالقصف بمستوى أعلى، يستهدف ما داخل القلعة وليس أسوارها.

الارتباك أصاب الجميع بداخل القلعة، الملاعين يغيرون من أسلوب القصف والهجوم، القادة اعتلوا الأسوار رفقة جنودهم، متوقعين أن الهجوم سيبدأ الآن، لكنه القصف وحده، هو ما استمر عليهم بشكل كثيف، صعب معه توجيه القصف نحو صفوف الملاعين، الجميع بدأ يحتمى من شدة القصف، فقط يراقبون أي تحرك من الملاعين.

لم يكن القائد أرجان متسرعًا في خطوات هجومه، بل أراد أن يستمر القصف لأكبر وقت، حتى يزيد من إرهاق المدافعين خلف أسوار القلعة، ليبدأ مع انتصاف الليل، في تنفيذ الشق الثاني من الهجوم، بدأت صفوف الفرسان والقناطير في التقدم للأمام بشكل حذر، ليلفتوا انتباه المدافعين فوق القلعة، ليبدأ الرماة بالظهور وتصويب سهامهم تجاههم، لكنهم كانوا في مدى بعيد بعض الشيء،

محتمين بدروعهم الجديدة، لتبدأ موجة جديدة من القصف، تستهدف النقاط التي يتمركز عليها الرماة.

بدأ الملاعين يتقدمون شيئا فشيئًا نحو أسوار القلعة، ليقرر المدافعون خلفها بأن يكون الدفاع من النقطة الأخيرة، عندما يصبح الملاعين أسفل الأسوار.

استمر تقدم الملاعين بشكل حذر، حتى وصلوا لنقطة لا يستطيع الفرسان التقدم عنها، وإلا أصبحوا في مرمى السهام بشكل مباشر، ليفسحوا المجال للعمالقة والغيلان الذين اندفعوا بمنتهى، القوة فالغيلان كانوا في المقدمة يسحبون آلاتهم العملاقة، بيمنا العمالقة يدفعون من الخلف بقوة كبيرة، لم يكن التقدم عشوائيًا، بل صحب كل فرقة منهم مجموعة من رماة العمالقة بأقواسهم وسهامهم، العملاقة يأمنونهم ويقومون بالتصويب نحو أسوار القلعة، ليسقطوا كل من يظهر للأعلى، فهم يمتلكون أفضلية القوة البدنية، وضخامة الأسلحة، بينما افتقد المدافعون عن ميناء (اللؤلؤة)، السور الأمامي للقلعة، الذي احتموا به في المواجهة الأولى.

تقدم الملاعين للأمام بسرعة، حتى وصلوا نحو أبواب القلعة المنتشرة على طيلة الأسوار، سارع الجنود لتدعيم

الأبواب لكي يقوموا بصد هذه الهجمات, بينما سارع الجنود في الأعلى بتصويب رماحهم وسهامهم نحو الملاعين, وسرعان ما قاموا بقذفهم بقدور الزيت والمواد الملتهبة, في المقابل احتمت غيلان وعمالقة الملاعين بالدروع الحديدة العملاقة, التي قاموا بتركيبها فوق معداتهم, كما احتموا بدروعهم الجديدة ليصمدوا أمام تلك الهجمات دون أي أثار كبيرة تصيبهم.

تزايدت وتيرة القذائف الموجهة نحو القلعة, الجميع يحاول الاحتماء من هذا الخطر, كما يحاولون صد الهجوم بالأسفل, ليصدر القائد بيدرو, الأوامر بتراجع العامة إلى الخلف, ليحتموا بالميناء والمخبأ أسفل المدينة, ليبدأ الانسحاب المخطط له, بينما حفز رجاله على التقدم سريعًا نحو الأبواب, لتدعيمها من هذا الهجوم.

ظل القائد أرجان, يشاهد رجاله وهم يتقدمون بمنتهى القوة, لمعت الابتسامة على محياه, فهذا نتاج عمله مع رجاله في الأيام الماضية على تدريع معداتهم, ليشاهدهم وهم صامدون أمام المواد الملتهبة التي لا تؤثر فيهم.

أمر فرق المقاليع والمنجنيق أن تتقدم مرة أخرى للأمام, ليكون قصفهم أكثر تأثيرا, فيما طالب الرماة من جيشه, أن

يتقدموا هم أيضًا للصفوف الأمامية رفقتهم، ليحاولوا إمطار أسوار القلعة بسهامهم.

استمر الوضع طيلة الليل بهذا المنوال، الملاعين يحاولون كسر الأبواب الفولاذية، بينما أبناء الغرب يحاولون صد الهجوم الشرس، عمل الملاعين على إحداث التناوب بين المهاجمين، فقد قسم قائدهم فرق الهجوم لمجموعات، كل فرقة تحاول الصمود لأطول وقت ممكن لها، ثم يتراجعون ليحل مكانهم مجموعة أخرى، يواصلون العمل بنفس الآلات، لتأتيه الإشارة من رجاله، أن الأبواب بالفعل بدأت تتصدع أمام ضرباتهم، ليعلن عن تطوير الهجوم بشكل أكبر، مستخدمًا الأبراج العملاقة، أسلوب هجومي جديد استخدمه، ببناء أبراج من الخشب، قاموا بتدريعها بدروع المقاتلين، ليقوم الجنود بدفعها للأمام نحو القلعة.

ارتكزت الخطة على مهاجمة الأبواب لا غير، برجان عملاقان تقدما صوب كل باب، ليدفع الغيلان والعماليق والأوراك الأبراج التي حملت على متنها مقاتلي الملاعين، كانت مهمتهم الاستيلاء على الأسوار وفتح الأبواب، وتقدموا للأمام في شكل صفوف طولية.

بدا منظر الأبراج وهي تتقدم نحو الأسوار، كالمفاجأة

للجميع, ليطلب القادة من رجالهم أن يقوموا بالتصويب نحو الأبراج, وإعاقتها من التقدم للأمام, ومحاولة ضربها بالمقاليع.

أيقن بيدرو أنها النهاية له ولرجاله, أصيب بصدمة شديدة في البداية, أخذ يشاهد تلك الأبراج وهي تتقدم حتى وصلت نحو الأسوار, ليبدأ تدفق طلائع الملاعين منها, حشد قادته الرجال عند تلك النقاط ليحاولوا صدهم, لكن الأعداد كانت تزداد فوق طاقتهم, أسقطوا الكثير من الملاعين وسقط منهم العديد من الرجال.

لم يكن يمتلك حلاً آخر لصد هذا الهجوم, إلا التراجع للخلف والقتال في الشوارع, ناصية بأخرى لينصبوا لهم الفخاخ, أعطى الأمر لرجاله بالتراجع, لتعلو الأبواق للجيش, ليتراجعوا للخلف ويبدأ الانسحاب, لكن ما حدث أن الملاعين لم يتقدموا للأمام, بل تمركز من تقدم فقط فوق الأسوار لا يريدون التقدم, بل سخروا كل جهودهم على فتح الأبواب, ليأمنوا تقدمهم قبل كل شيء.

مع تراجع أبناء الغرب للخلف, أعطوا فرصة للملاعين ليصطفوا من جديد, بل إن هذا الاصطفاف قد أربك حساباتهم وخطتهم, فقد كان المتوقع أن يستمر الهجوم

ليقوموا هم بإشعال الطرقات أمامهم بالنيران, لكن حذر الملاعين وتوقفهم أثار الخوف في نفوس الجميع, لتأتي لحظة غير محسوبة, قام فيها بعض الجنود من تلقاء أنفسهم بإشعال قدور الزيت, لتشتعل النيران وتصبح عائقًا بين كلا الطرفين, أتى تعنيف قادتهم لهم, لكن ما حدث قد حدث, الآن النيران أقرب لأبناء الغرب من الملاعين, ليتراجعوا هم للخلف أكثر.

وصلت الإشارة سريعًا بوجود النيران للقائد أرجان, ليعطي الإشارة لرجاله بالتقدم, فهذا ما كان ينتظره, أن يرى فخاخ أبناء الغرب, انطلق فرسان الملاعين والقناطير بدروعهم نحو الأمام, مجتازين أبواب القلعة, ليصطف جيش الملاعين بالكامل بداخل القلعة, الرماة اعتلوا الأسوار وسعوا لتوجيه سهامهم لأبعد مدى ممكن, علهم يسقطون القتلى والفوضى بين المدافعين عن قلعتهم, حاول المدافعون التمركز أعلى المباني وفي الأزقة, ينتظرون تقدم الملاعين الذي تأخر أيضًا, فقد تقدم القائد أرجان نفسه ليعتلي الأسوار, ليعطي إشارة الموجة التالية من الهجوم لرجاله, ليقتحم العمالقة والغيلان النيران بدروعهم ليحدثوا ممرات فيها, ويندفع على إثرها المشاة خلفهم.

بدا تقدم الملاعين بطيئا للغاية, لا يريدون التسرع في خطتهم, المهمة الآن الحفاظ على ما اكتسبوه داخل القلعة, والتقدم قدر الإمكان حتى حلول الصباح, لتكون الرؤية واضحة لهم, فهكذا كانت خطة القائد أرجان, لكنه كالعادة سعى لاستغلال كل شيء أمامه, ليأمر رجاله بأن يستخدموا المقاليع الخاصة بأهل الغرب, ليقصفوا بها قلب المدينة.

كانت ليلة مريرة على الجميع في ميناء (اللؤلؤة), الجميع ينتظر الموت بالداخل, العامة يدعون ويصلون عل الآلهة تستجيب لهم, الجنود يقاتلون بكل بسالة, لكنهم يتراجعون خطوات متتالية للخلف, يسقطون قدر ما استطاعوا من الملاعين, لكنهم يواجهون مال طاقة لهم به, من العدد والعتاد, سياسة الموت البطيء هي ما اتبعها الملاعين, التقدم المحسوب للأمام, جعلهم ينجون من العديد من الفخاخ, التي نصبت لهم في شوارع المدينة, المواجهات المباشرة كانت قليلة, لكنها كانت نتاج عمل كبير من أبناء الغرب, لكي يوقعوا بمجموعة بهم بعيدا عن البقية.

الجميع قدم كل ما لديه, الأسطول البحري, وسفن الصيد والتجارة, احتشدت بالعامة بطاقة فوق طاقتها, أعطى بيدرو الأمر لقائد الأسطول, أن يغادروا بما حملوا من الرجال

والنساء، علهم يجدون النجاة بعيدا عن مدينتهم التي تقبع تحت رحمة الملاعين الآن، انقسم المقاتلون دون أي اتفاق لمجموعات صغيرة، كل منها تحاول الذود عن مكان ما يقاتلون بكل شراسة وقوة.

مع حلول أشعة النهار الأولى، تعالت الأبواق معلنة مغادرة السفن للميناء، الجميع بالداخل علموا أنهم وحدهم يواجهون الموت الآن، كان بيدرو، وأنطوي، وبراجوس، على نواصي ثلاث شوارع متتالية، معهم مجموعة من الرجال، بدا عليهم التعب الشديد والإرهاق، كان يمكنهم رؤية بعضهم البعض، اتفقوا فيما بينهم أنها النهاية، ثم أشار لهم بيدرو بتحية من القلب صائحًا بأعلى صوته:

«أيها السادة، لقد كان شرف لي، أن أكون بجانبكم في هذا القتال، ستكون قصتنا هذه أسطورة يرويها الأجيال القادمة، فبكل تأكيد سيأتي وقت نسترد فيه أرضنا هذه»

حياه الآخرون وهم يبادلونه نفس الشعور، علموا أنها النهاية، ليبدؤوا في تنظيم رجالهم، ليستعدوا لمواجهة أخيرة، يعلمون أنهم خاسروها لا محالة.

استجمع الجميع رباطة جأشهم لهذه المواجهة، لكنهم في خضم هذا وجدوا القائد جونزالو، وبحارة الأسطول الحربي

ينضمون إليهم، ليسأله بيدرو:

«ألم تغادروا الميناء يا جونزالو؟، لقد أعطيتك أمر مباشر بهذا!»

- «سيدي، لقد أعطيت الأوامر بأن تغادر السفن وهي محملة بالعامة، وهذا ما حدث، أما أنا ورجالي لن نغادر، لقد جندت الصيادين، والبحارة من العامة ليقودوا السفن، أما نحن فسنقاتل هنا من أجل أرضنا»

أنهى جونزالو كلماته، ليصيح رجاله من البحارة بصيحات النصر، ليبدؤوا في الاصطفاف مع رفقائهم من الجنود، لكنهم لم يكونوا بمفردهم، بل أتى معهم الكثير من الرجال من العامة، يحملون في أيديهم أي شيء يمكنهم القتال به، أرادوا أن يحموا نساءهم وأطفالهم، حتى يمكنوهم من الهرب من هذه الجحيم المحدق بهم، ليتحدوا جميعا على قلب رجل واحد، ينتظرون لحظتهم الحاسمة.

ظل الملاعين على هدوئهم وثباتهم حتى خمدت النيران، وأصبحت الرؤية واضحة للجميع، يرون منافسيهم أمامهم أقل عددًا، ومن خلفهم حالة من الفوضى تدب بين العامة، لمعت في أعينهم نظرات النصر، وبدا على محياهم توعد بالويل لكل من يقف أمامهم.

تقدم القائد أرجان للصف الأمامي، صائحًا بأعلى صوته، طالبًا من المدافعين أن يستسلموا، وأن يحقنوا دماءهم، لكن لم يأته أي رد منهم، كرر سؤاله مرات ثلاث قبل أن يختم حديثه، معطيهم مهلة من الوقت كي يفكروا، من يريد أن يحفظ حياته عليه فقط أن يتقدم للأمام ويلقى سلاحه، قبل أن يبطشوا بهم، ثم ابتسم وأولاهم ظهره، ليعود مشير لرجاله أن يفتكوا بهم إن لم ينصاعوا لهم.

صاح بيدرو وقادته، في الجميع بأن يثبتوا في هذه المواجهة محفزين إياهم، تعالت صيحات بيدرو مرة تلو الأخرى: «اثبتوا، اثبتوا، اثبتوا!»

ليتحفز الجميع لقتالهم الأخير، بينما أتت الإشارة للملاعين لينطلقوا للأمام، بصيحات عالية تخلع القلوب من موضعها، يتقدمون مصطحبين الموت معهم للجميع، لا شيء يوقفهم عن إنزاله بهم.

لحظات مرت كالدهر على كل المدافعين، لا يسمعون إلا لصوت تراتيل الموت في أذهانهم، لم يقطعه إلا ذاك الصوت القادم من بعيد، إنها أجراس الميناء تدق عاليًا أجراسٌ لا تدق إلا أن اقتربت سفن غريبة من الميناء، أجراس جعلتهم بين شكين: إما أنهم الملاعين يهاجمونهم من البحر، ليقضوا

على من يحاول الهروب، أو أنه مدد قد أتى من السماء لمساعدتهم!

مع أصوات الأجراس توقف الملاعين، لا يعلمون ماذا يحدث، ظنوا أنه فخ، كِلا الطرفين تجمد في مكانه، لكنها لحظات قليلة تبعتها صيحات الفرح والنصر من العامة في الميناء، التهليلات تزداد وأصواتهم ترج القلوب، فقد رأوا المعجزة تحدث أمامهم، إنها سفن القديسين تقترب منهم، محملة بالجنود من ممالك القديسين، لقد عاد كلارك وبصحبته المدد، الملك ترادوس ومعه ملوك القديسين قد أتوا لنجدتهم، يحملون على سفنهم ما يزيد عن المائة ألف مقاتل، أطلقت السفن مدافعها سريعًا نحو المحيط الخارجي للقلعة، قذائفهم التحذيرية جعلت الملاعين يصابون بالاضطراب ، بينما أخلى العامة الطرقات سريعا، جنود الإلف لم ينتظروا للحظة، فقد علموا مسبقًا من السفن الفارة من الميناء، فداحة ما يحدث، وبسرعة قفزوا في المياه نحو الميناء، وعندما اقتربت السفن إنزال سريع قد حدث، ليتقدم الإلف بسرعة فائقة للأمام، وانضمت طلائعهم للصفوف الأمامية للمدافعين عن المدينة.

توالت السفن في الوصول، وتوالى قصفهم لمحيط المدينة،

انطلق الملك ترادوس بنفسه رفقة الملوك الآخرين وحرسهم الملكي، ليتقدموا جيشهم مقتحمين شوارع وأزقة المدينة صائحين إلى الأمام!

شعر بيدرو بقواه تخور منه، فالنجدة قد أتت، لتدب في أوصاله فرحة غامرة، وزفر بقوة كل ما حبسه من أنفاس، استجمع رباطة جأشه سريعًا، ليصيح في رجاله أن يتقدموا للأمام.

تغيرت الأوضاع فجأة، الصمت حل على الملاعين من هول المفاجأة، الدروع الذهبية اللامعة لجنود الإلف، عكست الأشعة الأولى للشمس في وجههم، لتتغير كافة القتال مرة أخرى!

شاهد أرجان ما يحدث بذهولٍ شديدٍ، صاح في رجاله بأن يتقدموا للأمام، وألا يتراجعوا مهما كان ما أمامهم، إنها معركتهم الآن، ركض كلا الجانبين تجاه بعضهم البعض، سارع الإلف بنصب مدافعهم التي تحمل المواد الملتهبة، ليصوبوها سريعًا صوب الملاعين، ركزوا ضرباتهم عليهم ليحرقوا أجسادهم، التحم كلا الطرفين، أحدهم محتل غاشم، والآخر مدافع عن أرضه، يدعمه جيشًا كاملًا أتى لمناصرة الحق.

بدت سرعة جنود الإلف ومهارتهم القتالية, لا يضاهيها شيء في ساحة المعركة, تفوق الملاعين بضخامة وقوة العمالقة والغيلان, لكن حرب الشوارع والأزقة قد حدت من تحركهم.

معركة عنيفة استمرت حتى انتصاف النهار, سقط القتلى على كلا الجانبين, لكن الملاعين كانوا أكثر تأثرًا, تقدم الثلاثي بيدرو, وبراجوس, وانطوي, معًا صوب قائد الملاعين يستهدفون إسقاطه, انضم لهم مجموعة من الجنود ومن الإلف, حتى وصلوا صوبه لينبري لهم أرجان مواجهًا إياهم, فهو يعلم أنه أن هزم سيكون مصيره الموت, فإن يلق حتفه في أرض المعركة, سيكون أفضل له من الهروب منها.

انهال الثلاثة عليه بالضربات من كل حدب وصوب, يحدثون الجروح والإصابات في جسده بسيوفهم, إلى أن تمكن براجوس من زرع سيفه في صدره ليسقطوه قتيلا, علت أبواق الملاعين معلنةً سقوط قائدهم, ليحاول البقية منهم أن يهربوا من أرض المعركة, ومن لم يستطع كان الموت هو مصيره, فلم يرأف بهم أحد, ليعلنوا سيطرتهم على مينائهم وهزيمتهم للملاعين, لكنها هزيمة نكراء ونهائية هذه المرة.

***

لم يعد لديه أي قوة ليستجمعها, جلس يشاهد مدينته التي ولي أمرها بعد أن تحولت لساحة قتال, الجثث من حوله في كل مكان, لكنهم نالوا النصر في النهاية, اتكأ على سفيه يحاول السير, والتف حوله قادته وجنده يهنئونه ويهنئون أنفسهم, ليبادلهم تهاني النصر, ليتقدم بيدرو للأمام قاطعًا الطريق, ليتوجه صوب الملك ترادوس وملوك القديسين, وقف أمامهم بكل احترام, محييًا بانحناءة من رأسه, عرفانًا بما قدموه لهم.

: «سمو الملك ترادوس, سمو الملك لوسيان, سمو الملك بيير, كنت أتمنى أن نستقبلكم في حالة أفضل من هذه, باستقبال يليق بالملوك, لكن أيها السادة, نحن ندين لكم لما قدمتموه لنا من عون, فلا نعلم أي مصير كنا سنلقاه لو تأخرتم قليلًا علينا, لكُنا جميعًا الآن في عداد الموتى, لكن هذا ما يحدث في حضرة الملوك, عندما يهبون لنصرة أصدقائهم»

حياه الملوك بإماءة منهم, ليتقدم الملك ترادوس تجاهه, بابتسامة كبيرة تعلو محياه, ليضع يده على كتفه يشد من أزره قبل أن يحدثه:

«لقد كان هذا أروع استقبال يليق بالملوك سيد بيدرو، إنه استقبال النصر، فساحات المعارك هي ما تليق بنا، كما أننا لم نكن لنتأخر عليكم، فقد ارتبطت ممالكنا وممالكم، بأواصر الصداقة منذ زمن بعيد، وما كنا لنترككم هكذا»

سريعًا ما اصطحب بيدرو، ملوك القديسين نحو قصر القيادة لميناء (اللؤلؤة)، لم يتوقف كلارك عن الإشادة والمدح بملوك القديسين، بدأ يقص على الجميع ما حدث منذ غادر ميناء (اللؤلؤة)، وإلى أن التقوا بسفن الإلف، وكيف اقلوه بسرعة نحو ميناء (راوش)، ومن هناك توجه للقاء الملك ترادوس، وكيف استقبله، ورحب به، بل أنه أعطى الأوامر، بأن يمنحوا كافة المؤن مجانًا من خزينة المملكة، ليظن أن هذا أقصى ما سيحصل عليه من ملوك القديسين، ليبدأ في صباح يومه التالي، في العمل على جمع كل المؤن اللازمة لهم، لكن لم تكن تلك إلا البداية، ليعود بذاكرته ويقص على جميع أبناء الغرب ما حدث معه في أرض القديسين.

***

أمضى كلارك يومين منذ وصوله في عمل مستمر، لم يدع موضع قدم في الأسواق إلا وذهب إليه، قسم العمل عليه هو ورفاقه من التجار، المهمة واضحة، اقتناء المؤن الحيوية

للحياة، والتي لديها القدرة على أن تحتفظ بحالتها لأطول فترة ممكنة، رافقه في تلك المهمة، مبعوث رسمي من بلاط الملك ترادوس، يسهل عليهم كل ما يريدونه، يخبر الجميع أن كل ما يؤخذ مدفوع من خزانة المملكة، عليهم فقط أن يجهزوا المؤن المطلوبة، ليتم شحنها سريعا إلى أرض (زاندو)، لينجح كلارك في غضون هذين اليومين، من تحقيق هدفه، والحصول على كل ما يريدونه من سلع حياتية ضرورية، لكنه كان يريد أن يحصل على شيء آخر، أسلحة يمكنهم استخدامها في الحرب، ليخبره مبعوث البلاط، أن هذا غير مسموح به إلا بإذن مكتوب من الملك، ليطلب كلارك على أثر ذلك، مقابلة الملك ترادوس مرة أخرى، لكن أتاه الخبر أن الملك بالفعل ينتظر لقاءه بشكلٍ عاجل.

سرعان ما لبى كلارك الطلب، ليذهب على الفور نحو قصر الحكم، ليجد الملك ترادوس ينتظره في البهو الملكي، رفقة الملكين لوسيان وبيير، ملوك القديسين الثلاثة، ومعهم مجموعة من كبار مستشاريهم وقادتهم، في اجتماع رسمي، حيا كلارك الجميع ليبدأ في الحديث شاكرًا لهم:

«حضرات الملوك العظام، أيها السادة الحضور، في البداية أود أن أعرب عن خالص شكري وعرفاني، أنا وكل أبناء

الغرب عن كرم استقبالكم لنا، كما أوجه خالص شكري لسمو الملك ترادوس، عن دعمه اللا محدود لنا، فبفضل رعايته وعنايته لنا، استكملنا كل ما نريد من مؤن في أسرع وقت، وهذا لطف كبير منكم لمساعدتنا في محنتنا هذه، وإني لأستحي أن أطلب المزيد، لكن سابق كرمكم هو ما يدفعني الآن، بأن تمدونا بالسلاح والعتاد الممكن، لخوض هذه الحرب الضروس التي نحن في خضمها بالفعل.

حقًا أيها السادة، لا أعلم إن كان أهلي وأبناء مدينتي، قد استطاعوا الصمود حتى الآن، في هذه اللحظة التي أحدثكم فيها، أو أنهم قد لقوا حتفهم على أيدي الملاعين، لكن واجبي تجاه وطني، هو ما يدفعني لذلك، وآمل أن تشملونا بمزيد عطفكم وكرمكم علينا من جديد»

- «سيد كلارك، لا تتعجل الأمر، إني قد استدعيتك هنا الآن، لتقص على مسامع إخوتي ملوك القديسين لوسيان وبيير كل ما حدث»

بدأ كلارك بسرد كل ما حدث في أرضهم، كيف بدأت الحرب مع الملاعين، بقرارهم لغزو الأرض الملعونة، وردع تقدم بعض الملاعين نحو أرض (زاندو)، وكيف كانت الهزيمة التي لحقت بهم هناك، والتي تطورت بعد ذلك بهجوم مركز من

الملاعين, احتلوا به مملكة الشمال وسيطروا عليها.

تابع سرده للأحداث, وكيف استعد ملوك (زاندو) الباقين لمواجهة الملاعين, وكيف حشدوا جيوشهم و(زاندو) قاطبة, لخوض حربهم الفاصلة, وكيف قرر الملوك أن يستعينوا بملوك القديسين, ليكونوا مساندين لهم وداعمين في حربهم تلك, مشيرًا للرسالة التي ذيلها الملوك بأختامهم وتوقيعاتهم, وكيف كلف الأمير ليدلي بحملها إليهم, ليستمر في سرده بكل أسى, عن كيف وقعت الخيانة في صفوف الجيوش, وكيف وضع الخونة الخطة للملاعين ليهاجموا مملكة الغرب, وكيف أسقطوا جيشها والملك ريفيرا, حين واجه جيشًا يفوق عدد جيشه بنحو الضعفين, في وقت قاتل غير عادل.

أخذ السرد مجراه بمرارة الخيانة التي تلقاها ملوك (زاندو) من قادة جيوشهم, الذين استأمنوهم على أرواحهم وبلادهم, ليدفعوا بهم نحو التهلكة باتفاق دنس قد عقدوه مع الملاعين, استطاعوا من خلاله أن ينصبوا أنفسهم ملوكًا على (زاندو).

واصل سرده وحديثه عن كل ما حدث, حتى قدومه نحو أرض القديسين, طالبًا المساعدة والعون.

لم يستطع كلارك أن يمنع دموعه التي فرت منه رغمًا عنه,

ليتحدث بصوت قد اختنق من الحسرة على ما ألم بوطنه وأهله:

«أيها السادة, إن ما نمر به, هو شيء لم نعهده طيلة تاريخنا في الحرب العظمى الأولى, توحدنا جميعًا أبناء (زاندو) لنخوض حرب الخلاص من وباء الملاعين, كنا وقتها قبائل متفرقة, لنتحول في النهاية إلى ممالك قوية متماسكة, بنينا حضارة كبيرة, كنتم أنتم ركن أساسي فيها, أما الآن, فإن أرضنا قد مزقت وشتتت, الحسرة تسكن في كل ركن بها, اليأس يضرب صدور الجميع, الخوف والفزع هو الهاجس الأول لكل طفل, وامرأة وشيخ, ورجل في أرض (زاندو), الجميع ينتظر الموت, إن لم يكن من الملاعين, فينتظرونه من الخونة, لا أحد يقوى على المعارضة, لقد وضعوا حد السيف على رقاب الجميع, وجعلوا الغرب يعاني ويدفع الثمن, قدموه كقربان لشياطين الملاعين.

أيها السادة, لا أعلم ماذا أقول, ولا أقوى على الحديث, لكننا في حالة يرثى لها, ولا نطلب إلا العون والمدد منكم»

- «اهدأ سيد كلارك, أعدك أننا لن نخذلكم, لقد أتينا إلى هنا جميعًا بناء على دعوة الملك ترادوس الكريمة, وقد شرح لنا كل هذا, وأعدك أنى أنا وأخي الملك لوسيان, سنشارك الملك

ترادوس, في تقديم كل الدعم لكم»

- «شكرًا لك سمو الملك بيير, شكرًا لكم جميعًا»

- «سيد كلارك, نحن هنا في ممالك القديسين, لدينا بعض العادات التي لا تؤمنون بها في أرض (زاندو), هنا في معتقداتنا لدينا أساطيرنا الخاصة, هي موروثات ومعتقدات, قد توارثناها عن القديسين الثلاث العظام, من أسسوا هذه الممالك, وهذه الأرض, فقد كان لديهم من البصيرة والشفافية, ما يمكنهم من قراءة المستقبل, نظموا كل ذلك في كتابنا المقدس الذي توارثته الأجيال, في ذلك الكتاب وضع دستورنا, وقيمنا التي نرتكز عليها, ومن بين تلك النصوص المقدسة, مقولتهم الشهيرة: (إن الشر كامن في كل البقاع التي حولنا, كامن في كل شيء بداخل أنفسنا, وبداخل كل شيء صغير, لهذا الشر سادة هم سادة الشياطين, فإن رأيتم الشر يظهر في أنفسكم فقاوموه, وإن رأيتموه يباغت غيركم فلا تتركوه, أنجدوا كل متضرر بشر, كل ضعيف يطلب نجدتكم, لا تفرقوا بين عدو وصديق, فقط كونوا درعًا وسيفًا يقف في وجه الشر, إن استغاث بكم عدو فكونوا عونًا له حتى توقف الشر, وبعدها عودوا لما كنتم عليه, أما وإن استنجد بكم صديق, فلا تتخلوا عنه, لا تردعوا

الشر فقط، بل مكنوه عليه)»

ظل كلارك صامتًا يتابع حديث الملك ترادوس، وملوك القديسين وحكمائهم، توالت النصوص التى يؤمنوا بها ،أيقن في قرارة نفسه أن العون في الطريق، لكن إلى أي حد سيكون العون؟، هذا ما انتظره بكل شغف..

- «سيد كلارك، لقد كان ملوككم وأسلافهم خيرَ أصدقاء لممالكنا، بيننا الكثير من المعاهدات والمواثيق، إن الرسالة التى حملتها معك، نعتبرها نحن آخر إرث من ملوككم ووصيتهم الأخيرة، ونحن لن نقف مكتوفي الأيدي هكذا، فلقد اجتمعت أنا وإخوتي ملوك القديسين، وقادتنا وحكمائنا، وقرارنا واضح، لن نحيد أبدا عن تقاليدنا، ولن نترككم في هذه الحرب دون عون، غدًا سنبحر نحو (زاندو)، سنقصد ميناء (اللؤلؤة)، وسيكون هذا العبور هو الفوج الأول، ما يزيد عن المائة ألف مقاتل من أبناء القديسين، سيعينونكم في حربكم، حتى نعيد شرف الملوك الراحلين، فهذه ستكون رحلة الملوك لإعادة شرف الملوك الآخرين»

كانت تلك الكلمات، لها وقع لم يشهد له كلارك مثيلًا في حياته، غلبت دموعه سعادته وفرحته، ظل يشكر ملوك القديسين، واعدًا إياهم أنهم لن ينسوا هذا المعروف لهم

طيلة الدهر, بل قال لهم أن كل ما يطلبوهن هو أمر مجاب, لكن الملوك أوقفوه عن هذا, فهم الآن ذاهبون لنجدتهم دون أي مطالب أخرى, فلا يوجد مساومة في الأمر, ليبحر بعدها جيش القديسين سريعًا نحو (زاندو), سفنهم كانت أكبر, وسيرها كان أسرع من سفن أهل (زاندو), لم تتوقف السفن للحظة, بل عملت بالسرعة القصوى لكى ينجدوا أهل الغرب, إلى أن وصلوا في الوقت القاتل, وكأن الأقدار هي من أنقذت جميع قاطني ميناء (اللؤلؤة).

***

أنهى كلارك حديثه وسرده لما حدث في رحلته, ليتوجه مجددًا بالشكر تجاه ملوك القديسين, ليقوم بيدرو من مكانه, متوجهًا نحو خزينته الخاصة في البهو الرئيسي, قام بفتحها بينما الجميع يتابع تحركه, قبل أن يعود حاملًا مفتاح مدينته, راكعًا أرضًا أمام ملوك القديسين رافعًا المفتاح تجاههم:

«أصحاب المعالى ملوك القديسين, الجميع هنا يدين لكم بالفضل والعرفان على ما قدمتموه لنا اليوم, لا أعلم ماذا يمكنني أن أقدم في المقابل, لكن هذا أقصى ما لدي, إنه مفتاح ميناء (اللؤلؤة), الذى سلمه لي الملك الراحل ريفيرا

حين ولاني قائدًا للميناء, لقد أقسمت أن لا اترك مدينتي, وأن أحافظ عليها, واليوم أنتم من أغاثنا, فأنتم الآن في منزلة ملوكنا بعد أن رحل ملكنا, وهذا هو مفتاح مدينتنا مهدى إليكم, إن تكرمتم وقبلتم هديتنا المتواضعة»

- «انهض سيد بيدرو, انهضوا جميعا أيها السادة, فأنتم أولى الناس بأرضكم, ما قدمتموه من تضحية واستبسال للدفاع عنها, هو سبب بقائكم اليوم على قيد الحياة, فإن لم تكونوا استطعتم الصمود, لكان كل ما قمنا به هو هباء الآن»

خرجت كلمات الملك لوسيان, من القلب لتصل لقلوب الجميع, أشعرهم بقيمة ما قاموا به, فبسالتهم وفدائهم في التضحية, من أجل مدينتهم ليس له نظير, ليأخذوا الآن هدنة, ويبدؤوا في مرحلة أخرى لإعادة تنظيم الصفوف من جديد.

***

9

الإذلال هو الشعور الوحيد الذي سيطر على كاترينا, ظلت وحيدة ومنعزلة في جناحها, أبعدت عنها كل وصيفاتها, فقط وصيفة تابعة لأتريموس, هي من ترعاها, ازداد شحوبها وألمها, عزفت عن تناول الطعام, قامت بإضراب صامت, لم تتحدث لأحد, لكن هذا لم يمنع أتريموس من الاعتداء المتوالي عليها, كان يسبها, ويضربها, وينتهكها, خارت كل قواها للصمود أمامه, وهو لم يرحمها ولو برهة, كان يشعر بذاته في كل مرة يعتليها بالإكراه, حتى أصبحت كمسخ بلا روح.

أتت وصيفتها بالطعام لها, لكنها وجدتها ملقاة على الأرض فاقدة للوعي, حاولت أن تساعدها على النهوض, لكنها لم تجد منها أي استجابة, لتخرج سريعًا مطالبة الحرس باستدعاء طبيب القصر والملك أتريموس.

سرعان ما أتى الطبيب, ليبدأ مهمته على الفور في مداواة الملكة, ليظل برفقتها وقت ليس بالقليل, لينتهي أخيرًا بعد أن شعر بتحسن حالتها ولو بقدر يسير, شعر في قرارة نفسه, بقدر كبير من الشفقة, والحسرة على ما ألم بها, لكن لم يكن يستطيع أن يفصح بذلك, حضّر لها بعض الأدوية والأعشاب

الطبية، ليحدد لوصيفتها المواعيد اللازمة، منبهًا عليها أن تلتزم بذلك، وطالبًا منها أن تستدعيه في حال حدوث أي شيء غريب.

غادر الطبيب جناح الملكة، ليجد الملك أتريموس ينتظره بالخارج، وهو يتساءل عن حالة كاترينا، وما ألم بها من تعب.

: «من الواضح يا مولاي، أن الملكة عازفة عن الطعام بعض الشيء، وتعرضت لإجهاد جسدي، لكن حالتها الآن مستقرة يا مولاي، لكن إن سمحت لي يا مولاي، فسأطلب منك بصفة طبية كاملة، أن تتوقف عن مضاجعتها في هذه الأيام، فهي لا تتحمل هذا»

تغيرت ملامح أتريموس بكل الغضب، ليمسك بالطبيب كمن أمسك بفأر بائس، يستعد لكي يلقى حتفه:

«كيف تتجرأ يا هذا، وتتحدث معي، أو عن الملكة بهذا الشكل، أو أن تملي علي ما أفعله، أقسم أن أقتلع رأسك فور أن تتم عملك تجاه الملكة، فلتستعد عافيتها في أسرع وقت!»

ارتعب الطبيب بشدة، لتخرج منه الكلمات مرتجفة ضعيفة، أمام جبروت هذا الغاشم أتريموس، ليحاول أن يبقى على

رأسه على قيد الحياة:

«مولاي, لقد أسأت فهمي, فأنا أتحدث عن أمر جلل وسعيد ننتظره جميعًا, إن صدق حدسي, فأظن أن ولى عهدك, هو ما تسبب بهذا الهبوط للملكة يا مولاي, فقد أخبرتني الوصيفة, أن الحيض قد تأخر عن موعده لمولاتي الملكة, وإن كانت مولاتي لا تقوى على الصمود هكذا, فمن واجبي كطبيب الملك الخاص, أن أحافظ على حياة ولى عهده»

برقت عينا أتريموس فرحًا, فهو الآن يسمع خبر قادر على إثلاج صدره, بعد كل الأخبار السيئة, التي توالت على مسامعه في الأيام الماضية, سيكون له ولد, بعدما حرم من ذلك في زواجه الأول, وهذا الولد سيكون ولى عهده ,ووريثه الشرعي على حكم مملكته, بل إن هذا الوريث سيأتي من سليلة آل فيرجسون, ليعطي ابنه شرعية كبرى لن يستطيع أن يضاهيها أحد.

- «ما مدى تأكدك من هذا أيها الطبيب؟»

- «مازلنا في المرحلة الأولى يا مولاي, لكني سأعتني تمامًا بمولاتي الملكة, وبولي العهد إن صدق حدسي, فالأيام القادمة هي ما ستؤكد يا مولاي»

- «إن صدق حدسك، فأقسم أن أجعلك أنت وسلالتك بأكملها في نعيم إلى الأبد، عليك أن تعتنى بالملكة جيدًا، أي تقصير يحدث لن يكفيني فيه أرواحك أنت وعائلتك بأسرها!»

أنهى أتريموس حديثه ليترك الطبيب، ويدلف سريعًا نحو جناح الملكة، وجدها في حالة يرثى لها، فشدد على الوصيفة أن تهتم بها وبصحتها، وأن تعطيها الأدوية التي وصفها لها الطبيب في موعدها، مشددًا عليها في ذلك، لينظر إلى كاترينا التي كانت تهذي:

«عليكِ أن تتعافى يا عزيزتي، فأنتِ الآن تحملين بين أحشائك وريثي، وولي العهد»

***

اقترب أسطول الجليد من حدود ميناء (ريجلون)، أصبحت سفن الاستطلاع الخاصة بأسطول الشرق، على مرمى بصرهم، استعد الأسطول لأي اشتباك قد يحدث، لكنهم في البداية أرسلوا بحارة الشرق المأسورين لديهم، في قوارب النجاة برسالتهم، نحو قادة الميناء لكي يستسلموا لهم.

سارع البحارة في التقدم ليراهم بحارة سفن الاستطلاع،

ليستعدوا لاستقبالهم على سفنهم, ويعودون بهم سريعًا نحو ميناء (ريجلون).

فور وصولهم تعالت الأجراس والأبواق, محذرةً من هجوم بحري يتقرب من الميناء, ليسارع العامة نحو منازلهم, وتخلو الأسواق والشوارع, بينما المحاربون قد اندفعوا نحو الصفوف الأمامية, للذود عن أرضهم.

تقدم كيجان وقادته على الفور, نحو الميناء الحربي ليتابعوا الجديد, رأوا سفن الاستطلاع عائدة, لينتظروا وصولهم ومعهم الأسرى المفرج عنهم, ليتقدموا سريعًا نحو الملك.

- «مولاي الملك كيجان, لقد أتى قائد سفن الاستطلاع, ومعه البحارة المفقودين بسفن الاستطلاع السابقة, إنهم يرغبون في لقياك على الفور»

لم يتوانَ كيجان, في إعطاء الإذن بدخولهم عليه على الفور, ليبدأ في سؤالهم عما حدث, وكيف هربوا من سفن الملاعين, وعادوا إلى هنا سالمين, لتأتيهم الإجابات الأكثر غرابة على الإطلاق, والغير متوقعة بكل تأكيد.

- «مولاي, إنهم ليسوا الملاعين, إنهم أناس آخرين قد أتوا

إلى هنا، أناس يطالبون بحق الملوك المقتولين في معركة (بلاجا)، يريدون أن يتنحى ملوك (زاندو) الحالين عن الحكم، راغبين في طرد الملاعين من أرضنا، وإرساء السلام فيها للجميع»

لم يعلم هذا البحار، كيف تجرأ على أن يخرج هذه الكلمات من بين شفتيه، في حضور الملك كيجان، الذي عنفه متسائلًا عن من جرؤ ليطلب هذا الطلب الفظ، وبأي حق يتحدثون، ليعاود هذا البحار الحديث، ليشرح للملك كيجان ما رآه هناك، ومن هم أبناء الجليد وملكتهم، العائدون نحو (زاندو)، ليسلم الملك في النهاية رسالتهم التي حُمل بها، ليقرأها كيجان على مسامع الجميع:

«بسم آلهة (زاندو) العظام، وبسم حفظة معبد (أبتشك)، منى أنا إلينا، وريثة آل ياشين العظام، وريثة عرش الجليد المجيد، إلى كل رعايا (زاندو)، وأبناء جلدتنا، باسم الدم الرابط بيننا جميعًا، فمن أسلافنا الأولين انحدرنا جميعًا، وبرابط الدم كنا سويًا كتفًا بكتف، في حربنا العظمى الأولى، تلك الحرب التي بذلنا جميعًا فيها الغالي والنفيس، لطرد الملاعين من أرضنا، نعم افترقنا، لكننا ظللنا جميعًا أبناء جلدة واحدة، مهما تنوعت عروقنا.

في الماضي السحيق تعاونا جميعًا لطرد العدوان الغاشم, والخطر الداهم الذي طاردنا وقتها، أما الآن وقد قام بعض الخونة والمدلسين, بوضع أيديبهم في أيد الملاعين, وتأمروا على ملوكهم وقادتهم, ليجلسوا في منازل لا يستحقونها, فإنا هنا لأمرين: أولهما- طرد العدو الغاشم من من أرض (زاندو), وثانيهما- إعادة حق الملوك العظام, وأمامكم خيارين: إما أن تسلموا لنا رؤوس الخونة, وأن تتعاونوا معنا حتى نحقق هدفنا الأسمى, بطرد الملاعين من أرض (زاندو), أو أن تخنعوا وترضخوا لأولئك الطغاة, ووقتها يكون حد السيف وحده بيننا وبينكم, أمامكم يوم واحد للرد, وإلا أتاكم منا مالا طاقة لكم به»

كانت تلك رسالة الملكة إلينا التي ذيلت بختمها وتوقيعا وتوقيع قادة فصائل مملكة الجليد من البشر والقناطير والعمالقة والأقزام... بدا الاحتقان واضحا على وجه كيجان ليكيل السباب للجميع...

: «اللعنة عليهم جميعًا من تلك المعتوهة حتى تأتي لهنا وتطالبنا بالاستسلام, اللعنة عليها وعلى جميع من معها, وعلى مملكة الجليد تلك التي لم نسمع بها من قبل تلك, أنت يا هذا, لقد كنت على سفنهم, صفها لنا كيف هي؟»

- «مولاي. إنها سفن لا طاقة لنا بها بالفعل، حجم السفينة منها توازى حجم ثلاث مما لدينا، لديهم عمالقة أشداء، ومدافع لم نر مثلها، لقد أغرقوا سفننا بكل يسر، أي مواجهة بحرية ستكون في صالحهم، إلا إن استطعنا أن نضاعف عددهم بثلاث مرات، وهذا غير متاح فأسطولهم أكبر منا»

- «اللعنة عليك أنت الآخر!، لا أريد أن أرى أي متخاذل هنا، فلتغرب عن وجهى!»

أمر كيجان رجاله، بأن يعود الأسطول بالكامل إلى حدود الميناء، وأن يستعدوا للمواجهة المقبلة، كما أمر بوضع كافة المقاتلين على أسوار الميناء، ليستعدوا لأي شيء، وليستعدوا لتوجيه كل مقلاع ومنجنيق متواجد في القلعة، نحو أسطول مملكة الجليد، كما أرسل لاستدعاء باقي الجيش الذى يقوده بيرس على الحدود الشمالية، لمواجهة الملاعين، ليساندوهم في معركتهم هذه.

في الوقت الذي استقبل فيها كيجان، رسالة الملكة إلينا وأبناء الجليد بالسخط والغيظ، انتشر الخبر كالنار في الهشيم في كافة أرجاء الميناء، فالأسرى العائدين سارعوا لقص ما مروا به في تلك الأيام، ومن هم أبناء الجليد القادمون لطرد الملاعين، واستعادة حق الملوك الراحلين،

- «مولاي. إنها سفن لا طاقة لنا بها بالفعل, حجم السفينة منها توازى حجم ثلاث مما لدينا, لديهم عمالقة أشداء, ومدافع لم نر مثلها, لقد أغرقوا سفننا بكل يسر, أي مواجهة بحرية ستكون في صالحهم, إلا إن استطعنا أن نضاعف عددهم بثلاث مرات, وهذا غير متاح فأسطولهم أكبر منا»

- «اللعنة عليك أنت الآخر!, لا أريد أن أرى أي متخاذل هنا, فلتغرب عن وجهى!»

أمر كيجان رجاله, بأن يعود الأسطول بالكامل إلى حدود الميناء, وأن يستعدوا للمواجهة المقبلة, كما أمر بوضع كافة المقاتلين على أسوار الميناء, ليستعدوا لأي شيء, وليستعدوا لتوجيه كل مقلاع ومنجنيق متواجد في القلعة, نحو أسطول مملكة الجليد, كما أرسل لاستدعاء باقي الجيش الذى يقوده بيرس على الحدود الشمالية, لمواجهة الملاعين, ليساندوهم في معركتهم هذه.

في الوقت الذي استقبل فيها كيجان, رسالة الملكة إلينا وأبناء الجليد بالسخط والغيظ, انتشر الخبر كالنار في الهشيم في كافة أرجاء الميناء, فالأسرى العائدين سارعوا لقص ما مروا به في تلك الأيام, ومن هم أبناء الجليد القادمون لطرد الملاعين, واستعادة حق الملوك الراحلين,

الجميع بدأ يتحدث ما بين معارض ومساند لملكهم الحالي, وما بين مؤيد في صمت لأبناء الجليد, لتتفرق النفوس سريعًا بداخل المدينة, ليبدأ الشقاق الصامت ما بين الجميع.

***

في (بوزان), بدأ العمل على الفور, الجيش يتم ترتيب صفوفه, فقاد الملك ليدلي العمل مباشرة, فالأن يمكننا أن نلقبه بالملك, ليبدأ رحلته نحو العرش, بعد أن أصبح خلفه شعب كامل يسانده, لتكون رحلة لملك آخر في أرض (زاندو).

اعتمد في تنظيم جيشه, على القادة العسكرين النظامين الذين يعرف قوتهم وخبرتهم, مثل جراكوس, وأندرو, رتب الجيش ليتقدم المشاة, في الصفوف الأمامية في قلب الجيش يقودهم أندرو, وعلى الميمنة والميسرة قام بتوزيع الفرسان ليكونوا جناحي الجيش, وجعل جراكوس على رأس الميمنة, بينما مارتي يقود فرسان الميسرة, وفى الخلف اصطف الرماة فوق أسوار القلعة, وعلى التلال المحيطة لها, المقابلة لغابة الأشجار الكثيفة, الممر الوحيد الذى يؤدى نحو قلعة (بوزان), فالجيش القادم سيتوجب عليه عبور هذه الغابة, حتى يجد نفسه في مواجهة جيش قبائل الجنوب,

ليكون الملك ليدلي في قلب الجيش، رفقة قادة وزعماء القبائل، بينما في قلب الغابة، كان هناك عمل آخر يقوم به إدجار ورجاله من عصابة الفولكا، وغيرهم من الرجال، لكي يقوموا بنصب الفخاخ على طيلة الطريق، لتحقيق أكبر قدر ممكن من الأضرار في جيش تيري القادم إليهم.

تقدم أندرو قوات المشاة، رفقة كل من أشوري وأنتيكوس، وقف أندرو أمام المقاتلين ليدربهم، كما تدرب رفقة قوات الفيلق التاسع عشر، ليقف بكل جسارة صائحًا بهم:

«أيها السادة، اعلم أنكم جميعًا مقاتلون أشداء، وقد تشاركنا سويًا ساحة المعركة بمرة سابقة، أما الآن، فنحن نستعد لأن نتشارك القتال لمرات أخرى عديدة، الآن سنواجه خصوم أكثر قوةً وتنظيمًا، لذا علينا أن نكون أكثر جسارةً وشجاعة، علينا جميعًا كرجال المشاة، أن نكون كرجل واحد، الكتف بالكتف، القدم بالقدم، الدرع بالدرع، يجب أن نبقى أمامهم كالجدار الصلب، لا يقوون على اختراقه، إن ثبتنا أمامهم وعطلنا تقدمهم، سيكون النصر لنا، نعم، فرسان الجيش يمتلكون أفضلية عنا، لكن نحن درعهم الحصين، حينما يخرج علينا الأعداء، من بين تلك الأشجار الكثيفة، يجب أن نكون كالحائط الصلب أمامهم، لا يمكنهم اختراقه!»

استهل أندرو قيادته لتدريبات المشاة, بهذه الخطبة الحماسية, ليبدأ بتدريب الجميع على كيفية الوقوف معًا بالشكل الأمثل, والقتال بجماعية, يتقدمون سويًا ويتراجعون سويًا, يهاجمون في آن واحد, ويدافعون في بنفس الكيفية.

لم يطلب منهم أمور معقدة, فقط طالبهم بالتناغم فيما بينهم, ليكونوا كالجسد الواحد, أما هم فأبهروه وعملوا كآلة دقيقة متناغمة, كلهم تروس صغيرة متساوية فيها, تعمل بنفس الكفاءة والدقة.

استعد الجميع في (بوزان), لمعركتهم المقبلة, والتدريبات كانت على أشدها للجميع, بينما لم يتوقف العامة المستاؤون من حكم تيري, من اللجوء إليهم, محتمين بملكهم الجديد في رحلة قد بدأت للتو.

***

على متن السفينة الملكية, بدا جليًا للناظرين, اليابسة وميناء (ريجلون), رأوا سفن الشرق بأكملها تتراجع نحو الميناء, الأجراس تدق, والأبواق تحذر الجميع, علموا الرد سريعًا كما توقعوه مسبقا, فلن يستسلم كيجان هذا المغتصب لهم, فمن خان ملوكه من أجل شهوة السلطة, لن

يتنازل عنها هكذا بمنتهى السهولة.

تقدم الوزير دوراتي نحو الملكة إلينا, رفقة باقي القادة, منتظرًا الإذن الملكي لبدء هجومهم الشامل على الميناء.

- «مولاتي الملكة, إن الجميع على أهبة الاستعداد لمهاجمة الميناء, فقط ننتظر أوامرك يا مولاتي»

- «امنحوهم مهلتهم كاملة يا سيد دوراتي, فحتى وإن كان ردهم قد وصل, فسأمنحهم الوقت كاملًا, وعندما تغرب شمس الغد, أريد أن يبدأ الهجوم, لكننا سنحاصرهم بحريًا فقط في بادئ الأمر, لتقف سفننا على أبعد مدى ممكن لهم, ولنقوم بدك أسطولهم البحري, ومن بعده أسوار الميناء»

- «كما تأمرين يا مولاتي, سنقتحمهم في ليلة واحدة»

- «لا سيد دوراتي, لا أريد ذلك, لا أريد ضحايا كثر من بينهم أو من بيننا, أريد إرهابهم, اعملوا على إصابة سفنهم وليس قتلهم, حتى يثور العامة, فأنا متأكدة أنهم الآن يتناقلون أخبارنا, وأريدها أن تكون أخبارًا سارة, نكون نحن الأمل الباقي للجميع, لإرساء السلام في هذه الأرض»

انصاع الجميع لأوامر الملكة إلينا, بينما علت ابتسامة رضا على محيا مجلس السحرة, فقد شاهدوا أمامهم, ملكة تمتاز

بقدر من الحكمة والرزانة، يؤهلها لقيادة أبناء الجليد نحو نبوءتهم الخالدة.

***

لم يتوقف موكب الأمير فيليب ورجاله، بل عملوا على المسير -ليل نهار- دون توقف إلا قليلا للراحة، ليصلوا في النهاية نحو ميناء (ريجلون)، خمسة آلاف مقاتل قد أتوا في صحبة الأمير فيليب، لتقديم العون للملك كيجان في مواجهة الملاعين، العامة خرجوا ليشاهدوا أمير قلعة (بنتلي)، لما يحظى به من احترام لدى الجميع، وهو قادم لدعم ملكهم في حربه، ليعطيه المزيد من الشرعية في مجلسه، أو أنه هو الآخر قد تأمر على الملوك الراحلين، ليناله قسط من الغنائم التي تقاسموها معًا.

تقدم فيليب سريعًا نحو موقع قيادة الجيش، ليجد كيجان ينتظره بكل ترحاب، فقد خاب ظنه عندما وجد فيليب ورجاله قد حضروا للمساعدة.

- «مرحبا بك عزيزي فيليب، لقد كان وصولك أسرع مما توقعنا»

- «سمو الملك كيجان، ما كان لي أن أتأخر عن تأدية

الواجب، فلن نسمح لأحد بأن يُدنس ملكك أو يهدده، خاصة وإن كانوا أولئك الملاعين»

- «في الواقع عزيزي فيليب، من يهاجمنا ليسوا الملاعين، لكنهم لا يختلفون عنهم، ملاعين آخرين قد أتوا إلى هنا»

لم يستوعب فيليب مقصد كيجان، ليطلب منه الإيضاح، ليبدأ كيجان في قص ما حدث عليه، ومن هم أبناء الجليد الذين أتوا إلى هنا، ليعطيه في النهاية الرسالة التى وصلتهم من ملكتهم إلينا.

بدت الدهشة على وجه فيليب لبعض الوقت، قبل أن يعاود الحديث:

«أتعلمون أيها السادة، عندما كنتُ طفلًا صغيرًا وأنا أدرس تاريخ الاتحاد، مر على مسامعي، أخبار تلك القبائل التي غادرت نحو الشمال، لكن ما أتانا عنهم كان محض أساطير، هناك من قال إنهم تحولوا إلى ملاعين، وهناك من قال إنهم قد أهلكوا جميعًا من القحط، وهناك من أشاع أنهم قد وطأوا أرضا لم يطأها أحد من قبل، لكن أن يأتوا إلى هنا ويطالبون بما يطلبونه، فهو محض خيال»

- «لذا سيد فيليب، أنا ممتن لك لوصولك أنت ورجالك

لدعمنا»

انضم فيليب لطاولة الحرب التي عقدت بالفعل، ليستكشف معهم كافة الاستعدادات لهذه المواجهة، ليبدأ في مشاركتهم بآرائه وخبراته، لينتهي بأن يتم وضع جيش الميناء، وقوات كيجان بالكامل في الميناء الحربي، استعدادًا للمواجهة، بينما ستتولى قوات فيليب من أبناء قلعة (بنتلي) تأمين المدينة من الخلف، وتأمين الطرقات الخارجية، استعدادًا لوصول القائد بيرس، وكامل قواته لمواجهة أبناء الجليد «هؤلاء».

***

انتهت المعركة لكن العمل قد بدأ، فقد سارع الجميع من العامة قبل المقاتلين، في تنظيف مدينتهم من أثار الحرب التي وقعت في ميناء (اللؤلؤة) أزالوا الجثث التي احتلت الطرقات من أبناء جلدتهم، أو من جنود الإلف، أو من الملاعين، ليقوموا بإعادة إعمار وطنهم من جديد.

حاول بيدرو أن يتغلب على إنهاكه، ليشرف على ما يحدث في مدينته، وكان معه ملوك القديسين يساعدون ويدعمون الجميع، بينما سفن الإلف لم تتوقف عن توالى الوصول نحو الميناء، محملة بالجند والعتاد والمؤن الكافية للجميع، لقد كانوا خيرَ سند لهم، بل أتوا بما يزيد عن حاجتهم، ليطلب

لدعمنا»

انضم فيليب لطاولة الحرب التي عقدت بالفعل, ليستكشف معهم كافة الاستعدادات لهذه المواجهة, ليبدأ في مشاركتهم بآرائه وخبراته, لينتهي بأن يتم وضع جيش الميناء, وقوات كيجان بالكامل في الميناء الحربي, استعدادًا للمواجهة, بينما ستتولى قوات فيليب من أبناء قلعة (بنتلي) تأمين المدينة من الخلف, وتأمين الطرقات الخارجية, استعدادًا لوصول القائد بيرس, وكامل قواته لمواجهة أبناء الجليد «هؤلاء».

***

انتهت المعركة لكن العمل قد بدأ, فقد سارع الجميع من العامة قبل المقاتلين, في تنظيف مدينتهم من أثار الحرب التي وقعت في ميناء (اللؤلؤة) أزالوا الجثث التي احتلت الطرقات من أبناء جلدتهم, أو من جنود الإلف, أو من الملاعين, ليقوموا بإعادة إعمار وطنهم من جديد.

حاول بيدرو أن يتغلب على إنهاكه, ليشرف على ما يحدث في مدينته, وكان معه ملوك القديسين يساعدون ويدعمون الجميع, بينما سفن الإلف لم تتوقف عن توالى الوصول نحو الميناء, محملة بالجند والعتاد والمؤن الكافية للجميع, لقد كانوا خيرَ سند لهم, بل أتوا بما يزيد عن حاجتهم, ليطلب

ملوك القديسين الاجتماع سريعًا مع بيدرو الذي لبى طلبهم على الفور.

: «فخامة الملوك, اعذروني إن كنت قد انشغلت بعض الشيء, لكنكم ترون كيف حال مدينتنا, وما تحتاجه من عمل وجهد, حتى تعود لسابق عهدها»

- «لا عليك عزيزي بيدرو, أنت ترى أننا لم نتأخر في مد يد العون لكم, لكن ما قدمناه للآن والانتصار في تلك المعركة ليس النهاية, فالملاعين لن يتوقفوا بعد تلك الهزيمة, بل سيعاودون الهجوم عليكم من جديد, لذا علينا أن نبدأ الخطوة التالية, مواجهة الملاعين, أن نتحول من الدفاع للهجوم»

- «ونعم الرأي سمو الملك لوسيان, هذا هو ظننا بكم, أنكم قد أتيتم لتناصرونا, لكن كيف سنبدأ؟»

- «سنبدأ بإعلام الجميع بوصولنا, سنرسل لكل بقعة في (زاندو), أن ملوك القديسين؛ قد أتوا لنصرة أهلها بعد طلبهم, وأننا لم نأت معتدين, لنمد يد العون للجميع, كل من يريد المساعدة في خوض تلك المعركة فأهلًا به, وكل خائن ليستعد لكي يتلقى حسابه»

- «أصبت سمو الملك ترادوس, على الفور سنقوم بكتابة الرسائل لنبعثها لكل مكان, وأن نختمها بأختام ملوك القديسين العظام, وختم ميناء (اللؤلؤة)»

على الفور عمل بيدرو على كتابة الرسائل, والتأكد من إرسالها لكل البقاع, ليس لقصور الحكم فقط, بل لكل مدينة وقلعة, ليعلم الجميع أن (زاندو) الآن, لديها أنصار قد أتوا لمساندتهم أمام أولئك الخونة.

***

في (بلاجا), توالت الأخبار السيئة على قادة الملاعين, رسالة قد وصلت إليهم, تخبرهم بأن هزيمة نكراء أخرى قد حلت بجيشهم, المتواجد في ميناء (اللؤلؤة), لكن هذه المرة الهزيمة كانت أشد, وقد أتى مدد كبير لهم من ممالك القديسين, سرعان ما حمل أمان وأجريوس تلك الرسالة نحو حكمائهم السبع.

بدت الصدمة على الجميع, فلم يحسب أحد حسابًا لقدوم القديسين, ليطلب الحكماء أن يغادر الجميع مجلسهم, ليبقوا في جلسة سرية مغلقة امتدت لوقت طويل, يتدارسون ما سيقومون به, ويقومون بطقوسهم السحرية التي توارثوها وتعلموها من سيدهم.

استمر اجتماع الحكماء لمدة طويلة, قبل أن يدعوا قادة الجيش للانضمام إليهم, ليتحدث كبير الحكماء إليهم:

« أبناء (السيد) الأوفياء, علينا أن لا نفقد الثقة فيما وعدنا به (السيد), وأن لا نتزعزع عن موقفنا, حتى وإن طرأت مستجدات في الأمر, وأتى أولئك الإلف, فلن نتراجع عن موقفنا, نعلم أن الأمور الآن تتغير, الإلف قد حلوا في الغرب, وأبناء الجليد قد حلوا في الشرق, لكننا قادرون بمعية (السيد) أن نواجه الجميع, أما أمر الشرق, فسندع أبناء الجليد يواجهون جيوش (زاندو), ومن ينتصر منهم نجهز عليه, وأما الغرب فهو أرضنا ولن نتراجع عنها.

أيها القائد أجريوس, لتستعد بجيشك ولتتقدم نحو الغرب, لا تذهب إلى الميناء, ولكن تمركز لملاقاتهم خارجه, خذ كل ما تريد من قوات ومن جنود, حتى وإن أخذت كل القوات المتواجدة هنا, لكن لا تعد إلا بالنصر, ولا تقلقوا (فالسيد) سيرسل لنا المدد من جنده الأوفياء من الأوراك, فنهاية (زاندو) تقترب»

أبدا أجريوس طاعته العمياء, ليبدأ الاستعداد على الفور للتقدم نحو الغرب, لإيقاف ملوك القديسين, ليعاونه أمان في تجهيز جيشه, وكل قواته اللازمة لخوض تلك الحرب.

- «أجريوس, أعلم أننا نتعامل كندين متباريين, لكن حقا أنت خير صديق, لذا يا عزيزي, عليك أن تأخذ حذرك, فقد هزم هناك جيشين كان يقودهم ثلاثة من أبرع القادة لدينا»

- «أعلم هذا عزيزي أمان, لكن تلك الجيوش لم يكن على رأس قيادتها أجريوس بنفسه, سأعود بالنصر يا صديقي, وأنت لتستعد لنغزو باقي أرض (زاندو)»

لمرة أولى ساد ود صادق ما بين القائدين, المتبارين على إظهار أيهما الأقدر بأن يكون قائد جيوش (السيد) الأول, لكنهما الآن في مرحلة سيفترقان فيها, أجريوس يريد أن يعود بالنصر, ليعلي كلمة (السيد) عاليًا, ولأن يأخذ خطوة للأمام تجعله يتفوق على غريمه أمان, بينما الآخر سيستعد وبقوة, لكي يقوم بغزو الشرق إذا لزم الأمر, وفشل كيجان في ردع قوات مملكة الجليد.

***

استمر وصول المدد إلى معسكر جيش الجنوب, حيث يعسكر الملك تيري, الجميع بدا على أهبة الاستعداد, الأقاويل تتناثر عن جيش الغجر الذي انضم إلي ليدلي في (بوزان), البعض تحدث أنهم يقاتلون كالوحوش, النفوس

بدأت تتغير بداخل الجيش, خاصة مع قرار الملك تيري بالانتظار, حتى يصل المدد إليهم وعدم إكمال المسير.

لم يكن تيري بعيدًا عن كل هذا, بل نشر عيونه وجواسيسه بداخل الجيش, ليعلم كل صغيرة وكبيرة, حالة الجند النفسية والمعنوية, درجات استعدادهم وولاء القادة للملك, فمن صنع كأس الخيانة, بكل تأكيد سيخشى أن يذوق منه.

ظل باستمرار في اجتماع مفتوح مع قادته, ليعلم حالة الجند, وكيف هو استعداد الجيش، ليعلم أن الوقت المناسب قد حان, فالآن قد بلغ حجم الجيش ما يزيد عن الثمانين ألف مقاتل, أي ما يجعلهم نحو ضعف الجيش الآخر, الذي ينتظرهم في (بوزان) ليعلن تيري عن التحرك من جديد, لكي يبيد ليدلي وكل من معه هناك, ليعتلي جواده ويخرج بكل جسارة, ليخطب في رجاله محمسًا لهم:

«أيها الرجال الأشداء, والجند الأوفياء, الآن قد حانت لحظتكم, لتكونوا خلف ملككم مرة أخرى, من قبل كان الجميع خلفي في حرب لم نخضها, وها أنتم ترون النتيجة, أصبحتم سادةً وملوكًا, لم أخلف عهدي معكم, أغدقت عليكم من خيرات أرضكم, الآن أعدكم من جديد بالمزيد من العطايا, نحتاج ليوم أخر نكون فيه كلنا على قلب رجل

واحد, غدًا نصل (بوزان), غدًا سنمحي أثر كل من هناك, اعلم أن الشائعات قد انتشرت بينكم, بعضكم يرتعد من الغجر, لكن لا مكان في جيشي لأى خائف... ومما تخافون، إنهم غجر لم يرتادوا المدارس العسكرية مثلكم, ليسوا محاربين أشداء كما أنتم, ليس لديهم عتادكم أو عددكم, غدًا سنثبت أننا سادة الجنوب، بل سادة (زاندو) كاملة, كونوا رجالًا وقاتلوا بجسارة, هناك سنحمي أرضنا وعرضنا, لنؤكد للجميع أننا سادة الحرب»

تعالت الصيحات التشجيعية من الجنود, مرددون صيحات النصر, ليبدأ تحرك الجيش مرة أخرى نحو (بوزان), من أجل النصر لا غير.

***

10

بدأ جسد كاترينا يتعافى شيئًا فشيئًا, مع إجبارها على تناول الطعام والأدوية في موعدها, لكن على الجانب النفسي, استمر حطام نفسها يلاحقها مرةً تلو أخرى, حالتها النفسية تسوء, توقفت عن الحديث مع الجميع, وحده الصراخ ينتابها, ليعمل الأطباء على إعطائها مواد تساعدها على النوم, ليهدئوا تلك النوبات.

تحطم كل شيء بداخل هذه الأميرة الفاتنة, فبعدما كانت مقبلة على الحياة, أصبح الموت هو ملاذها الذي ترغب في الفرار له, الآن فقدت الأب, والأخ, والحبيب, انتهكت من زوج دَنِس, حسبت أن هذا هو كل شيء, لكن ما ينمو في أحشائها الآن, من طفل لا ترغب به, هو ما زاد عليها حزنها, لم تكن تعلم ما تفعل, لا تقوى على شيء, أصبحت كالمجانين, بينما أتريموس, لا يهتم بأي شيء سوى هذا الجنين الذي ينمو في أحشائها, ظل يتابع حالتها باستمرار, كانت تصرخ كلما تراه, تريده أن يغرب عن وجهها, ليقف أمامها هذه المرة بكل حزم:

«اصمتي أيتها الحمقاء, أنتِ قد انتهيت لدى تمامًا, لا أبقي عليك إلا من أجل وريثي الذي بين أحشائك, أقسم أنى لن

أتهاون معكِ إن أصابه شيء، عليكِ أن تلديه سالمًا، وبعدها سأدعك تفعلين كل ما يحلو لكِ، لتغربي عن هنا وقتها إن أردت، فلتذهبي لأي مكان، حتى وإن كان الجحيم»

كرر تهديده لها، بينما هي لا تقوى على شيء، أصبحت طريحة الفراش، مقيدة من أطرافها، خوفًا من حالات الهياج التي تصيبها، فقد تفعل شيئًا غير محمود العواقب.

***

في قلعة (بلاجا)، استعد الجيش للتحرك بقيادة أجريوس نحو الغرب، العمل لا يتوقف، الاستعدادات القصوى للجميع هناك، ليشاهد كلاوديو أثناء رحلته إليهم، هذا الجيش الجرار يتجه نحو الغرب، شاهد ما لا طاقة لهم به، فأي جحيم قد فتحوا أبوابه على أنفسهم، فإن قرر هؤلاء الملاعين اجتياحهم، فلن يستطيعوا إيقافهم، فهم الآن يتوجهون نحو الغرب، وفي الشرق يخشون هجوم بحري منهم.

استقبله القائد أمان مرحبا به، ليشرع كلاوديو في حديثه بسرعة، معبرًا عن مخاوفه من نقض الملاعين لاتفاقهم السابق معهم، ورصد سفن لهم تجاه الشرق، ليهدئه أمان قبل أن يشرح له، أنهم ليسوا من قام بالاتجاه نحو الشرق، بل إنهم من الأساس لا يمتلكون أي أسطول بحري، يمكنهم

تهديدهم به.

: «إذن من أولئك الذين يتحدث عنهم كيجان، في الشرق سيد أمان، فمن غيرنا يقطن في تلك الأرض، خاصة وأن الجانب الآخر من بحر الشرق، هي صحراء قاحلة لا يوجد بها إلا مجموعات من الهمج»

- «إنهم لم يأتوا من الشرق يا عزيزي، بل أتوا من أقصى الشمال، ليس شمال ممالككم، بل شمال أرض (السيد) ذاتها، إنهم أهل الجليد»

بدت الدهشة على محيا كلاوديو، فمن هم أهل الجليد أولئك، ليبدأ أمان بالإيضاح له، أنه بعد الحرب العظمى الأولى، خرجت بعض قبائل البشر من أرض (زاندو)، ورافقهم قبائل العمالقة، والقناطير والأقزام، القاطنين بها، بعد أن حدثت الفرقة بين أبناء (زاندو)، وأن تلك القبائل قد غادرت إلى أقصى الشمال، إلى منطقة جليدية وعرة، لم يسبقها إليهم أحد، وأنهم قد أقاموا مملكة خاصة بهم هناك.

- «مع كامل احترامي لك سيد أمان، لكن تلك مجرد خرافة لنا، فلا يوجد أي أثر لأولئك المغادرون، وعلى أغلب ظننا أنهم قد انضموا إليكم»

- «هذا ما تعتقدونه أنتم, لكن نحن وحدنا من نعرف حقيقتهم, فقد واجهناهم من قبل, في زمن غابر قد مضى, لكن لم نقوا على الوصول إليهم, أو الظفر بهم, فأجسادنا لا تطيق الجليد, ودرجات الحرارة المنخفضة هناك»

روى له أمان, كيف فكر أتباع (السيد) من قبل, في أن يصلوا إلى مملكة الجليد, لكنهم لم يصمدوا في تلك الأجواء, وكيف كانت الحرب بينهم, التى منوا فيها بخسارة قاسية, فهم لديهم صفات من القوة, منحهم إياها (السيد), لكن ليس إحداها الصمود في الجليد, ودرجات الحرارة القاسية, بل إنهم يفقدون الكثير من قواهم هناك.

- «إذن, ما العمل سيد أمان, علينا أن نراسل كيجان, وأن نخبرهم بذلك»

- «اعتقد أنه قد علم ذلك الآن, وإن أردتم أن ندعمه في تلك الحرب, فيمكننا ذلك وعلينا وقتها أن نعقد اتفاق جديد قبلها, لكن يا عزيزي, ليست تلك كل الأخبار السيئة التى ستسمعها الآن, فبكل تأكيد قد شاهدت القوات المتحركة نحو الغرب»

- «نعم يا عزيزي, أعتقد أنكم قد بدأتم في الاستيطان هناك بالفعل, وهذا سيجعلنا ننتقل لنقطة أخرى في اتفاقنا السابق, ما سنحصل نحن عليه من أرض الغرب»

- «للأسف سيد كلاوديو, تلك القوات لم تذهب للاستيطان, بل ذهبت للحرب»

- «أي حرب تلك, فلقد قضي على الملك ريفيرا, وجيش الغرب بأكمله, بل إنكم قد سيطرتم على مدينة (النسور) عاصمة الغرب»

- «إنها حرب أخرى نخوضها مع جيش جديد الآن, إنهم الإلف وملوك القديسين, الذين أتوا لمساعدة أهل الغرب هناك»

لم يستوعب كلاوديو هول ما سمعه, فالآن الغرب يباغت من ملوك القديسين, وهم لديهم ولاء كبير لملوك (زاندو) الراحلين, كما أن الشرق يهاجم من أبناء الجليد, الذين لم يسمع بهم أحد من قبل, كما أن ليدلي يحدث ثورة في الجنوب, فلم يكادوا يثبتوا ملكهم في أرض (زاندو), حتى تتوالى عليهم التحديات الصعبة.

***

اصطف أسطول الجليد بشكل استعراضي, أمام ميناء (ريجلون), لكنهم كانوا في مدى بعيد عن أسوار الميناء, كما يرى الجميع بالداخل, أما على متن السفن, فالجميع أصبح

على أهبة الاستعداد, فقد أعطيت الملكة إلينا, الأوامر ببدء الهجوم مع انتهاء المهلة, لينصبوا المقاليع فوق سفنهم, وينصبوا المنجنيق طويل المدى إضافة لمدافع سفنهم.

مع حلول الليل انتهت المهلة التي أعطوها لكيجان كي يسلم الميناء, ليقف الوزير دوراتي بجوار الملكة, طالبًا منها إشارة البدء بالهجوم.

: «فليبدأ الهجوم سيد دوراتي, لكن ليكون هدفنا محددًا, إسقاط أسطولهم وقصف أسوار الميناء, لا أريد الكثير من الضحايا, يجب أن نكون أقوياء, لكن رحماء»

انصاع دوراتي على الفور لأوامر الملكة, ليعطي الإشارة لبدء الهجوم, لتعلو الأبواق فوق سفن الجليد, ليبدأ مرة واحدة فوج أول من رماح المنجنيق الضخمة المشتعلة, التي شقت السماء, لتبدأ مهاجمة سفن أسطول الشرق المرابط أمام مينائهم, لتتوالى بعد ذلك موجات الهجوم التي كانت متباعدة بعض الشيء, في عملية استفزاز لأبناء الشرق.

ظل كيجان يشاهد الهجوم المنظم, والمتتالي على أسطوله الحربي, أدهشه المدى البعيد الذي تستطيع سفن الجليد أن تصيبه, إن ظلوا هكذا فسيغرق أسطولهم بالكامل, دون أن يرد بضربة واحدة, وإن هاجموا فهي معركة غير متكافئة,

لكن بكل تأكيد لن يقفوا خانعين في مواجهتهم, ليعطي كيجان الأمر على الفور, بأن يتقدم الأسطول, وأن يشتبكوا معهم في معركة بحرية.

: «مولاي, أنت ترى أسطولنا ليس في نفس قوة أسطولهم, وأي معركة لن تكون متكافئة!»

- «والبقاء هنا لن يفيد بأي شيء سبستيان, إن انتظرنا سنشاهد سفننا جميعها وهي تغرق واحدة تلو الأخرى, ليتقدموا ويقاتلوا كالرجال, وليستعد الجميع لمواجهتهم»

كانت كلمات كيجان قاطعة, وهو يتحدث بعصبية كبيرة, صائحًا في وجه الجميع, لتعلو أبواق الميناء معلنة عن بداية الهجوم, وسرعان ما استعد البحارة على السفن الحربية, والجند للهجوم على سفن الجليد والاشتباك معهم, يعلمون أنهم يذهبون نحو معركة خاسرة, لكنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي, فقد بدت تعليمات الملك واضحة, لتتقدم السفن وتلتحم مع جسد سفن الجليد لتحطمها, وليشتبك الجميع في معركة حتى النصر.

***

في قلعة (بنتلي) استجاب الأمير لويس, شقيق الأمير

فيليب, وكذلك زوجته الأميرة ماري, لطلب الحكيم كولن, بأن يكون هناك اجتماع سريع وسرى, ليبدو عليهم التساؤل والحيرة, فهل لدى الحكيم كولن, أخبار جديدة قد وصلت, عن مواجهة فيليب مع الملاعين, أم أصابه أي مكروه لا يعلمونه.

- «أيها السادة, إني أعتذر على طلب مقابلتكم في هذا الوقت, لكن ما حدث هو أمر يتطلب اجتماعنا بسرعة, كما تعلمون جميعًا, لقد غادر الأمير فيليب نحو ميناء (ريجلون), في الأيام الماضية, وكما تعلمون أيضًا, لقد رافقه الحكيم توساني, متخفيًا بين حاشيته, ونتمنى عودتهم سالمين, لكن قبيل رحيلهم بقليل, أتاني الحكيم توساني في غرفتي, وأودعني بعض الأشياء المهمة, منها هذه الرسالة التي ختمها بخاتم الأمير فيليب, وطلب مني أن لا أفتحها إلا في موعد معين, وقد حان الموعد في مساء اليوم, وهذا هو ما جعلني أهرع إليكم لطلبكم معًا, فما أتى في الرسالة شيء خارج تخيلاتنا جميعا وتوقعاتنا»

- «سيد كولن, أتمنى أن لا تطيل في المقدمة, ولتخبرنا ما في تلك الرسالة, فلقد أصبتني بالقلق على الأمير فيليب»

- «اطمئني سمو الأميرة ماري, لكن ما في هذه الرسالة

يجب أن تسمعوه جميعا»

فض الحكيم كولن الرسالة, ليبدأ بقراءتها بصوت مرتفع على مسامع الجميع:

«عزيزنا الحكيم كولن, أحبائنا جميعًا, الأمير لويس, والأميرة ماري, وكافة أبناء آل بنتلي, نعلم أن ما نخطه إليكم في هذه الرسالة, قد يبدو ضربًا من الخيال, لكنه أمل لا يمكننا أن نتركه يذهب سدى, لم نقصد من ورائه إلا إرساء قواعد الحق, وإعادة الاستقرار نحو أرض (زاندو), تعلمون جميعًا أننا قد سلكنا طريقنا نحو (ريجلون), لمواجهة الملاعين ومساندة كيجان, في حربه تلك, لكن الواقع أننا ذهبنا لاقتلاع كيجان عن عرشه, فالواقع الأكبر أننا لم نذهب لملاقاة الملاعين, وليسوا هم من يهاجمون ميناء (ريجلون), بل هناك المدد الذي ننتظره بأمر من الملك شيرار, ملك الوسط الراحل, بعد أن خول الحكيم توساني بأن يستعين بأبناء سابقين من أرض (زاندو), أناس قد نساهم الجميع, قد غادروا الأرض في عهدها الأول, وبعد الحرب العظمى الأولى, إنهم أبناء الجليد, هم تلك القبائل التي غادرت نحو الشمال, ليعبروا الأرض الملعونة ويستوطنون أرضًا لم يطأها أحد من قبل, والآن هم عائدون لنصرة إخوانهم, ونحن

سنذهب إلى (ريجلون) لاستقبالهم, نعلم أن الأمر قد يبدو صادمًا لكم جميعًا, لكن كان لا بد من أن نخلع أولئك الخونة من على عروش ملوكنا الراحلين.

عزيزي لويس, أنت الآن قائد قلعة (بنتلي) حتى عودتنا, إن علمتم بنصرنا أو هزيمتنا فلا ترتعدوا, فقد أخذنا خط اللا رجعة الآن, عليك أن تذهب نحو (بوزان), ساند الأمير ليدلي بكل ما لديك من جند, فهو في أمس الحاجة لك الآن, سنخوض الحروب من أجل أنفسنا, ومن أجل الأجيال القادمة, ونعلي راية أسلافنا عاليًا محبكم.. فيليب»

أنهى الحكيم كولن قراءة الرسالة, ليعطيها للجميع ليروها, إنه خط الحكيم توساني وإمضاءه, هو والأمير فيليب, وختمهما في نهاية الرسالة, لتبدو الدهشة على الجميع, ويتساءلون عن من هم أبناء الجليد هؤلاء, ليبدأ الحكيم كولن بقص ما يعرفه من حكايات عنهم, لكنه اختتم حديثه أن كل هذا لا يتعدى مرحلة الأساطير, ليجلس لويس شاردًا, لا يعلم ماذا يتوجب عليه القيام به الآن؟, لكن في ظل دهشة الجميع, بدت الأميرة ماري متماسكة وصلبة, لتأخذ هي دفة الحديث:

«عزيزي لويس, أنت تعلم كم يحبك أخوك فيليب, وكيف

يعتبرك بمثابة الأخ والصديق والابن أيضًا, عليك أن تتماسك, فأنت قائد الإمارة في غياب أخيك, نعم قد أكون ممتعضة مما حدث, أو لدي بعض التحفظات, لكني بكل تأكيد أوقن أنه لديه أسبابه, هو والحكيم توساني لإخفاء هذا الأمر عنا, الآن عليك أن تنفذ تعليمات أخيك, ولتأخذ كل ما تستطيع من جند وتتجه نحو (بوزان), لمساندة الأمير ليدلي»

- «لكن يا عزيزتي...»

- «ليس هذا وقت الحديث لويس, إنه وقت الأفعال, أخوك يتقدم للشمال, وأنت ستتوجه للجنوب, لتكتبوا أسماءكم في التاريخ, لتتذكركم الأجيال القادمة, بأن آل بنتلي, لم يقفوا مكتوفي الأيدي, بل بذلوا الغالي والنفيس من أجل (زاندو)»

تقدمت سفن الشرق بكل قوة, تقترب من أسطول الجليد, بينما على الجانب الآخر بقي أبناء الجليد صامتين, منتظرين أوامر الملكة إلينا, التي ظلت تشاهد ما يحدث من قمرة قيادة سفينتها الملكية, ليطلب منها الوزير دوراتي, الإذن بالهجوم الكامل.

- «حذروهم أولا سيد دوراتي, طالبوهم بالاستسلام, وإن لم يفعلوا فلتغرقوهم»

انتشر أمر الملكة سريعًا على كافة سفن الجليد, التي أخذت تشكيلًا هجوميًا يشبه نصف الدائرة, محيطين بميناء (ريجلون) بأكمله, انطلقت الإشارات التحذيرية من أسطول الجليد, ليلفت انتباه أسطول الشرق, الذي أبطأ من سرعته قليلًا مع هذه التحذيرات, لتأتيهم أصوات عمالقة الجليد الجهورية, عبر أبواق تكبير الصوت التي يستخدمونها, يطالبونهم بالاستسلام باسم الملكة إلينا, فهذه ليست حربًا معهم, ولكنها مع خونة الملوك السابقين, طالبين منهم أن يسلموا قائدهم كيجان, ووقتها سيعفون عن الجميع.

بدت الفرقة واضحة بين بحارة الشرق, منهم من يريد الاستسلام, ومنهم من يريد الحرب, لكنه يعلم أنهم خاسرون, لكن جميعهم لا يقوون على عصيان الأوامر, ليصيح سبستيان قائد الأسطول في رجاله, بأن يتقدموا للأمام, ليذهب بنفسه ويقود دفة السفينة الهجومية التي يعتليها, ليعاود أبناء الشرق هجومهم من جديد, موجهين سهامهم ومدافعهم نحو أسطول الجليد, مقررين أن يتقدموا كالسهم نحو قلب الأسطول ليخترقوه.

لم يكن هناك بد من المواجهة, فقد استنفذ أبناء الجليد كل طرق السلم معهم, لتأتي الإشارة من السفينة الملكية للجميع

بالهجوم, لتفتح السفن وابلًا من القذائف على أسطول الشرق, بضربات سريعة وقوية, أصابت أهدافها التي بادلتهم إطلاق النيران عليهم من سفنهم, في معركة بحرية مشتعلة, لتتحول صفحة الماء البيضاء تلك إلى جحيم مستعر.

استمرت سفن الشرق في تقدمها بقوة, نحو قلب أسطول الجليد, ساعين لضربه بقوة, لكن دائمًا ما كان لأبناء الجليد, الجديد في تكتيك الحرب, ليفتحوا بأنفسهم ثغرة في صفوفهم, ليتقدم من الوسط, مجموعة من السفن كانت أكبر حجمًا من باقي سفن الأسطول, قد درعت بالكامل من الأمام بالفولاذ, وبرماح مدببة, يعتليها أطقم كاملة من العمالقة المدرعين, ليتقدموا هم بمنتهى القوة, مقتحمين أسطول الشرق, ومن خلفهم باقي سفن الأسطول, لكنهم كانوا رأس الحربة في تلك الهجمة المدروسة سابقًا في تكتيكهم العسكري.

سرعان ما اشتبك الأسطولان, ليهاجم الجنود من كلا الجانبين سفن الأسطول الآخر, معركة شرسة قد حطت أوزارها, بدت الغلبة العددية فيها لجيش الجليد الذي حاصر أسطول الشرق, ليهاجموهم بكل قوة, ويحاصرونهم من كل حدب وصوب, لتبدو الهزيمة جليةً للعيان, حتى شعر

بها كيجان وهو يراقب من ميناء (ريجلون)، هذه المعركة غير متكافئة التى علم بنتيجتها قبل أن تبدأ، لكنه أراد شيئًا واحدًا من البداية، أن يعيق تقدم جيش الجليد لأطول وقت ممكن، حتى يصل بيرس وباقي جيش الشرق للميناء، لمساندتهم في هذه المعركة.

على متن السفن، وفي ظل احتدام القتال، لم تكن ضربات أبناء الجليد قاتلة، بل كانوا يطالبون الجميع بالاستسلام أولًا، يخبرون الجنود أنهم لا دخل لهم بهذه المعركة، هناك من كان يستسلم لهم، وهناك من كان يقفز في المياه عائدًا نحو الميناء، أما من أراد القتال، فوجد أمامه مقاتلين أشداء، يبادلونه القتال بمنتهى القوة والعنف.

لم تدم المعركة لوقت طويل، حتى أحكم أبناء الجليد سيطرتهم على سفن الشرق، أسروا قادتهم المحاربين، وعاملوا من استسلم لهم من الجند بمنتهى الود، مرة أخرى يظهرون رحمتهم قبل قوتهم، لتأتي لهم الأوامر بانتشال كل من سقط في البحر جريحًا على متن سفنهم، ليسارع الجنود في مساعدتهم، بعد أن حسموا معركتهم الأولى بمنتهى القوة والسرعة.

على جانب الميناء، أمر كيجان بسرعة، أن يتم استخدام

القوارب الصغيرة لانتشال كل الجند العائدين في الماء، من استطاعوا الابتعاد عن موقع المعركة، وفي طريقهم للميناء، لتكون تلك بداية شرارة أخرى من الفتنة في صفوف الجيش، فقد عاد هؤلاء الجند في حالة من الهستيريا، يصيحون في الجميع، مخبرين إياهم بأنهم يواجهون ما لا طاقة لهم به، كما صاحوا يخبرون الجميع أن الأعداء على حق، فهم لم يقتلوهم، بل طالبوهم بالاستسلام حفاظًا على أرواحهم، فهم لا يريدون قتلهم، بل يريدون سلامتهم، لتبدو حالة الهلع والصدمة على الجند العائدين، صائحين في وجه ملكهم كيجان، أنه لا يهتم بحياتهم بعكس عدوهم، ليصيح كيجان في رجاله بأن يبعدوا هؤلاء الجبناء من أمام الجند!

مرة أخرى أظهرت فيها ملكة الجليد رحمتها، ونوياها الطيبة تجاه الجميع، أعادت بعضًا من جند الشرق من جديد نحو ميناء (ريجلون)، في قوارب النجاة الصغيرة محملين برسالة جديدة من الملكة إلينا، إلى كيجان ليعطوها له، ليقرأها على مسامع الجميع:

«من وريثة عرش الجليد، ملكته المجيدة إلينا، سليلة آل ياشين العظام، إلى هذا الوضيع كيجان، الذي يحسب نفسه ملكًا، أما وقد رأيتم بأعينكم قدرًا ضئيلًا من قوتنا، فإن كنت

ملكًا تسعى لمصلحة شعبك أولًا, وهذا أمرا لا نراه فيك, فاستسلموا تسلموا جميعًا, قدم رأسك فداء وطنك, أمامكم حتى الصباح»

رسالة أخرى تثبت نبل نوايا أبناء الجليد, لتزرع الشك في نفوس الجميع في الميناء الحربي, الجميع ينتظر قرار ملكهم, الكثير يتذمرون لكن لا يقوون على الاعتراض. ظل كيجان في حالة من العصبية, ليسعى مساعدوه لتهدئته, ليحاول أن يتمالك نفسه, ويخرج أمام رجاله المرابطين في الميناء الحربي, ليعتلي إحدى منصات الميناء لينادي في الجند:

«أيها الرجال, إن هؤلاء المعتدون والمغتصبون, القادمون نحونا الآن, من أجل الاعتداء على أرضنا وعرضنا, يتجرؤون ويطالبكم بأن تزيحوا ملككم الذي ويلتموه عليكم, لقد صنعنا سويًا تاريخًا جديدا لأرضنا, لقد سطرنا أسماءنا نحو المجد, إنهم يريدون أن يسلبوكم كل هذا, لا يريدون سلمًا أو أي شيء مما يدعونه, وإن كانوا صادقين, فلِمَ لم يعيدوا رفقاكم المأسورين لديهم, علينا أن نصمد ونرابط هنا, فباقي الجيش على وشك الوصول, غدًا سيكون يوم مجيد لنا, لنصمد هنا ونريهم من نحن, لنريهم من هم أبناء الشرق الأشداء,

فقساوة هذه الأرض جعلت منا أقوى الرجال، لا يرهبوكم بعددهم أو قوتهم، فنحن أيضًا أشداء وأقوياء، لنصمد جميعًا كالأبطال، وغدًا سنذيقهم الويلات وسنسحقهم»

حاول كيجان أن يستنهض حماسة الرجال، أن يجعلهم مستعدين لتلك المعركة، التي يعلم مسبقًا أنهم الطرف الأضعف فيها، لكنه كان يأمل أن يصل بيرس برفقة باقي الجيش في الوقت المناسب.

لم تكن حماسة الرجال في أعلى درجاتها، لكنهم مجبرين على الصمود لا غير، فمن يجرؤ على أن يوجه إليه أسهم الخيانة تحت أنظار الملك، فالموت هو مصيره الوحيد، ليعود كيجان سريعًا إلى خيمته، ويطلب لقاء الأمير فيليب، الذي آتى ملبيًا لدعوته.

: «عزيزنا فيليب، سنحدث تغييرًا في الخطة السابقة التي وضعناها، فالآن نحن نريد جميع الرجال هنا في الميناء للمواجهة»

- «كما تريد سمو الملك كيجان، فنحن بالفعل هنا من أجل الحرب، من أجل (زاندو)، وإن سمحت لي، فأنا لي رأي في أفضل طرق الدفاع عن الميناء»

بدأ الأمير فيليب برسم خطته الدفاعية, فالميناء الحربي يحيطه سور خارجي, هو الفاصل ما بين الميناء وباقي المدينة, اقترح أن يعتلي رجاله من جنود قلعة (بنتلي) أسوار الميناء, فهم رماة لا يشق لهم غبار, وهو أمر لا ينكره أحد في (زاندو) قاطبة, كما أقترح أن يقوموا بنصب الحواجز, على أرصفة الميناء, ومناطق إنزال الجند, لتكون هي حائط الصد الأول, ليكون خلفها باقي الجيش, وأن تنصب المقاليع في الميناء, ويتم تقريبها للأمام, لتتمكن من إصابة سفنهم قبيل الوصول للميناء. ظلوا طيلة الليل يتدارسون تلك الخطة, ليوافق عليها الجميع, ليشرعوا في تنفيذها سريعًا قبيل حلول صباح اليوم الجديد, ليستعدوا للمواجهة المنتظرة.

***

أعلنت الشمس يوم جديد يتسم بالحسم, فوق ميناء (ريجلون), الجميع في مواقعهم الدفاعية, كافة المقاتلين يأتمرون بتعليمات قائدهم الملك كيجان, يوجهون مقاليعهم صوب أسطول الجليد, الذى سحق أسطولهم في الليلة الماضية بمنتهى السهولة, يعلمون أنهم أقل عددًا, لكنهم سيقاتلون باستماتة من أجل وطنهم وأرضهم, بدوا في حالة من التأهب للقتال, فقد تأخر هجوم أسطول الجليد, الذى

تريث قادته وملكته بغية حقن الدماء، لكن الوقت قد حان لتعلو أبواق القتال، وطبول الحرب من فوق سطح السفن، التى بدأت في التقدم ببطء، ليصيح كيجان في رجاله بأن يثبتوا ويستعدوا للقتال، ليبدؤوا بقصف سفن أسطول الجليد التى تقدمت ببطء دون أي تردد، ليقتربوا خطوة تلو الأخرى من الميناء، ليحين وقت المعركة.

الجميع في أوج تركيزهم وحماستهم، ليقطع كل هذا صوت أبواق غير متفق عليها، من فوق أسوار الميناء الداخلية، التى يتمركز فوقها الأمير فيليب، وجنود قلعة (بنتلي)، ليلتفت الجميع للخلف، ليجدوا رجال الأمير فيليب مصوبين سهامهم نحو كل من في الميناء، بينما ارتفعت راية آل بنتلي عاليًا، ومعها رايات الملوك الراحلين لممالك (زاندو)، الذين غُدِر بهم، ليصيح به كيجان واصفًا إياه بالخائن، ليأتي رد الأمير فيليب، بسهم قد صوبه مباشرة بجوار مكان كيجان متعمدًا تهديده:

«الخائن هو أنت ورفقتك من حثالة هذه الأرض، من خنتم ملوككم وتحالفتم مع الملاعين، إن كنتم قد نسيتم ما قمتم به، فإننا أبناء آل بنتلي مازلنا نتذكر، وندين للولاء للملوك الراحلين، ندين بالولاء للملك جودان، ملك الشرق

العظيم، وللملك جيرارد، حامى الشمال، وللملك أرسين، فارس الجنوب، وللملك ريفيرا، سيد الغرب، وندين بالولاء لدرة التاج في أرض(زاندو)، الملك شيرار، أبانا ومعلمنا، قائد الوسط والاتحاد ككل.

أيها الرجال، إن هذا الجيش القادم أمامكم في البحر، لم يأتِ إلا بخير، من أجل الملوك الراحلين، للانتقام لهم من الخونة الذين دنسوا هذه الأرض، ما زال أمامكم فرصة، لتسلموا أسلحتكم وتعودوا إلى رشدكم»

: «ما أنت إلا خائن خسيس يا فيليب، فها أنت الآن تتآمر على أهل (زاندو)، وعلي، ملكك الحالي، ومن هم هؤلاء المعتدون، ومن هم أهل الجليد الذين تزعم أنهم قد أتوا من أجل الملوك الراحلين؟!»

صاح كيجان فيه بقوة بعدما شعر بضعف موقفه، فهو محاصر من كلا الجانبين، لكنه لا يريد أن يفقد رجاله، فهو يريد أن يظهر فيليب كخائن وضيع، حتى لا يسلم له رجاله، فهو يعلم أن النفوس قد تتغير في برهة، لكن صدمته الكبرى قد اكتملت عندما وجد ذاك العجوز الذي يعرفه جيدًا، يتقدم للأمام بجوار الأمير فيليب، أعلى الأسوار، كاشفًا غطاء رأسه، إنه الحكيم توساني، أمين سر ممالك الاتحاد السابق!

- «أنا أخبرك من هؤلاء يا كيجان, هؤلاء هم قوم الجليد, الذين أتوا إلى هنا بعد طلب من الملك شيرار.

يا أبناء (زاندو), أن كنتم حقا تسعون خلف الحق, فنحن هنا من أجل إعلاء راية (زاندو) خفاقة عالية، الخطر لا يأتيكم من البحر, بل الخطر هناك في الشمال, حيث الملاعين الذين تحالف معهم هؤلاء الخونة للظفر بالحكم, هل ارتضيتم بحفنة من القطع الذهبية, بأن تبيعوا أرضكم وملوككم, إن هؤلاء الخونة الذين ارتضيتم بهم, سيلقون بكم في التهلكة, ولنا في ليلة الأمس خير مثال, فالجميع كان يعلم علم اليقين, بأن المعركة البحرية غير متكافئة, لكن هذا المتغطرس كيجان, رمى بإخوانكم للموت, والآن يريد أن يلقى بكم أنتم أيضا نحو الموت!»

- «فلتصمت أيها العجوز الخرف!, لا تستمعوا له, أنا هو ملككم, وأمركم بأن تسقطوا هؤلاء الخونة من قلعة (بنتلي)!»

- «نعم أنا عجوز لكني لست خرفًا, لمن لم يعرفني منكم, فأنا الحكيم توساني, كبير حكماء (زاندو), وأمين سر مجلس الاتحاد, وأنا هنا بأمر من الملك الراحل شيرار, آخر قادة اتحاد ممالك (زاندو) الخمس, فبموجب هذا المرسوم منه,

استعنا بأبناء الجليد ليثأروا لملوك (زاندو)»

أنهى الحكيم توساني كلماته، ليظهر للجميع ذلك المرسوم الصادر من الملك شيرار، والذي يعطيه الإذن بالاستعانة بملوك الجليد في حال الهزيمة، أو حدوث أي غدر في معركتهم مع الملاعين، ليتلو نص المرسوم بصوت مسموع للجميع.

- «لا أحد هنا يعترف بك، أو يعترف ب شيرار، أو أي من الملوك السابقين، أنا ملك الشرق الحالي، أنا هو كيجان الأو...»

لم يكمل كيجان كلماته، ليقطع الأمير فيليب كل هذا الأمر بهذا السهم النافذ، الذي عرف طريقة سريعا نحو حلقه، لتتحشرج الكلمات في حلقه، ويمسك برقبته متحسسًا الدماء التي تسيل منها، ليسقط أرضًا في ذهول من الجميع.

- «إن هذه الضربة هي من أجل الملك الراحل جودان سيد الشرق الوحيد الذي أعرفه، الآن الخيار لكم، إما أن تنهضوا من أجل ملوككم السابقين، وأن تثأروا لهم بأن نقضي سويًا على الملاعين، أو أن تلقوا مصير هذا الخائن كيجان»

بدت كلمات الأمير فيليب قاطعة، دون أدنى ذرة هوادة

في تهديده، فقد أعطى الإشارة لرجاله بأن يصوبوا سهامهم نحو كل من بالميناء، لتتضارب الأصوات في الميناء بين الجند، فمساعدي كيجان وشركائه الأوائل، يعلمون أنه لن يرأف بهم أحد، ليصيحوا بالرجال بأن يثبوا من أجل ملكهم كيجان، الذي سقط بيد الخونة، راجين في قرارة أنفسهم أن يصل بيرس ببقية الجيش الآن، بينما الجند العائدون من قبضة الأسر من أسطول الجليد، أخذوا يصيحون في الجميع، الحق هو ما يقوله الأمير فيليب، والحكيم توساني، وإن هؤلاء القادمون من أبناء الجليد إن كانوا ينوون بهم شرًا لقتلوهم، لكنهم أعادوهم جميعًا للميناء سالمين، بل أعطوا الجميع فرصة للاستسلام، ليصيح فيهم قادتهم بأن يصمتوا، ليندفع سبستيان قائد الميناء، نحو أحد هؤلاء الجند فوق جواده محاولًا قتل، لكن سهم قاتل أتى من فوق أسوار الميناء أسقطه أرضًا، مما جعل الجميع يعود بأنظارهم نحو جنود آل بنتلي، والأمير فيليب، الذي صاح بهم مجددًا:

«من الآن لن يوجد بيننا خائن أو مستبد أو معتدي، الجميع له حرية الاختيار، لكن الخونة سيلقون حسابهم»

بدأ الجند بإلقاء أسلحتهم، هاتفين باسم الملك الراحل جودان، وباسم الأمير فيليب، بينما قادتهم ما زالوا يحاولون

ردعهم عن هذا، ليثور الجند عليهم، لتنتهي تلك المعركة قبل أن تبدأ، بسقوط الخونة الذين تزعموا حركة الغدر، ضد ملوكهم في أرض المعركة أمام قلعة (بلاجا) من قبل.

***

رست سفن الجليد الواحدة تلو الأخرى على ميناء (ريجلون)، ليبدأ الجند في النزول إلى الميناء، ليأمنوا وصول السفينة الملكية، التي أصبحت جاهزة الآن لتوديع ملكة الجليد، التي ستحط قدمها الآن على بقعة من أرض (زاندو)، ليعود شعبها لأرضه الأولى بعد قرون عديدة، لتحقق أولى خطوات نبوءة الآباء، بأن يعودوا نحو وطنهم الأم من جديد.

هبطت الملكة إلينا الدرج من سفينتها الملكية، لتخطوا أولى خطواتها على أرض ميناء (ريجلون)، لتجد في استقبالها الأمير فيليب، والحكيم توساني، والذي جثى على ركبتيه محييًا إياها:

«مرحبًا بك مولاتي الملكة إلينا، سليلة آل ياشين العظام، وريثة عرش الجليد، وصاحبة النبوءة الغائبة، إنه لشرف عظيم أن ألقاكِ هنا يا مولاتي، في أرض النبوءة، فالآن قد أتممت مهمتي التي أوكلت بها»

بدا الذهول على الجميع مما يقوم به الحكيم توساني، فلما يدين هذا الرجل الذي يوقره الجميع في أرض (زاندو)، بالولاء لهذه الملكة الوافدة عليهم، وما هي مهمته، وما هي تلك النبوءة التى يتحدث عنها، لكن الملكة تقدمت إليه بكل وقار، لتمسكه من كتفيه وتساعده على النهوض، مبتسمة له محدثةً إياه:

«بل نحن جميعًا من ندين لك بالفضل يا عزيزي، فقد كنت خيرَ خادمٍ لرسالتك وأمانتك، أيها السادة، إن هذا الرجل، هو حامل النبوءة العظيمة التى تنبأ بها الأجداد، عقب الحرب العظمى الأولى، بأن يتوحد شمل أبناء (زاندو) أجمعين، لمواجهة خطر داهم، واعتقد أن الجميع يعلم هذا الخطر المحدق بنا، بتواجد الملاعين في أرض (زاندو) الخالدة، فقد كان هذا الرجل هو حامل النبوءة، خادم (زاندو) الوفي، الذي لم يتوانى لسنوات عديدة، في خدمة ملوك (زاندو) ولم يغض الطرف أبدا عن دعم ملوك الجليد، حتى يحين الأون ليخرج سر النبوءة إلى النور، إنه حكيم (زاندو) السيد توساني، كما تعرفونه، وكما نعرفه نحن في أرض الجليد، إنه راجاك حامل سر النبوءة العظمى، فنحن جميعًا ندين له بالفضل، على كل ما قدمة من خدمات لهذه الأرض وأهلها»

أنهت الملكة إلينا كلماتها, لتجثو هي على ركبتها, في تحية للحكيم توساني, ليتبعها وزرائها ومستشاريها, وكافة أبناء الجليد, وهم يتساءلون في قرارة أنفسهم لِمَ تقوم الملكة بالانحناء إليه, لينصاع أبناء الشرق لهم, وينحنوا جميعًا للحكيم توساني وهم لا يعلمون السبب, ليجد الأمير فيليب نفسه هو الأخر, ينحني بتحية إجلال للحكيم توساني, دون أن يعرف السبب.



11

معركة قد انتهت في (ريجلون)، وأخرى على وشك البدء هنا في (بوزان)، الجميع يقاتل منفردًا، لكنهم اجتمعوا من أجل (زاندو)، دون أن يعلم أي منهم، فهناك جيوش ثلاث تتحرك في الشرق، والغرب، والجنوب، لإعادة إعلاء كلمة الملوك الراحلين، وطرد الملاعين من أرض (زاندو) بلا رجعة، الجميع على أهبة الاستعداد، أبناء المنجالا، رفقة مساجين (بوزان) السابقين، معهم جنود جراكوس، ومن انضم إليهم من سكان الجنوب، يتمركزون أمام قلعة (بوزان)، تحت إمرة الأمير ليدلي، من نصبوه ملكًا جديدًا عليهم، مطالبًا بحق أسلافه وحق الملوك الراحلين.

بينما على الجانب الآخر، تقدم جيش مملكة الجنوب، الذي يقوده تيري بمنتهى الحذر، بداخل ممرات الغابة، في طريقهم نحو (بوزان)، تقدمتهم الفرق الاستطلاعية لترشدهم لأكثر الطرق أمانًا، مبتعدين عن الكمائن المنصوبة لهم، استغرقوا ليلةً كاملةً ونصف نهار، لتصل طلائع الجيش ويبدأ الاصطفاف بشكل كامل، عندما أعلنت الشمس عن اعتلائها لكبد السماء، تقدم تيري جيشه، ليشير لحاجبه الملكي الذي تقدم للأمام بضع خطوات، ليفض عريضة أمامه،

ويصيح بما فيها بصوت مرتفع، حتى يسمعه الجنود في الجيش الآخر.

: «بسم الملك تيري الأول، وبسم آلهتنا العظام، فإنه وبناء على ما بدر منكم من جرائم متعددة، أولا- قيام مجموعة من المساجين بالثورة على حراس قلعة (بوزان)، وارتكاب جرم التمرد، واحتلال تلك القلعة، ثانيًا- تعديكم على جيش ملكي، قد كلف بإعادة الاتزان إلى قلعة (بوزان)، ثالثًا- الجرم الأكبر الذي قام به هؤلاء الهمج من قبائل الغجر، وتعديهم على أرض (زاندو)، ليس ذلك فحسب، بل إنهم قد تعدوا على قوات الحماية، التي تحظى بدعم ممالك (زاندو) قاطبة، وبموجب كل تلك الجرائم، وبالسلطة المخولة لملكنا تيري، فقد تم إعلانكم خونة لهذه الأرض. ومعتدين عليها، فسلموا لنا الخائن ليدلي، وقادة قبائل الغجر ليتم محاكمتهم، وليستسلم الجميع، وسيتم العفو عنكم، وإلا فهي الحرب!»

أنهى الحاجب خطابه، ليعم الصياح بين جنود تيري، يعلنون استعدادهم لخوض هذه المعركة، لتعلو راية ملكهم ووطنهم، لكن على الجانب الآخر، تقدم الملك ليدلي الصفوف، ليصل لمقدمة الجيش صائحًا بأعلى صوته في الجميع:

«بما أنكم قد تنعتوننا بالخونة، وتسعون لإعلاء كلمة الحق كما قلتم، فلتحاسبوا الخائن الأعظم، حاسبوا أنفسكم، وهذا الخائن السفيه الذى تلقبونه ملكًا هو وأعوانه، فأنتم تعلمون أي جرم قد ارتكبتم، فقد خنتم وطنكم وملوككم السابقين، وتأمرتم مع الملاعين لتدنسوا هذه الأرض، وتسرقوا خيراتها، الخيانة قد بدأت شرارتها منكم، أما نحن فقد نذرنا أنفسنا، لتحرير هذه الأرض من كل فاسد خائن قد دنسها، فيا أبناء (زاندو)، إن كان من بينكم رجل رشيد، أو شريف، أو يحمل في قلبه مثقال ذرة من كرامة، ورجاحة عقل، فأقروا بذنبكم وانضموا إلينا، فها أنا ليدلي بن شيرار، سليل آل فيرجسون، ملوك الوسط، أرفع راية الحق من أجل ملوك (زاندو) المغدور بهم، ومن أجل كل سكان هذه الأرض، الذين رضخوا لحد السيف الذي حمله عدد من الخونة، سلموا كبار خونتكم وأقروا بذنبكم، وكرسوا أنفسكم لردع الملاعين من هذه الأرض، ولتبدؤوا بملاعين البشر الذين بين صفوفكم، فإننا لن نرضخ، أو نتوقف، إلا حينما نطهر هذه الأرض من كل معتد آثم، فنحن لا نسعى إلى سلطة أو مجد، بل نسعى لعدالة، وحق قد سلب من أهل هذا الوطن الكبير الذي نحيا فيه جميعًا»

أنهى ليدلي كلماته، لتأتي من خلفه صيحات جيشه، أعلى

وأقوى من صيحات جيش تيري، رغم أنهم أقل عددًا، لا لشيء إلا لأنهم قد أمنوا بقضيتهم، وأقسموا أن يبذلوا كل ما لديهم من أجل وطنهم.

بدا جليًا للجميع، أن كلا الطرفين لا ينوي التفريط في أي من مطالبه، الجميع يريد الانتصار اليوم، أو استسلام مشروط للخصم، لترتفع رايات الحرب خفاقةً عالية. نظم كلا الجيشين صفوفهم، لينتظر كل منهما البداية، لكن المبادرة أتت من جيش تيري، فهو يعلم جيدًا أن جيش ليدلي متحصن بالقلعة، وأن رماتهم يمتلكون اليد العليا في المعركة، في حال اقترابهم من الأسوار التي يصطف الجيش أمامها، لكنه توجب عليه إخراجهم من مواقعهم، ليتقدموا للأمام بعيدًا عن مرمى السهام، ليعطي الإذن لجيشه ليبدؤوا بإطلاق المقاليع، مستهدفين قلب جيش ليدلي، لتبدأ موجه من القصف تربك الصفوف بداخل جيش ليدلي، الذي فطن سريعًا لما يرمى له تيري، فهو يريد أن يتقدم الجيش للأمام بعيدًا عن الأسوار، ليحرمهم من غطاء الرماة المتمركزون بالمواقع العليا، ليعطي الإشارة بسرعة لقواته أعلى الأسوار، ليقوموا برد الهجوم بالمقاليع الخاصة بهم، حتى وإن كان عددها قليلًا، لكنه سيبادله الهجوم على كل حال، ليأتي رد المرابطين في قلعة (بوزان)، لكن قوة مقاليعهم لم تكن قوية

كفاية، فبالكاد وصلت قذائفهم نحو مقدمة جيش تيري، ليعطي هو الآخر أمرًا لرجاله بأن يتراجعوا للخلف بضعة أمتار، مع استمرار القصف على جيش ليدلي.

توجب على ليدلي وقادة جيشه، أن يتخذوا خطوات سريعة للرد على جيش تيري، فإن ظلوا على هذه الحال، سينتهي تنظيم جيشهم بكل تأكيد، ليصدر ليدلي قرارين سريعين، أولًا- يتقدم المشاة للأمام بقيادة أندرو، للاشتباك مع الخصوم، وثانيًا- يتم استدعاء الرماة أعلى المرتفعات، ليأمنوا مؤخرة الجيش، بينما يظل الرماة فوق الأسوار كما هم، لتظهر الإشارة واضحة للجميع، ليقود أندرو جنوده للأمام، صائحًا بهم:

«إلى الأمام، تذكروا ما قمنا به، الكتف بالكتف، القدم بالقدم، الدرع بالدرع، نحن بنيان واحد لا يقهر!»

ليصيح بهتاف النصر عاليًا، ليتبعه جنود المشاة، وهم يتقدمون للأمام بتنظيم واضح، يضربون دروعهم بالسيوف ليرهبوا عدوهم، ليبدأ أبناء قبائل الجنوب بصيحاتهم الجهورية، بتقاليدهم الحربية المتوارثة من أسلافهم القدماء.

مع تقدم المشاة، آتى الرد من قبل جيش تيري، ليأمر الرماة باستهداف المشاة المتقدمين صوبهم، لتبدأ موجات متتالية

من السهام تستهدف قوات المشاة، ليصيح فيهم أندرو بأن يحتموا بدروعهم، مع مواصلة التقدم للأمام، ليصنع الرجال درعًا كاملًا يحيط بهم كما دربهم أندرو، وتقدموا للأمام بكل ثقة مع صيحاتهم العالية، ليأتي ردهم مع التقدم ببعض قوات الرماة البسيطة المطعمة في صفوفهم، عندما ينتهى فوج من السهام، يردون عليهم سريعًا بموجة من سهامهم حتى وإن كانت قليلة، لكنها كانت تمثل ردًا على جيش تيري، ليواصلوا التقدم مع فقدانهم لبعض الرجال، ليصبحوا على مقربة من خصومهم، هنا أعطى تيري الإشارة، لمشاة الجيش ليتقدموا لمواجهتهم، فهو يريدهم على مقربة من جيشه الذي يفوقهم عددًا، ليتقدم رجاله على الفور، وأصبح الجميع يترقب هذا النزال، بدا الثبات على جيش ليدلي، صف واحد لا يخترق بسهولة، كما هو حال جيش تيري، التحمت الصفوف الأمامية، كلا الطرفين يقاتلا نمن خلف دروعهم، كل طرف منهم يريد بسط سيطرته، بدفع الخصم للخلف أكثر، فبدت المعركة متكافئة بشكل كبير.

كانت صيحات قادة جيش تيري: (ادفعوا)، محاولين دفع جيش ليدلي للخلف، بينما نظرائهم يصيحون بشيء واحد: (اثبتوا)، فهم لا يريدون فقدان أي شبر قد اكتسبوه على أرض المعركة للآن، ليرى أندرو ما يبذله رجاله من بسالة،

وجهد في ثباتهم في تلك المواجهة, قبل أن يصيح بصوت مرتفع: «اخترقوهم الآن!»

مع تلك الصيحات العالية, تقدم أنتيكوس مع عدد كبير من الجنود, انطلقوا من الصفوف الخلفية للمشاة, بينما أفسح لهم الجميع المجال,, بينما القوات في الصفوف التالية للصف الأمامي, صنعوا ما يشبه درجات السلم بدروعهم, ليتقدم أنتيكوس وقواته, على طيلة خط الدفاع الأمامي, متسلقون تلك الدروع ,ليقفزوا بمنتهى الشجاعة في قلب جيش تيري, في حركة هجومية مفاجأة, أربكوا بها صفوف جيش الخصوم, ليبدأ القتال الحقيقي, ليأتي صياح أندرو من جديد: «الموجة الثانية!»

ليتقدم أشوري ومجموعة أخرى من المقاتلين من الخلف للأمام, يحملون أوتادًا خشبية كبيرة, يندفعون بها من الخلف للأمام, ليفسح لهم الجميع المجال حتى الصف الأول من المشاة, ليضبروا بها الصفوف الأولى لجيش تيري, ليصيح أندرو من جديد برجاله ليهجموا بكل قوة, بعد أن نجحوا في إرباك الخطط الدفاعية للخصوم, اشتبكوا معهم بمنتهى القوة, مظهرين براعة كبيرة في القتال, أنتيكوس يقود الفرقة الانتحارية, للتوغل بين صفوف المشاة, يحمل في

إحدى يديه رمحًا, وفى الأخرى سيفًا, بينما أشوري, تقدم رجاله ببلطة عملاقة, يطيح بها برقاب الخصوم, أم أندرو فقد استل سيفيه ليقاتل بكلتا يدية بمنتهى البراعة ليبدؤوا في التقدم للأمام...

أعطى تيري الإشارة ليتقدم الفوج الثاني من مشاة جيشه, فما اشتبك معه قوات ليدلي لم يكن إلا نصف المشاة, ليجد أندرو نفسه ورجاله في مواجهة أضعاف عددهم, ليصيح في رجاله بأن يعيدوا تنظيم أنفسهم, ويستعدوا لمواجهة الفوج الثاني من قوات الخصم, الذين انطلقوا نحوهم سريعًا, لتميل الكفة الآن لجانب جيش تيري, ليعطي ليدلي الإشارة هو الآخر بسرعة, لقوات القلب لتتقدم للأمام لتقوم بدعم المشاة, لكن أندرو ورجاله قد اشتبكوا بالفعل مع قوات جيش تيري, ليحاولوا الصمود أمامهم, حتى يصلهم التعزيز من الخلف الذي لم يتأخر, ليحاولوا تنظيم صفوفهم من جديد, في معركة شرسة أمام خصم قد أربك خطتهم من الأساس, فقد بنيت خطتهم على الدفاع وليس الهجوم, بأن ينتظروا الخصم أمام القلعة وينصبون لهم الشرك هناك, لكن خصومهم أجبروهم على الخروج من أماكنهم ليغيروا كفة المعركة لصالحهم.

أخذ تيري يراقب ما يحدث أمامه عن كثب الآن, لقد نجح في إخراج جيش ليدلي من مواضعه, المشاة وقلب الجيش بالكامل قد اشتبكوا مع مشاة جيشه, لم يبق لهم إلا الفرسان, لكن عليه أن يقضى أولًا على مشاة وقلب جيش ليدلي, ليعطي الإشارة لقادة جيشه بأن يتقدم نصف فرسان الميسرة والميمنة للأمام ليدعموا المشاة, على أن يبقى باقي الفرسان والرماة وقلب الجيش منتظرين أوامره, فهو الآن يدفع بنصف جيشه للمعركة, والذي يوازي تقريبًا كامل جيش ليدلي, بينما النصف الآخر سينتظر لحظة الحسم, ليستغل عامل التفوق العددي لصالحه بكل قوة في هذه المعركة.

تقدم الفرسان بمنتهى القوة, ليقدموا الدعم لمشاة جيشهم, وتميل الكفة إليهم مرة أخرى, ليعاودوا التفوق على خصومهم, شاهد أندرو تقدم الخصوم, هو يعلم جيدًا أنه عليهم الصمود لأطول وقت ممكن, فإن اندفع فرسانهم لمساندتهم الآن, فهذا يعني أن ظهر الجيش بالكامل قد انكشف, وأن القلعة أصبحت دون أي حماية, أخذ يقاتل بكل ضراوة, يضرب هنا وهناك, تحطم سيفيه ليحارب بغيرهما من سيوف القتلى, لكن تفوق الفرسان سيرديهم جميعا قتلى, قضى بسرعة على أحد فرسان جيش تيري وأسقطه من أعلى جواده, ليصرعه ويمتطي جواده, ليشير لرجاله بأن

يتقدموا للأمام, لينطلق هو كالسهم مخترقًا صفوف الفرسان, يضرب بسيفيه بكل قوة, ليلحقه عدد من الجنود, يفعلون ما فعله, ويستعينون بجياد الخصوم ويتقدمون, كما انطلق أنتيكوس وفرقته الانتحارية, بين الفرسان بكل قوة, صمدوا لوقت أطول, لكن الخصوم كانوا أكثر عددًا منهم.

رأى ليدلي رجاله يقاتلون بكل ضراوة, لكنهم لن يصمدوا كثيرا رغم براعتهم تلك, ليعطي الإذن لقوات الفرسان بأن يتقدموا للأمام, لينطلق هو معهم وبرفقته قادة القبائل, وباقي قوات القلب, فقد اتخذ قراره إنها معركة حياة أو موت, فإن ظلوا هكذا سيباد مشاة الجيش وقلبه, فلا سبيل لهم الآن إلا أن يقاتلوا جميعًا كرجل واحد بمنتهى القوة, ليصيح بأعلى قوة في رجاله وهو يقودهم للأمام:

«تقدموا إلى الأمام, قاتلوا وكأنه يومكم الأخير, دافعوا عن أرضكم وشرفكم, فاليوم لا سبيل لنا إلا النصر هياااااااا»

تعالت صيحات الرجال في جيشه, ليتقدموا للأمام بكل قوة, بينما بقي خلفهم الرماة ليؤمنوا انسحاب الجيش, إذا حدث أي تراجع, بينما أندرو يشير لهم بأن لا يتقدموا, فهو يريد الصمود هو ورجاله لكن الأمر قد نفذ.

راقب تيري الوضع عن كثب, ليرى ليدلي وجيشه وهم

يتقدمون للأمام, ليشتبكوا مع رجاله الآن, لقد نصب لهم الشرك جيدًا, الجيش بأكمله قد اشتبك مع قواته, وظهرهم غير مؤمن, بينما صفوف قواته ما زالت مؤمنة.

انتظر قليلا ليرى ليدلي, وهو يقاتل بكل ضراوة هو ورجاله, بينما قواته الأمامية, ملتزمة بالخطة التي وضعها بكل ما أوتوا من قوة, عليهم الصمود قليلًا وتشتيت صفوف خصومهم, التي فقدت تمركزها الدفاعي بالفعل, لتكون في وضع هجومي الآن.

أخذ ليدلي يقاتل بكل ما أوتي من قوة وسط رجاله, يعلم أنهم يواجهون خصمًا يفوقهم في العدد والعتاد, فعليهم فقط أن يتحلوا بالشجاعة والقوة والإيمان, كان يصيح فيهم: «قاتلوا وتقدموا, لكن حافظوا على ترتيب صفوفكم, لا تدعوهم يشتتوا تركيزكم!»

رأى تيري, أن اللحظة الحاسمة قد حانت, ليعطي الإذن لبقية قوات الفرسان, بأن تتقدم بكل قوة نحو ساحة المعركة, بينما ظل هو رفقة باقي قوات القلب يأمنون جيشهم المشتبك الآن, مالت الكفة مرة أخرى نحو جيش تيري, بينما ليدلي ورجاله, يحاولون بكل قوة أن ينظموا صفوفهم مرة أخرى.

أراد ليدلي أن يخفف الضغوط على قلب الجيش، الذي يعاني من هجمات الخصم، ليرسل رفقة أحد الفرسان نحو جراكوس، قائد الميمنة، بأن يتقدم برجاله نحو الأمام ليضرب ميسرة الخصوم، محاولًا إرباكهم، ليصيح جراكوس في رجاله، بأن يتبعوه نحو الأمام، ليتقدم رفقة فرقة من الفرسان، مخترقين الصفوف في مهمة انتحارية، لرفع الضغوط عن قلب الجيش، لينجح بشكل جزئي في إرباك خصومه، لكنهم سريعًا ما حاصروه هو وفرسانه، الذين قاتلوا بضراوة وشجاعة، وعزلوه عن باقي الميمنة، ليحاول جنوده باستماتة أن يفكوا الحصار عن قائدهم، لكن الأمر بدا عسيرًا واحتاج لجهد أكبر من القتال.

نجح تيري في خطته، فقد اعتمد على الكثرة العددية لجيشه، رجاله يحاصرون قوات ليدلي، فصلوا ميمنة الجيش وميسرته عن القلب، ليرى أمامه أن النصر أصبح يلوح في الطريق، ليعطي الإذن لنصف قوات القلب أن تتقدم للأمام، لتحاوط جيش ليدلي بالكامل، بينما بقي برفقته خاصة فرسانه، وقوة الحرس الملكي، ومعهم معدات الحصار، وقوات الرماة، وبعض من باقي قوات القلب من المشاة.

ضاق الخناق على جيش ليدلي، أصبحوا محاصرين

من كافة الاتجاهات، يقاتلون بضراوة، القتلى يتساقطون منهم، لكنهم يقاتلون بكل شراسة، يصيح فيهم ليدلي بأن يتماسكوا، وأن ينظموا الصفوف ليبقوا على مقربة، الجميع قد أنهك من شدة القتال، المحتدم مع قوات أكثر عددًا، يحاولون إيجاد ثغرة لشق صفوف المنافسين، ليتراجعوا نحو القلعة ليتحصنوا بها، لكن تيري لم يدع لهم أي مجال، بل إن رجاله أصبحوا أقرب للقلعة منهم، فأي تراجع غير منظم سيعني سقوط المزيد منهم.

أندرو يقاتل ببسالة، أنتيكوس قد استنفد كل قواه، لكنه متماسك بكل ما أوتي من قوة، أشوري يكيل الضربات لخصومه، يريد أن يعود سالمًا لمحبوبته أديلا، جراكوس ورجاله محاصرون ويحاولون الثبات، ليدلي يرى جيشه يسقط، بل إن أحلامه نحو استعادة (زاندو) بالكامل تتلاشى، لكنه لن يهرب، فلم يعتد أبدًا على ذلك، حتى جواده قد تركه وسقط صريعا، ليترجل أرضا ويقاتل بكل قوة، ومن حوله قادة قبائل الجنوب، يرى الزعيم إيكابي يقاتل بشراسة كبيرة، يحث أبناء المنجالا على القتال، رغم معرفته بخسارتهم، ومن حوله أبناء قبيلته يوفرون له الحماية وللملك ليدلي، فلن يسمحوا بالمساس بهم أبدًا، لكن رغم كل هذا، فهم يعلمون أن فرص الانتصار باتت ضئيلة

للغاية، الأمر يعتمد على براعتهم في الصمود فقط، ليشاهدوا جنودهم يسقطون، الصمود سينتهى قريبًا، ليحدث ليدلي نفسه: «لماذا أتى هؤلاء الأناس إلى هنا؟، لِمَ وثقوا برجل لا يملك شيئًا ويقاتلون من أجله هكذا، لِمَ لم يكن القدر رحيمًا به، لينال فرصة للانتقام لوالده، وللملوك الراحلين، ليحرر (زاندو) من الملاعين».

أفكار كثيرة تبادرت إلى ذهنه، لكن لا مجال لها الآن، فيجب أن يقاتل فقط، يقاتل من أجل النجاة، وحدها النجاة من هذه المعركة، عل القدر يمنحه فرصة أخرى للثأر، فما قام به للآن هو ضرب من ضروب الخيال، من أسير إلى جيش بكامله يقاتل خلفه، قد آتاه من حيث لا يعلم، ليشعر بالأرض تهتز من أسفل قدمه، ليحدث نفسه هل أتوهم هذا، أم أنها قوة الطبيعة ستساعدنا، هل ستخسف بنا الأرض، أم الآلهة تمد له يد العون، أم أن كل هذا من وحي خياله؟

ينظر حوله ليجد أن الجميع توقف، ويبدو أنهم قد شعروا بتلك الهزات، حتى الجياد أصيبت بحالة من الاضطراب، ليطالع الجميع ما يحدث، ويعم الصمت على الجميع، وكأن ساحة المعركة، قد أصبحت خالية لبرهة من الزمن، قبل أن يسمعوا أبواقًا عالية تأتي من بعيد، لكنها تقترب شيئًا فشيئًا،

واهتزاز الأرض يزداد شيئا فشيئًا, قبل أن تتعالى صيحات أبناء المنجالا, وباقي قبائل الجنوب بشكل هستيري, بصيحات النصر التى لم يعلم ليدلي سببها, لينظر سريعًا للزعيم إيكابي متسائلًا, ليجيبه صائحًا بفرح كبير:

«إنهم النوماكي, لقد عادوا إلى رشدهم أخيرًا, وباقي القبائل لينضموا إلينا»

لم يتفهم ليدلي سر فرحهم هذا, لكنه أصبح أكثر حماسةً مع المدد الذي أتى من حيث لا يحتسبون, ليصاب بعدها بالدهشة مما رأى!

اقتحم النوماكي وباقي القبائل ساحة المعركة, وهم يقودون كائنات عملاقة تسمى الماموث, إنها كائنات أسطورية, قد قرأ عنها ليدلي في مطالعته للكتب, وعلم أنها كائنات لا يمكن ترويضها بأي شكل من الأشكال, لكبر حجمها وشراستها, لكنه الآن يرى أناس يمتطونها, ويتقدمون بكل قوة نحو المعركة, إنهم قبائل النوماكي, ليصيح بالنصر هو الأخر محمسًا رجاله للتقدم للأمام, بينما هو شكر الآلهة أنه ليس مضطرًا لمحاربة جيش فيه هذه الوحوش العملاقة, بل إنهم في صفه الآن.

وحدها الصدمة هي ما ظهرت على تيري ورجاله, فلم

يكن في حسبانهم أن يواجهوا هذه الوحوش العملاقة وأن يحاصروا هم الآن, أكان هذا مخطط ليدلي من البداية, أم أنها مجرد صدفة, أم هذا هو باقي مدد الغجر قد أتى في الوقت القاتل؟

صاح تيري في رجاله بأن يصطفوا, وأن يواجهوا تلك القوات التى تهاجمهم من مؤخرة الجيش, بل طلب المدد من قوات الفرسان, بأن يساعدوهم في هذه المعركة, لتبدأ بعض فرق الفرسان من الانسحاب من ساحة المعركة, والتوجه مباشرة لمساندة ملكهم.

صاح الزعيم بيرشا في أبناء النوماكي, وباقي القبائل المتواجدة معهم:

«تقدموا للأمام يا أبناء الجنوب, اثبتوا لهم قوة القبائل المنبوذين, ساندوا رفقاءكم فلن ينالوا شرف النصر وحدهم, لتظهروا للعالم كيف يقف أبناء الغجر سويًا كالوحوش في ساحة المعركة»

لم تقل حماسة أبناء النوماكي وباقي القبائل التي معهم, عن حماسة جيش ليدلي, ليتقدموا كالوحوش بالفعل كما وصفهم الزعيم بيرشا, لينقضوا على مؤخرة جيش تيري, العاجز أمام ما يرى, فالهزيمة ستلاحقه لا محالة, ليصيح

برجاله بأن يلتفوا حوله لحمايته، ليقترب الحرس الملكي سريعًا ويشكلون درعًا حول ملكهم، الذي أراد أن يجد سبيلًا للفرار من ساحة المعركة.

انطلق الملك ليدلي سريعا للأمام، أراد أن يشق الصفوف نحو تيري ليقتص منه، لم يكن تقدمه بالعسير، فقد ارتبك جيش تيري بالكامل مع قدوم النوماكي، شق ليدلي الصفوف، وبرفقته بعض من الحرس المصاحب له، ليجد نفسه محاطًا بأندرو، جراكوس، ديجو، مارتي، أداميوس، أشوري، أنتيكوس، ليصيح بهم:

«لِمَ أتيتم إلى هنا وتركتم مواقعكم؟!»

ليجيبه أندرو: «نعلم أنك ستذهب للموقع الأهم، نريد أن نضرب عنق تيري، ونوقف كل هذا»

لم يجادلهم ليدلي كثيرًا، ليتقدموا ومن خلفهم بعض من الجند.

اختفى التنظيم في جيش تيري، ليفتقدوا الميزة الأولى لهم في المعركة، أسبقية التخطيط الجيد، والتفوق العددي على الخصم، لينقسم الجند ما بين المواقع الأمامية، والمتراجعين لمساندة مؤخرة الجيش.

أحكم أبناء الغجر حصارهم عليهم، لم يكن أمام جنود تيري إلا ثلاث خيارات: إما القتال والسقوط أمام أعدائهم، أو أن يهربوا من ساحة المعركة، أو الاستسلام لخصومهم، بينما جيش ليدلي قاتلوا بكل ما أوتوا من قوة ,لم يتهاونوا أمامهم، من استمر في القتال أردوه صريعًا، ومن أراد أن يلوذ بالفرار كان إدجار ورجاله يلاحقونه، أما من ألقى السلاح مستسلمًا فألقوا به في الأسر سريعًا.

شعر تيري بالهزيمة لا محالة، كان يصيح بحرسه أن يجدوا مخرجًا للهرب، لكنهم أصبحوا محاصرين من كافة الجهات، والضربات تكال لهم من كل حدب وصوب، ليسمعوا صوتًا عاليًا شق سماء المعركة، خرج من ليدلي، يأمر الجميع بالتوقف عن القتال، فلا حاجة لهم بالمزيد من القتلى، كلهم أبناء هذه الأرض، لينصاع الجميع له بينما هو أكمل حديثه:

«إن كنت ملكًا حقًا كما تقول يا تيري، تريد أن تحمي أرضك وجندك وشعبك، فلتخرج لي هنا الآن، رجل لرجل، ليحكم السيف بيني وبينك، ومن ينتصر يأخذ كل شيء»

لم يأتي أي رد من تيري، بل كان يوجه رجاله بأن لا يسمحوا بوصول أي أحد إليه، يطلب منهم أن يفدونه بأرواحهم، بينما تكررا نداء ليدلي له، ناعتًا إياه بالجبان،

ليتعالى صوت جيشه من خلفه ناعتين إياها بالجبان, ليصيح ليدلي عاليًا في جيش تيري:

«أرأيتم من هو على الحق الآن؟, لو كان هذا الجبان يهتم بكم, لما عرضكم لكل هذا, لو كان ملكًا حقًا, وليس مغتصبًا, لخرج لي الآن وقاتلني رجل لرجل, لكنكم الآن قد علمتم أي جبان تتبعون, إنه يدفع بكم نحو الهلاك, من أجل مجده ونفسه فقط, ما زالت أمامكم الفرصة يا أبناء (زاندو), يمكنكم أن تنضموا إلينا لنحرر أرضنا من هؤلاء الخونة, ولكى نطرد الملاعين منها, هذه ليست (زاندو) التى عهدتموها, ماذا دهاكم, أتستبدلون الملك أرسين بهذا الجبان الخائن, الذى طعنه بكل غدر وخسة, من أراد أن يقاتل من أجل هذه الأرض فلينضم إلينا, ومن أراد أن ينجو بنفسه سالمًا فليلقى سلاحه, ومن أراد أن يبقى خلف هذا الخائن فليستعد للموت!»

بدأ جنود تيري يغيرون آرائهم, فلقد رأوا الملك الذي اتبعوه يضحى بهم, ملقيًا بهم للتهلكة من أجل نجاته فقط, منهم من ألقى سلاحه مستسلمًا ومنهم من أنضم لجيش ليدلي, ليصيح بهم تيري ناعتًا إياهم بالخونة, طالبا منهم أن يقاتلوا من أجل ملكهم, لتعم الفوضى أكثر في جيشه, ليبتعد عنه

الحرس الملكي تاركين إياه لينجوا بأرواحهم، ليجد نفسه بمفرده الآن ليصيح عاليًا من جديد:

«ها أنا ذا يا ليدلي أمامك، رجل لرجل، لنقاتل بعضنا البعض من أجل كل شيء»

طلب تيري القتال بعد أن تخلى الجميع عنه، ليستل سيفه طالبًا القتال، ليتعالى صوته عاليًا أنه ليس جبانًا، وأنه الملك الشرعي للجنوب، بدا في حالة من الجنون وهو يتحدث للجميع، لكن كل هذا قد توقف، عندم تلقى ضربة من رمح قد سكن في صدره، لينظر الجميع نحو جراكوس الذى أرداه قتيلًا، ليتقدم جراكوس تجاهه ليجتز رقبته بسيفه، والجميع يشاهده في صمت لينظر إليهم متحدثًا:

«هذا ما يستحقه هذا الخائن، لقد كنت هناك في قلعة الاتحاد، شاهدت الجيوش تتقدم نحو (بلاجا) من أجل تحرير الشمال، رأيت ملوكنا الراحلين وهم يضعون أنفسهم وأرواحهم فداءً لهذه الأرض، لكن هذا الخائن وشركائه، تركوا الأرض والعرض وملوكهم، ليحظوا بالملك، فلا ملك لخائن في هذه الأرض بعد الآن، لتقفوا جميعا خلف هذا الرجل، الملك ليدلي، الوريث الشرعي لأرض الوسط، وآخر الباقين من ملوك (زاندو)، لتحرروا أرضكم من المعتدين، وتطردوا

الملاعين منها، أمنوا به، أمنوا بأرضكم، أمنوا بقضيتكم، فلا سبيل لنا غير هذا»

تعالت صيحات النصر من الجميع، المعركة قد حسمت، لكن الكثير من القتلى والجرحى هو ما آلم ليدلي، فهدفه لم يكن أن يقتل أبناء (زاندو) بعضهم بعضا، بل أرادهم أن يتحدوا من أجل تحرير هذه الأرض

انضم الكثير من جيش تيري لجيش ليدلي، معلنون ولائهم لرجل لم يعدهم بشيء، إلا أن يذكرهم تاريخ (زاندو) بأنهم من حرروا هذه الأرض، وانضم إليهم النوماكي وباقي قبائل الجنوب، ليقضوا يومًا كاملًا في تنظيف ساحة المعركة، ليواروا القتلى الثرى، ويستعدون للزحف من جديد، لكنهم سيزحفون هذه المرة نحو عاصمة الجنوب، فسيتحولون الآن من مدافعين، لمهاجمين للمرة الأولى لهم.

***

بينما ليدلي يقف على رأس الجيش وهم يتابعون مراسم دفن القتلى، والكهنة يتلون تراتيلهم، ويدعون بأن ترحمهم الآلهة، وأن يمدوهم بالعون في معاركهم التالية لتحرير هذه الأرض، تقدم أداميوس الصفوف سريعًا، حتى وصل نحو الملك ليدلي ليحدثه سريعا:

«جلالة الملك, لقد وصلت هذه الرسالة من ميناء (اللؤلؤة)»

تغير وجه ليدلي متذكرًا ما ترك به بيدرو ورجاله هناك, أما زالوا صامدين حتى الآن, وما هي هذه الرسالة؟, ليسأل أداميوس عن فحواها, قبل أن يعطيها الأخير له, طالبا منه أن يقرأها بنفسه, ليفض ليدلي الرسالة الثمينة التي وصلت في وقت لا مثيل له:

«بسم الآلهة العظام, وبسم ملوك (زاندو) الراحلين, وبسم ملوك القديسين العظام, فإننا هنا ملوك القديسين الثلاثة, قد أتينا لأرض (زاندو) الخالدة, لنحيي ذكرى الملوك العظام, ونعيد هذه الأرض لأصحابها, فإما أن تكونوا معنا من أجل طرد الملاعين, أو أن تكون من الهالكين»

تهللت أسارير ليدلي جراء هذه الرسالة, فهو لا يقاتل وحده الآن رفقة أبناء القبائل ومن أنضم إليه من أبناء الجنوب, بل إن ملوك القديسين قد هبوا لنجدتهم, فهو سيتقدم من الجنوب, وهم سيتوغلون من الغرب, ليصيح في الجميع مخبرهم بما قد ورده من خبر, لتعم الحماسة في أرجاء الجيش, قبل أن يأمر أداميوس بأن يكتب لهم رسالة يخبرهم بوضعهم, وترسل لهم سريعًا, ليهرع لتنفيذ ذلك على الفور, ويختم ليدلي الرسالة بختمه الملكي, لتتوالى عليه الأخبار

السارة, فقد أخبره جراكوس أن الأمير لويس, قد أتى إليهم من قلعة (آل بنتلي), ومعه ركب من الجند, والحكيم كولن, ليرحب بهم ليدلي ويحييهم, قبل أن يخبرهم لويس أنهم أتوا إليه بخبر سيغير كافة الموازين, ليخبروه عما قام به الحكيم توساني والأمير فيليب, باستدعائهم لملوك الجليد, وتلك الأسرار التي أفصح عنها الحكيم توساني مؤخرا, ونسخة من القرار الذي ختمه الملك شيرار بختمه الملكي, قبل موقعة (بلاجا), ليجلس ليدلي محاولًا استيعاب كل ما يحدث الآن, هم ليسوا أقلية, بل تحولوا إلى ثلاث جيوش كبرى, قد هبت لنصرة (زاندو), إنهم جميعا يهبون من أجل نصرة الملوك الراحلين, بينما الجميع لا يصدق ما يحدث, إلى أن قطع العراف توفا هذا الصمت متحدثا للجميع:

«أيها السادة, أرى أنكم جميعا غير مصدقين, لكن حسب النبوءة القديمة, ستهب ثلاثة جيوش لنصرة (زاندو), أولها آخر ورثة عرش الوسط, سيهب أهل الجنوب لنصرته, ليواصل الزحف نحو الشمال, وثانيها ملوك من جنس مختلف, سيقطعون بحر الغرب, ليأتوا لنصرة هذه الأرض, وفاءً لعهودهم مع ملوك هذه الأرض المغدور بهم, وثالثها أناس قد نساهم الجميع, قد رحلوا عن هذه الأرض منذ زمن الحرب العظمى, سيأتون من الشمال بأجناس وأقوام

مختلفة, تقودهم ملكتهم الموعودة لهذه الحرب, لتكون هذه هي (رحلة الملوك), لتحرير هذه الأرض من المغتصبين, أعلم أنكم لن تصدقوا حديثي هذا, وستقولون أني قد اختلقت كل هذا الحديث الآن, وحتى تطمئن قلوبكم, لدي شاهد على هذا, إنه السيد أندروا»

التفت الجميع نحو أندرو الذي تقدم ليتولى دفة الحديث, مخبرًا إياهم بما حدث معه, فعندما وطأ أرض المنجالا, ورأى ما يؤمنون به, كان لا يعرف أي شيء عن تلك العقيدة التي يمتلكونها هناك, لكن قد ازدادت حيرته أكثر, عندما قضى وقت طويل بمفرده رفقة الحكيم توفا, الذي أطلعه على النبوءة كاملة, أخبره بأن النوماكي سيرفضون الانضمام للحرب أولًا, لكنهم سيهبون لنصرتهم في معركتهم الحقيقية الأولى, أخبره أن الجنوب سيوالي بعض من رجال جيش الملك الموعود, أخبره أن هناك جيشان آخران سيأتيان لنصرة (زاندو), أخبره بكل ما يحدث, لينزع عنه ثيابه فجأة, فقد دون الحكيم توفا كل شيء على ظهر أندرو, دون عليه النبوءة الموعودة ,فإن كان ليدلي هو الملك الموعود في تلك النبوءة, فإن أندرو هو حاملها, لكن الحكيم توفا دون ما سيحدث حتى موقعة (بوزان) الثانية فقط, فما يحدث لا يجب أن يقص كله على الجميع.

***

12

ثلاث جيوش الآن تسعى لتحرير (زاندو), الأخبار قد وقعت كالصاعقة على مسامع أتريموس, رسالة من الجنوب تفيد بأن ليدلي, أصبح لديه جيش من قبائل الغجر, بعد أن سيطر على (بوزان), ورسالة أخرى من الغرب تحمل الوعيد والتحذير من ملوك القديسين, الذين هبوا لنصرة (زاندو), بعد أن قضوا على جيش الملاعين المرابط في الغرب, ورسالة أخيرة قد أتت من الشرق, تفيد بأن كيجان ورجاله يتعرضون لهجوم من جيش غير معروف, يدعون أبناء الجليد، وأنهم أسلاف تلك القبائل والفصائل التى غادرت أرض (زاندو),عقب الحرب العظمى الأولى, لم يكن يدرى ماذا يفعل الأن؟! فجميع الجبهات قد فتحت عليه في آن واحد دون سابق إنذار.

شعر أتريموس بأنه قد قيد بأغلال من فولاذ لا يقوى على كسرها على حين غرة, ما أسس له من ملك أصبح الآن في مهب الرياح, أعلن لاجتماع حربي عاجل مع كافة قادة آل نيكلسين العسكريين, في ظل غياب مستشاره الأول كلاوديو, طالبهم أتريموس بأن يكونوا على أهبة الاستعداد, ليجندوا كل فرد يستطيع حمل السلاح, ويفرضوا حظر

التجوال على الجميع مع غروب الشمس.

أراد أن ينشر القوات وسرايا الاستطلاع، في كل مكان في أنحاء مملكة الوسط، ليراقبوا الجيوش المحتمل قدومها، من الجنوب، والشرق، والغرب، لكنه أراد أن يطمئن قادته في نهاية حديثه:

«أيها السادة، إن ما نقوم به الآن هو أمر احترازي، تحسبًا لأى شيء قد يحدث، فهناك تيري يقاتل في الجنوب، وكيجان يقاتل في الشرق، وهما سيقويان على رعد أي تمرد أو خطر محتمل، لكن علينا أن نستعد، بأن نمدهما بالجند في حال طلبا ذلك، فلن نبقى هنا ونشاهد سقوطهما، أما أمر الغرب فالملاعين سيتولون تلك المهمة لمواجهة ملوك القديسين، الآن علينا أن نؤمن مملكتنا بكل ما أوتينا من قوة، فلا يجب أن يفقد آل نيكلسين، ما اكتسبوه من حق بهذه السهولة»

أبدى قادته استجابة سريعة لكل ما طلبه منهم، فهم لا يقاتلون من أجل ملك أو أرض، بل يقاتلون من أجل عائلتهم التي وصلت لمقاليد الحكم أخيرًا، فآل نيكلسين دائمًا ما كانوا يحملون الضغينة للجميع، ويرون أنهم الأحق بالملك من غيرهم، ليدرسوا كل الخطط الممكنة، ويضعوا كافة

الترتيبات لتأمين ملكهم الجديد.

***

السوء وحده، هو ما سيطر على الحالة الصحية لكاترينا، الأطباء لم يتوقفوا عن مدها بالأدوية، والأعشاب، والمحاليل، لكنها لا تستجيب، مرضها كان نفسيًا أكثر منه عضويًا، إنهم يعانون وبشدة ليبقوها على قيد الحياة، بينما هي لا تبالي بهذا الوضع الذي تحولت فيه لأسيرة في قبضة أتريموس، ليتها تعرف ما يحدث من متغيرات، وقتها فقط ستقاوم للنجاة من أجل بريق أمل يلمع في الأفق.

بدا هذا لسان حال السيد فيرديناند روز، الرجل الذي يكن في قلبه الولاء للملك الراحل شيرار، عيونه في كل مكان في أرض (الشمس)، كانوا يأتونه بالأخبار، كتب كل ما عرفه عن الأوضاع الداخلية والخارجية، وما آلت إليه حالة الملكة كاترينا، جمع كل شيء عن أل نيكلسين وتحركاتهم وتعدادهم، ليرفق كل هذا بتلك الرسالة السرية، مع أحد تابعيه المخلصين نحو قلعة (آل بنتلي)، في قافلة تجارية قد أبرم اتفاقها مع الأمير فيليب، لتكون غطاءً على ما يقوم به، كما أنه توجه بكافة آيات الشكر لأتريموس، لكونه سعى لتعزيز علاقتهم التجارية مع الجميع، مما سيعود بالنفع عليه

هو وباقي تجار المملكة.

***

في ميناء (ريجلون)، تغيرت الأوضاع، أبناء الجليد قد انتشروا في كل الأرجاء، أصبح المكان مزدحمًا للغاية، العامة يراقبونهم بكل انبهار وتوجس، يتابعون العمالقة، والقناطير، والأقزام، أجناس قد سمعوا عنها من قبل، لكنهم يرونها للمرة الأولى الآن، خطاب عظيم قام به الأمير فيليب، والحكيم توساني، أدخل السكينة على قلوب الجميع، أما الملكة إلينا، فقد قطعت لهم الوعود بأنه لن يمس بهم، وأنها وشعبها قد أتوا فقط من أجل طرد الملاعين، وإعادة حق الملوك المغدور بهم من قادة جيوشهم.

لكنهم أيضًا يعلمون أن هذه مجرد البداية، فـ (ريجلون) ليس إلا نقطة انطلاق، هناك باقي جيش الجنوب، في الطريق إليهم بقيادة بيرس، ذراع كيجان الأيمن، ليعقدوا مجلسًا حربيًا عاجلًا، ليدرسوا خطواتهم، أي اتجاه سيسلكون، هل سيتوجهون جنوبًا نحو عاصمة الشرق، أم أنهم سيسلكون الطريق نحو الشمال لمواجهة الملاعين؟، أي طريق سيسلكونه، سيكون ظهرهم مكشوفًا من الجانب الآخر، لذا عليهم أن يدرسوا جيدًا خطواتهم بحذر، فبدأ

فيليب الحوار:

«أيها السادة, إن جيش الشرق بالكامل, قد تم حشده على مجموعتين, الأولى, هي من أتت لهنا بقيادة كيجان, وأغلبهم الآن قد انضموا إلينا, ومن رفض الانضمام فقد سلم سلاحه, ومُنع من مغادرة المدينة, المجموعة الأخرى, قد ذهبت تحت قيادة بيرس نحو الشمال, فقد اعتقدوا في البداية أن أبناء الجليد هم الملاعين, لكن مع اتضاح الأمر لهم, أرسل كيجان في طلب عودة تلك القوات للميناء, وعلى الأرجح سيكونون هنا في غضون يومين على الأكثر, لذا علينا الآن أن نستعد لمواجهتهم, وفي حال استمالة أكبر قدر من الرجال لصفوفنا, وحقن الدماء, سيكون إخضاع عاصمة الشرق أمر يسير, وقتها سنملك العتاد والعدد الكافي للعمل على الجبهتين, لذا فإن أولويتنا الآن هي الاستعداد لهم»

أثنى الجميع على حديث الأمير فيليب, ليبدؤوا بالحديث عن تحصين الميناء, سيعتمدون المواجهة المباشرة, بأن ينظموا صفوفهم خارج أسوار الميناء, ليبدؤوا في رسم خطتهم الحربية بكل دقة, ليقطع عليهم تلك الجلسة حاجب القصر, الذي اعتذر من الجميع, وذهب مباشرة نحو الحكيم توساني وسلمه رسالة ما:

سيدي, هذه رسالة قد أتت الآن من ميناء (اللؤلؤة), حملتها لك على وجه السرعة»

شكره توساني ليغادر الحاجب, قبل أن يفض الرسالة ويقرأها في صمت, بينما تعلقت أعين الجميع به, عندما ظهرت تلك الابتسامة جلية على محياه, قبل أن ينظر إليهم ويخبرهم بمضمون الرسالة, بوصول ملوك القديسين إلى ميناء (اللؤلؤة), وسعيهم لمواجهة الملاعين, وإعادة إرساء الاستقرار في أرض (زاندو), ليسود السرور على وجوه الجميع, فالآن هم لا يقاتلون منفردين, بل هناك جيش في الجنوب يقوده ليدلي, وجيش في الغرب يقوده ملوك القديسين, وهم في الشرق الآن, ليتغير الحديث رأسًا على عقب, فالآن أصبح أمام الملاعين خصم واضح, سيتوجهون إليه أولًا لمواجهة القديسين في أقصى الغرب, لتسهل مهمتهم الآن في الشرق ليحكموا سيطرتهم عليه.

***

نحو الغرب, تقدم جيش الملاعين بقيادة القنطور أجريوس, فكل الحملات السابقة قد وقف زحفها على أعتاب ميناء (اللؤلؤة), لذا أتى تكليفه من مجلس الحكماء السبع, بأن يتقدم هو لحسم هذا الأمر, فلا يليق بجيوش (السيد)

أن تسقط هكذا واحدا تلو الآخر, أمام أسوار ذلك الميناء, وصلته الأنباء بسقوط الجيش الأخير بقيادة (أرجان), فقد التقوا بجماعات من الجنود الفارين من معركة الميناء, وأخبروه بما حدث هناك, أبناء الغرب لم يعودوا بمفردهم الآن, بل دعمهم جيش جرار من ملوك القديسين, يمتلكون أسلحة متطورة, وأساليب حربية مختلفة, فقد هاجموهم على حين غرة, بعد أن اقتحموا الميناء وأوشكوا على السيطرة عليه.

بدأ الخبر ينتشر بين صفوف الجيش, البعض بدأ يتساءل عن الخصم الغامض الذي سيواجهونه الآن, أسلحتهم الحارقة التي يستخدموها, سرعتهم الشديدة في ميدان المعركة, لتسود حالة من التخبط بين الصفوف, ليخرج أجريوس على رأس جيشه, صاعدا تبة عالية مخاطبًا لهم:

- «يا أبناء (السيد) الأوفياء, ما لي أرى فيكم بعض المتذمرين والخائفين, إن أبناء (السيد) لا يخشون شيئًا, فقد وعدنا سيدنا العظيم بأن نحكم العالم أجمع, لقد استعددنا لقرون عديدة لهذه اللحظة الفارقة, لقد سقط إخوان لنا في أقصى الغرب, لكننا نحن لم نكن هناك, لم يختبروا قوة هذا الجيش وقائده, أراكم تتساءلون عن الغرباء القادمين من

الغرب, عابرين للبحار, أتحسبون أن (سيدنا), كان سيكتفي بهذه الأرض, لا, نحن من كنا سنعبر البحار لهم, والآن هم من أتوا إلينا, لقد وفروا علينا عناء التنقل البحري, لكننا سنسقطهم هنا على أرضنا, ومن بعدها سنعبر البحار لنحرق أرضهم, لقد وعدنا (السيد) بالخلاص, وها نحن الآن نتقدم للأمام, إن خسارة معركة أو اثنين, لا يعنى خسارة الحرب بأكملها, فلقد أذقنا أبناء هذه الأرض الويلات, والآن لنذيقهم المزيد, ليستعد الجميع للزحف, لنعلي راية (سيدنا) خفاقة, للأمام فنحن أبناء السيد المصطفون»

تعالت الصيحات بين الرجال في جيش الملاعين, نجح أجريوس في بث الحماسة في قلوبهم, حتى وإن كان يعلم في قرارة نفسه, أنه سيواجه خصمًا صعب المراس, مجهولًا بالنسبة له, لكنه يثق كل الثقة في قدراته, وفى قدرات جيشه, فلا سبيل للرجعة, سيتقدمون نحو الغرب ليعلوا راية سيدهم خفاقة في السماء, وعلى جانب آخر, يريد أن يثبت أنه القائد الأفضل في جيوش السيد, ليأخذ خطوة للأمام تجعله يسبق بها غريمه أمان.

***

في ميناء (اللؤلؤة), رفعت أنقاض المعاركة الضارية التي

دارت في محيطه. الآن يستعدون للتقدم للأمام، ملوك القديسين لن ينتظروا أن يأتيهم جيش آخر من الملاعين، مع الأخبار التي وصلتهم عبر سرايا الاستطلاع، فهناك جيش جرار قادم تجاههم، رتبوا صفوفهم ليستعدوا لمواجهتهم في منتصف الطريق، عليهم أن يأخذوا خطوات للأمام، وأن يحرروا الأرض الآن.

استقروا على أن يبقى كلارك في الميناء ليتولى قيادته، وأن ينتظر أي رسائل قد تأتيهم من بقاع (زاندو) التي راسلوها، سيبقى حامية من أبناء القديسين، ومعهم الأسطول البحري الخاص بمملكة الغرب لتأمين الميناء، أما بيدرو وباقي رجاله، سيتقدمون للأمام رفقة ملوك القديسين لتحرير أرضهم، جندوا كل ما يمكن تجنيده من الرجال، الآن مع توافر العتاد، أصبح تجنيد الجميع أكثر يسرًا.

الحماسة أصبحت تدب في قلوب الجميع، تحرير الأرض أصبح ممكنًا، لكن إلى أي مدى سيمكنهم الصمود، فهم وحدهم لن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك، فيجب أن يجدوا المساعدة من باقي أبناء (زاندو)، فهم الآن على أمل أن تؤتي رسائلهم بأكلها، وأن يجدوا من ينضم إليهم من أبناء هذه الأرض، في حرب الخلاص التي يقدمون عليها.

***

في (بوزان) أعاد ليدلي ترتيب جيشه وتنظيم الصفوف، داووا الجرحى وشيعوا جثامين الراحلين، انضم إليهم جزء من جيش تيري، وقبائل النوماكي، وباقي أبناء الغجر، وآل بنتلي، الآن سيتوجهون نحو عاصمة الجنوب، ليفرضوا سيطرتهم على تلك البقعة من (زاندو)، فقد أصبح عددهم يناهز المائة ألف مقاتل الآن.

معركة حاسمة خاضوها، جعلتهم أصحاب اليد العليا في جنوب (زاندو)، أشرف ليدلي على ترتيب جيشه، ليصبحوا مستعدين للزحف نحو الشمال الآن، لم يكن أمامهم المتسع الكافي للراحة فلا وقت لذلك، يوم فقط استعدوا فيهم للتحرك، ليقف ليدلي على رأس جيشه، مخاطبًا إياهم بكل حماسة:

«أيها الرجال، أبناء (زاندو) البواسل، الآن نحن نتحرك للأمام ,خضنا سويًا معركة حاسمة، بعضنا كان منقسمًا فيها ضد الآخر، لكننا الآن جميعًا أبناء هذه الأرض، هدفنا ليس سفك الدماء، لكن هدفنا هو إعادة هذه الأرض لسابق عهدها، أبناء الجنوب الأوفياء، لتزأروا عاليًا، وتعلوا هامتكم وكرامتكم، وتعيدوا مجد ملككم الراحل الحقيقي الملك

أرسين, أبناء القبائل الشجعان, أنتم درع (زاندو) وسيفها الآن, أنتم طوق النجاة والخلاص, أثبتم أن نبوءتكم حق, لكننا في بداية الطريق فقط, سنتقدم للأمام, لكن كل من سنواجههم هم أبناء هذه الأرض مثلنا, لا نريد أن تفرقنا المعارك, بل نريد أن نتحد جميعًا حتى نطرد المعتدى الحقيقي وهم الملاعين, علينا أن نتحلى بالصبر, الشجاعة, القوة, الكرامة, فلا أريد أن يذكرنا تاريخ هذه الأرض بعد مئات السنين, أننا كنا سفاحين أو معتدين, ثقوا بحلمكم وأرضكم, آمنوا بقضيتكم, قاتلوا كرجل واحد, وقتها سنكون جميعاً قادرين على تحقيق الخلاص»

تعالت الصيحات بالإيمان واليقين, أبناء الجنوب ومن أنضم لهم من جيش تيري, رأوا بجوارهم رجالًا كالوحوش, يؤمنون بقضيتهم, وبقائدهم قبل كل شيء, لينتقل الإيمان إلى أغلبهم, ويعلموا أنهم الآن في الركب الصحيح, وتحت إمرة القائد المناسب, ليذكرهم التاريخ بأنهم قد قاتلوا بشرف من أجل هذه الأرض.

***

13

انتشرت أخبار الهزيمة الفادحة التي تلقاها تيري، وسقوطه قتيلًا في (بوزان)، كالنار في الهشيم في أرجاء مملكة الجنوب، تضاربت الآراء، واختلفت التوجهات، كل معاوني تيري ورجاله هرعوا نحو العاصمة، ليحتموا بها رفقة جنودهم ورجالهم، بينما المعارضين، ومن يحملون بعضًا من الوفاء للملك أرسين الراحل في قلوبهم، فقد ثاروا على الأوضاع، ليخضعوا مدنهم لسيطرتهم، ويعلنوا أنهم جميعًا سيقاتلون تحت لواء الملك ليدلي، محرر الجنوب كما لقبوه، ليخرج الرجال الأحرار، ويهرعون للانضمام لجيشه الجرار، المتوجه نحو عاصمة الجنوب، ليزداد عدد وعتاد جيشه مع كل دقيقة، فهو الآن يرى أهل (زاندو)، وخاصةً أهل الجنوب، يسارعون من أجل رفع راية الحق، وإعادة السيطرة على أرضهم.

بينما في العاصمة خرجت الأمور عن سيطرة بافيان، الأخبار توالت عليه كالصواعق التي تحرق الجميع، إخوانه ولوه ملكًا جديدًا مؤقتًا بدلا من تيري، حتى يقودهم لمواجهة جيش ليدلي، بدأت المدينة تكتظ بالحشود من أعوانه، هو وأخيه الصريع، الجميع يخشى من انتقام ليدلي

منهم.

بعد أن توج بافيان بمراسم مقتضبة وسريعة, عقد اجتماع سريع مع باقي قادته, ومساعديه, وأخويه المتبقيين, فقد فقدوا أخاهم الأصغر, في رحلته الأولى نحو (بوزان), بينما تيري وأخوين آخرين, سقطا في المعركة الأخيرة.

: «أيها السادة, إننا نواجه خطرًا داهمًا الآن, فليدلي يحظى الآن بدعم العديد من العامة والمتمردين, ويسعون للانضمام إليه, كما أن العديد من الجنود من جيش تيري, قد انضموا إلى صفوف قواته, بالإضافة إلى تلك القوات التى ساندته من غجر الجنوب, وبعض الأخبار تتحدث عن أن الخونة من آل بنتلي, قد انضموا إلى صفوفه, هذا يعنى أن جيشه قد يزيد عن المائة ألف مقاتل, وكل ما نمتلكه الآن نحو الخمسين ألف مقاتل في أفضل الأحوال, أي أن أي مواجهة في معركة مفتوحة ستكون الغلبة له ولرجاله, بينما هنا في مدينتنا, وخلف أسوارها, يمكننا الصمود, فخمسين ألف مقاتل داخل الأسوار, سيكونون كنحو خمسمائة ألف مع احتمائنا, وتحصيناتنا هذه سنستنزف قواهم في هذا الحصار»

- «نعم الرأي هو رأيك سمو الملك بافيان, سنسعى لنجهز كل المقاتلين, ونحصن المدينة بالجند, لكن هناك بعض

الأخبار من أحاديث بين العامة, فمنهم من يدعو لمناصرة ليدلي»

- «من يجرؤ على فعل ذلك, فليعدم مباشرة أمام العامة في الساحات, فنحن في حالة حرب, والخائن لا يلقى إلا الموت»

- «حسنًا يا سيدي, لكن هناك أمر أخر, بما سنرد على رسالة ملوك القديسين؟»

- «لا رد لدينا لهم, الملاعين الآن يسيطرون على الغرب, فتلك حربهم مع الملاعين, وعندما نفرغ من ليدلي وجيشه, سنرى ما يمكننا فعله وقتها, لكن الآن احشدوا كل من يمكنه القتال, ويدين لنا بالولاء في العاصمة, وفي كل البقاع المجاورة, فلن يسقط ملكنا بين عشية وضحاها»

بدا القلق والارتباك جليين على وجوه بافيان ورجاله, قرروا أن يبقوا خلف الأسوار, سيتحولون لوضع الدفاع, بعد أن سقط تيري وجيشه الجرار في قلعة (بوزان), ليكون هو ورجاله أمام تحدي أخير وحاسم, هل سيبقى ملكهم, أم سيخسرون كل شيء؟, كما أنهم سعوا لطلب المدد من أتريموس, وجيش مملكة الوسط, علهم يجدون من يدعمهم من الرجال.

***

في ميناء (ريجلون)، وصلت الأخبار عبر سرايا الاستطلاع, أن جيش بيرس في الطريق, ليلة واحدة تفصله عن الوصول, ليستعد جيش الجليد, وجنود فيليب, ومن انضم إليهم من جيش كيجان, لم تكن التطورات الأخيرة بالميناء قد وصلت إلى مسامع بيرس ورجاله, فقد تم إحكام السيطرة على الميناء, لم يسمح لأحد بالخروج أو الدخول من الميناء, إلا من يثق فيهم فيليب من سرايا الاستطلاع, لكن دائمًا لا تستمر الأخبار طي الكتمان, فسرايا الاستطلاع الخاصة بجيش بيرس, قد شهدت اصطفاف القوات خارج أسوار الميناء, ليعودوا سريعًا نحو قائدهم, ليخبروه بما رأوا, ليعلم بيرس أن كيجان وجيشه, قد سقطوا أمام جيش الجليد, فالآن هو أمام خيارين: إما أن يذهب للمواجهة, أو أن يهرب سريعًا نحو العاصمة ليتحصن بها, لكن في حال الانسحاب, سيكون ظهر جيشه مكشوفًا ليتعقبه جيش الجليد, وبهذا سيخسر قدرًا ليس بالقليل من رجاله, خاصةً وأنهم قد وصلوا إلى نقطة اللا عودة.

أمر آخر قد حدث به بيرس نفسه, فهذه هي فرصته لينقض على العرش خلفا لكيجان, في حال انتصر في تلك المعركة,

فإن كان كيجان قد لقي حتفه، فسينصب نفسه حاكمًا بقوة السيف، فلن يجد من ينافسه من بين باقي أقرانه، أما وإن كان كيجان أسيرًا، فستمكن من التخلص منه بكل سهولة، فهو الآن القائد الذي أحضر النصر لمملكته.

اجتمع بقادة جيشه ليرسموا خطة المواجهة، وكيفية اصطفاف الجيش، كما وضع خطة أخرى في حال التراجع، والانسحاب المنظم من أرض المعركة، ليشرف بنفسه على قواته التي توالت في التقدم طيلة الليلة، ليكون الجيش بأكمله يقف مستعدًا لمواجهة جيش الجليد في صباح اليوم التالي أمام ميناء (ريجلون)

مع انبلاج ضوء النهار، بدأت المفاجأة على بيرس ورجاله، فهم أمام جيش يفوقهم في العدد بأضعاف، كما أنهم يرون أمامهم في مقدمة هذا الجيش، رفقاهم من جيش الشرق، جنود الملك كيجان، يقفون مستعدين لمواجهتهم.

اصطف الجيشان ليتقدم الأمير فيليب، صفوف جيش الجليد، وأبناء الشرق، مع جنود قلعة (بنتلي)، ليصل إلى مقدمة الجيش صائحًا بأعلى صوته نحو بيرس ورجاله، معرفًا إياهم بنفسه، ويشرح لهم ما حدث، إن أهل الجليد، قد أتوا من أجل مواجهة الملاعين، والانتقام لملوك (زاندو)

الراحلين, مخبرا إياهم أن كيجان, قد سقط هو وكل الخونة, فمن أراد أن يؤمن نفسه ويؤثر السلم, فلينضم إليهم ليحرروا (زاندو) من الملاعين.

: «إنك لخائن لعين يا فيليبّ!, أتخون ملكك الذي زادك بقطعة من أرض مملكته, ومن أهل الجليد هؤلاء, وهل تعتقدون أنكم وحدكم قادرون على ردعنا؟, ومن خلفنا ملوك (زاندو) وحلفائنا من أبناء (السيد), إني أطالبكم باسم مملكة الشرق العظيمة, أن تغادروا أرضنا, وتسلموا لنا هذا الخائن فيليب وأعوانه, أو أن تستعدوا للقتل على أيدينا!»

- «لا أتعجب من حديثك هذا يا بيرس, فأي خسيس مثلك قد تعاون على إسقاط ملكه ومملكته, سيتفوه بهذه الترهات, أما ملكة الجليد, قد هبت لنصرتنا بتفويض ملكي من الملك شيرار الراحل, وأما خونة (زاندو), فهم يلاقون عقابهم الآن, فملوك القديسين يحررون الغرب من يد الملاعين, والملك ليدلي وريث عرش الوسط, يقود جيوش الجنوب الآن, فإما أن تستسلم, أو تلقى مصير الخائن الأكبر كيجان»

- «لقد سقط كيجان أعلم هذا, لكن مملكتنا لم تسقط بعد, وإني هنا أدعوك للمبارزة يا فيليب, إن كنت تقوى على منازلتي, وأنا أفضل قادة الشرق قاطبة»

بدا بيرس معتدًا بنفسه, وهو يطلب المبارزة من الأمير فيليب, ليصيح من خلفه خاصته من الجنود, بينما باقي جيشه بدا مترددًا, فأنى لهم بهذه الحرب مع جيش يفوقونهم, خاصة وأنهم قد أمّنوهم على أنفسهم إن استسلموا لهم.

تقدم الأمير فيليب لمواجهته, ليمسك به الحكيم توساني:

«تمهل يا بني، إن (زاندو), تحتاج لوجود أمثالك بين قادتها»

- «إن أردت أن أكون من بين قادتها يا معلمي، فيجب أن أكون مضربًا للمثل, فكيف سيؤمن بي هؤلاء الرجال، إن لم أضع روحي فداء لهذه الأرض؟, كما أن روحي إن كانت تكفي لحقن دماء كل هؤلاء, فأن راضٍ عن ذلك»

ابتسم الحكيم توساني له, ليتمنى له التوفيق في هذه المبارزة, ليتقدم فيليب راجلًا وهو يحمل درعه, ورمحه في كلتي يديه, بينما سيفه يتدلى على خصره, تقدم بير» هو الآخر, ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق بين كلا الجيشين, في نزال قد يكون حاسمًا في مستقبل هذه المعركة, ليخبره الأمير فيليب أنه ما زال أمامه فرصة للاستسلام هو وجيشه, والسعي من أجل توحيد شأن

(زاندو)، وطرد الملاعين من أرضهم، ليأتي رد بيرس عنيفًا، بأن هبط عليه مباشرة بضربة من رمحه في لمحة من الغدر، والبعد عن شرف المبارزة، لكن فطنة الأمير فيليب، وسرعته، جعلته يتلقى تلك الضربة على درعه، ليرد عليه بضربة أخرى برمحه، ليتلقاها بيرس هو الأخر على درعه، ليلتحما سويًا في نزال بدني، وكل منهما يضع درعه أمامه، ساعيًا للتفوق على الأخر.

- «ظننت أنك ستبدأ نزالك بشرف، لكن يبدو أن الخيانة تسري بدمائك يا بيرس»

- «يبدو أنك أنت من نسيت المبارزة فيليب. فأنتم دائمًا ما تزهون بأنفسكم آل بنتلي، لكن منذ الحرب العظمى لم نشهد لكم بشيء، الآن ستواجه الموت على يدي، وبعدها سأذهب لأقتلع رؤوس كل قومك!»

- «الآن قد فقدت أخر فرصة لك يا بيرس، فالخونة لا يلقون إلا ما يستحقونه»

صاح الاثنان بكامل قوتهما. ليدفع كل منهما الأخر بقوة، وتراجعا للوراء يبتعدان عن بعضهما البعض، ليعاود بيرس الهجوم من جديد، ضاربًا بكل قوة، بينما فيليب أخذ وضعية دفاعية، محتمياً خلف درعه، يترك بيرس يكيل ضرباته

مكتفيًا بصدها، لينهره بيرس لِمَ لا يهاجمه:

«هيا أرنِ شجاعتك يا فيلب، أرنِ من هم قوم (بنتلي) هؤلاء، استكتفي بوضعيتك الدفاعية هذه، أهذا كل ما لديك؟»

التزم الأمير فيليب الصمت، تاركًا بيرس يصرخ ويصيح بما يريد، فقط يراقب تحركاته ويتفاداها، أو يقوم صدها، ليصيح به بيرس عاليًا وهو منتشٍ بتفوقه في القتال عليه، ليقفز عاليًا في الهواء محاولًا أن يطعن فيليب بضربة قاتلة، لكن الأخير أطاح برمحه عندما ألقى بدرعة تجاهه، ليختل توازن بيرس بسرعة، لكن فيليب بدا أسرع، ليقوم بتوجيه ضربة قاتله تجاه بيرس برمحه، ليخترق رأسه المدبب حلق بيرس لينفجر بالدماء، وتتحشرج الكلمات في حلقه، ويسقط على الأرض صريعًا. صاح جيش الجليد، وجنود (آل بنتلي) وجنود الشرق المنضمين إليهم، بينما عم الارتباك على جيش بيرس، ليصيح فيليب بصوت مرتفع في جيش بيرس:

يا أبناء (زاندو)، وخيرة جنود الشرق، ما زالت أمامكم الفرصة أن تكفروا عن أخطائكم، فمن أراد منكم أن نعفو عنه، فليلقى سلاحه أرضًا، وأن ينضم إلينا لندافع عن هذه الأرض سويًا من بطشة الملاعين، أما وإن كنتم مصرين على

الاستمرار في ضلالكم، والخنوع لشهوات أولئك الخونة، الذين قادوكم للإطاحة بملوك (زاندو) العظام، فإني أقسم أن أعلق رأس كل خائن، على أسوار هذه القلعة، وكل بقعة في أرض الشرق، ليكونوا عبرة للجميع»

بدا الارتباك جليًا على جيش بيرس بعد سقوطه صريعًا. لتدب الفوضى بين صفوف الجنود، قادتهم لم يعلموا أي قرار يتخذون، منهم من صاح بهم بأن ينسحبوا، ومنهم من طالبهم بأن يثبتوا للقتال، بينما بعض الجند ألقوا أسلحتهم مع هذه الفوضى، ليتقدموا للأمام معلنين استسلامهم، للجيش المرابط في ميناء (ريجلون)، ليصيح فيليب في الجنود، من يستسلم لكم فأكرموه، ومن يتحفز للقتال فواجهوه، ومن يهرع للهروب فالحقوا به، لينطلق فرسان الجيش، والقناطير، والعمالقة، بمنتهى القوة والتنظيم العسكري، ومن خلفهم قوات المشاة، من بدا مستسلم لهم لم يتعرضوا له، بل تم أخذه مباشرةً نحو الميناء، أما من بدا متحفزًا للقتال، فلم يجد إلا حد السيف، ومع الارتباك المتواجد بين صفوف جيش بيرس، أعلنوا استسلامهم جميعًا، أما الفارون، فلم يبعدوا بالقدر الكافي، ليجدوا أنفسهم محاصرين، ووقعوا في الأسر هم أيضًا، لينجح قلة قليلة منهم فقط في الهروب، نحو عاصمة الشرق مدينة

(سوران). بنهاية اليوم ومع حلول المساء, لم يعد لجيش بيرس أي أثر, تغيرت مصائر جنوده ما بين قتيل ومصاب وأسير, ومنهم من انضم طواعية إلى جيش الجليد وجيش فيليب.

***

تغيرت الأوضاع في شرق (زاندو) الآن, أبناء الجليد يسيطرون على موازين القوة هناك, رفقة الأمير فيليب, والحكيم توساني, جيش كيجان نصفه مأسور في ميناء (ريجلون), والبقية منهم انضموا للقتال من أجل تحرير أرضهم من الملاعين, ليأتي الحديث الآن عن الخطوة التالية, فأي طريق سيسلكونه الآن, هل يتقدمون نحو الشمال لمواجهة الملاعين, أم يكون توجههم نحو عاصمة الشرق, مدينة (سوران) لإحكام سيطرتهم عليها.

: «سمو الملكة إلينا, سمو الأمير فيليب, الحضور جميعا, علينا الآن أن نحدد خطواتنا, فالطريق الآن ممهد, لأحكام السيطرة على مملكة الشرق, فالعاصمة دون حماية تذكر, ويجب أن نحكم سيطرتنا عليها قبل التوجه شمالًا, لكن علينا أن نؤمن أنفسنا من تحركات الملاعين في الشمال, لذا أقترح أن نقوم بتقسيم القوات, بأن يتوجه جزء منها

نحو مدينة(سوران)، لأحكام السيطرة عليها، والجزء الآخر سيتوجه نحو الشمال، لكن ليس أقصى الشمال، لنجعل الجيش يعسكر على بعد مسافة كافية، بين الميناء، وبين أقصى حدود المملكة، حتى نحكم قبضتنا على كل الممرات هناك»

بدأ الحكيم توساني بشرح خطته، ورؤيته لمستقبل الشرق، وإحكام قبضتهم عليه، شاركه الجميع في أطروحاتهم ورؤيتهم العسكرية، ليلقى رأيه ترحيب الجميع، ليأتي تقسيم الجيش لشقين، الأول- يقوده الأمير فيليب، والملكة إلينا، وسيتوجهون نحو مدينة (سوران)، بينما القسم الآخر سيقوده السيد دوراتي، وزير مملكة الجليد الأول، ليتقدموا ويعسكروا شمالًا تحسبا لأي تحركات من الملاعين.

قرروا أن يقسم كل جيش لكافة الفئات، سيشارك أبناء الجليد، وجنود آل بنتلي، وأبناء الشرق، في كلا الجيشين، لن يتم التفرقة بينهم، ليبدؤوا سريعا في التجهيز من أجل التحرك، على أن تبقى حامية قوية على ميناء (ريجلون)، تكون قادر على دعم كلا الجيشين، بالإمدادات المطلوبة في أي وقت، ليخطوا خطوتهم الأخيرة لتحرير مملكة الشرق، قبل أن يتوجهوا شمالًا.

***

14

في أقصى الغرب, بدأ جيش ملوك القديسين في التقدم للأمام, ومن معهم من أبناء الغرب بقيادة بيدرو ورجاله, من كتبوا ملحمة الصمود في ميناء (اللؤلؤة), سرايا الاستطلاع تخبرهم بأن الملاعين يتجمعون نحو قلعة (آلانا), فهناك مدد كبير قادم في الطريق لمواجهتهم, بينما القوات المرابطة في مدينة (النسور), تحكم تحصيناتها على القلعة, منتظرين قدوم المزيد من المدد لهم, حتى لا يفقدوا ما اكتسبوه من سيطرتهم على عاصمة الغرب.

لم تكن تلك هي الأخبار الوحيدة التي وصلت إليهم, فهذا الركب السريع القادم من ميناء (اللؤلؤة), والذي أخبرهم بالرسائل التي وصلت إليهم عبر الطريق, كرد على رسائلهم التي وصلت إلى كل بقاع (زاندو), رسالتين تحديدًا قد وصلتا تحملان كل الخير, الأولى, آتية من الشرق, حملت توقيع الأمير فيليب, والحكيم توساني, والملكة إلينا ملكة الجليد, تخبرهم بأنهم يقودون جيشًا جرارًا, ليحرروا الشرق, ويتقدمون بعدها جميعًا من أجل تحرير (زاندو).

لم يستوعب بيدرو ورجاله, من هم أهل الجليد هؤلاء, لكن ملوك القديسين أخبروهم بكل ما يعلمونه عنهم, وتواصلهم

14

في أقصى الغرب, بدأ جيش ملوك القديسين في التقدم للأمام, ومن معهم من أبناء الغرب بقيادة بيدرو ورجاله, من كتبوا ملحمة الصمود في ميناء (اللؤلؤة), سرايا الاستطلاع تخبرهم بأن الملاعين يتجمعون نحو قلعة (آلانا), فهناك مدد كبير قادم في الطريق لمواجهتهم, بينما القوات المرابطة في مدينة (النسور), تحكم تحصيناتها على القلعة, منتظرين قدوم المزيد من المدد لهم, حتى لا يفقدوا ما اكتسبوه من سيطرتهم على عاصمة الغرب.

لم تكن تلك هي الأخبار الوحيدة التي وصلت إليهم, فهذا الركب السريع القادم من ميناء (اللؤلؤة), والذي أخبرهم بالرسائل التي وصلت إليهم عبر الطريق, كرد على رسائلهم التي وصلت إلى كل بقاع (زاندو), رسالتين تحديدًا قد وصلتا تحملان كل الخير, الأولى, آتية من الشرق, حملت توقيع الأمير فيليب, والحكيم توساني, والملكة إلينا ملكة الجليد, تخبرهم بأنهم يقودون جيشًا جرارًا, ليحرروا الشرق, ويتقدمون بعدها جميعًا من أجل تحرير (زاندو).

لم يستوعب بيدرو ورجاله, من هم أهل الجليد هؤلاء, لكن ملوك القديسين أخبروهم بكل ما يعلمونه عنهم, وتواصلهم

السابق معهم, ليطمئنوهم أنهم في صفهم بكل تأكيد.

بينما الرسالة الثانية قد أدخلت الكثير من السرور على قلب بيدرو ورجاله, إنه الأمير ليدلي يحدثهم من الجنوب, يقود جيشًا جرارًا من أبناء الغجر, وقد أسقط تيري وجيشه في قبضته.

الآن أصبحوا موقنين أنهم لا يخوضون الحرب بمفردهم, بل لديهم إخوان آخرون يشاركونهم نفس الهدف, تحرير (زاندو) من قبضة الملاعين, لكن الآن يتوجب عليهم أن يحرروا الغرب, فعقدوا مجلسًا حربيًا عاجلًا, تقدمه بيدرو وملوك القديسين.

: «فخامة الملوك الأجلاء, اعتقد أن ما وردنا من رسائل, يجعل الوضع أكثر طمأنينة في باقي الأرجاء, مع المزيد من الأمل نحو الأفضل لمستقبل هذه الأرض, الآن لدينا مهمتان نقوم بهما إن سمحتم لي, أولًا, علينا ردع الجيش القادم من الشمال, والذي يستعد لعبور قلعة (آلانا), وقطع أي تمويل عسكري قد يتجه نحو مدينة (النسور)»

بدأ بيدرو بشرح رؤيته الحربية بشكل كامل, سيضعون بعض السرايا العسكرية على طيلة الطرقات من قلعة (آلانا) إلى مدينة (النسور), سيكون مهمتهم مراقبة الطرقات, وقطع

أي إمدادات تتحرك من أحد الجانبين نحو الآخر, بتعطيلها أو نصب الشراك لها, فقطع طرق الاتصالات المباشرة بين كلا الجانبين, سيكون هو الخطوة الأولى لفرض حصار على الجانبين.

الشق الثاني, كان التقدم نحو قلعة (آلانا), الأخبار الواردة, أن الملاعين قد حشدوا لجيش جرار, يضاهي في حجمه كل ما واجهوه سابقًا, أما خيار المعركة فهذا سيتوقف على ما يخطط له الملاعين, هل سيغادرون القلعة, ويواجهونهم في معركة ميدانية مفتوحة, أم سيتحصنون بالقلعة؟, ليعاود بيدرو الحديث بشكل مفصل عن كلا الخيارين:

«في حال قرروا مغادرة القلعة, فإن أقرب منطقة مفتوحة تسمح بمواجهة شاملة بين الجيشين, ستكون على بعد مسافة قريبة من القلعة بضعة كيلومترات, (وأشار إلى موضع على الخريطة القابعة أمامهم), أما في حال استخدموا القلعة للتحصن بها, فهذا سيكون قرارًا في مصلحتنا الحربية, فقلعة (آلانا), قد صممت لتكون رادعةً لمن يأتي من خارج مملكة الغرب, متحصنةً بالمانع المائي أمامها, أما التحصينات الداخلية, فقد صممت على أن تكون قادرة على استيعاب أكبر قدر من المدد من الجند يصل

من داخل المملكة, يوجد العديد من البوابات في الجانب الغربي, كما أن الجدران الداخلية ليست بتلك الصلابة, ومع الأخبار الواردة من أثار المعارك السابقة التي دارت بها, فهي ليست بذات التحصين السابق, وحسب التقارير الواردة, فإنها لن تستوعب هذا الكم من جنودهم, لذا على الأرجح هم سيقررون المواجهة المباشرة هنا, إلا إن كانوا يتحلون بهذا القدر من الغباء ليتحصنوا بها أيها السادة»

أثنى الملك ترادوس وملوك القديسين, على الشرح الوافي الذي قام به بيدرو, ليتشارك القادة في كلا الجانبين بوضع الخطط العسكرية لكلا الاقتراحين, وتنظيم القوات وتوزيع الكتائب العسكرية والقادة, ليتم تكليف براجوس ورجاله, وسرايا عسكرية من الإلف, بالتقدم السريع لقطع كل طرق الإمدادات, الرابطة بين القلعتين, فيما قرروا أن يواصل الجيش تحركه بأقصى سرعة ممكنة, حتى يواجهونهم في النقطة التي حددها بيدرو أمام الجميع.

***

في قلعة (آلانا) ظل أجريوس يراقب تحركات جيشه, وتوافد الكتائب العسكرية, متأكدًا من عبورها للجانب الغربي من القلعة, أراد أن يحشد جيشه في أفضل حال ممكن,

فخسارة المعركة المقبلة تعنى خسارة أرض الغرب, من بين يد أبناء (السيد).

وصلته الأخبار عن الجيوش الأخرى, التي تتحرك في شرق وجنوب (زاندو), ليعلم أن عليه أن يتمم مهمته بسرعة, بأن يعيد الاستقرار في الغرب لأبناء (السيد), فهم الآن أمام تنفيذ الشق الأهم من مهمتهم, إما بأن يتصدوا لتلك الجيوش التي تجتاح أرض (زاندو), أو أن ينقضوا هم عليهم أثناء صراعهم, لتعلو كلمتهم على هذه الأرض, ويرفعوا رايات (السيد) خفاقة, ويجعلوا أهل (زاندو), مجرد عبيد لديهم.

أمر بأن يتم استدعاء الجنود الفارين من معركة ميناء (اللؤلؤة), بدا الرعب على وجوههم وهم في حضرته, فهم يعلمون قانون الحرب الذي وُضِع لأبناء (السيد), من يفر من ميدان القتال لا يلقى غير الموت, فتلك خيانة مباشرة (لسيدهم), لكن تم الإبقاء عليهم, حتى يعرضوا على القائد أجريوس, والذي سعى لأن يبث الطمأنينة في قلوبهم من حديثه»

«أعلم أنكم خائفون, من أن تلقوا حتفكم في حضرتي, طبقا لقانون (السيد), لكن هناك قانون يتناساه الجميع, أن للقائد الحرية في أن يعفو عن من يشاء, أو يعطيهم فرصة

أخرى ليثبتوا ذاتهم، لذا فأنا أممنكم على أنفسكم، وأن تكون ساحة المعركة المقبلة هي الاختبار الحقيقي لكم، فتحت قيادتي تختلف الأمور عن غيري، فأنتم في حضرة أحد قادة الصفوة في جيوش (السيد)»

حثهم على الحديث، طالبًا منهم أن يصفوا له ما رأوه في المعارك السابقة، وأن يحدثوه عن أسلحة الإلف السرية، التي يتحدث عنها الجميع، ومدافعهم التي تنفث اللهب، ليتشجع الجنود ويصفوا له ما رأوه في معركتي ميناء (اللؤلؤة)، وكيف واجههم أبناء الغرب في المعركة الأولى، وقضوا على فيالق العمالقة والغيلان بقنابلهم العجيبة، وكيف دمروا الأسوار وأحرقوا الجميع بلهبهم ذاك، كما وصفوا له كيف تقدموا في جولتهم الثانية، وكيف استطاعوا أن يخترقوا الأسوار، وأن يحكموا قبضتهم على مداخل المدينة، وتراجع أبناء الغرب أمامهم في معركة الشوارع، وكيف تقدموا للأمام ،إلى أن هبط عليهم الإلف كالصاعقة، بسرعتهم الخارقة، ومدافعهم الحارقة التي رموهم بها.

لم يقاطعهم أجريوس حتى أتموا حديثهم، بعدها بدأ يطرح عليهم أسئلته، مستفسرًا عن كل شيء، لم يترك نقطة إلا وتساءل عنها، لم يترك موضع قوة إلا وحصل على

إجابات منهم عنه, ولا موضع ضعف إلا وظفر بتفاصيله, ليستطرد الجنود في الشرح وهم موقنون بأمانهم, وكلما حدثهم القائد أجريوس, وطلب منهم المزيد, شعروا بالأمن, ليجيبوه في النهاية, بأنهم واجهوا أشباحًا يتطلب الانتصار عليهم جهدًا كبيرًا, لينهى أجريوس, حديثه معهم, خاتمًا بكلماته الأخيرة:

«الآن قد حصلتم على فرصتكم, وأخبرتموني بكل ما أريد معرفته, وكأنى كنت معكم في تلك المعركة, لكنكم تعلمون قانون (السيد), الفار من المعركة لا يلقى إلا الموت»

ليصيح في خاصة رجاله, بأن يقوموا بإعدامهم, كما أمرهم بأن لا يتسرب هذا الحديث إلى أحد, ليتوسل له الجنود بأن يعفوا عنهم, لكن الموت قد داهمه, ليلقوا موتهم أمامه مباشرة, ليبدأ سريعًا في إصدار الأوامر, بتحرك الجيش سريعا للأمام وحدد موضعًا مفتوحا قريبا من القلعة, ليكون موضع المواجهة القادمة لهم, فهو يعلم الآن, أن التحصن بالقلعة لن يكون في مصلحتهم, بعدما علم قدرات عدوه, وعاين بنفسه القلعة غير المستعدة لأى مواجهة الآن, كما أمر بأن يتم تدريع الجميع بشكل كامل, ليضع خطة المعركة, وترتيب القوات, واستطفاف الجيش, ليكون لهم اليد العليا

في تلك المواجهة، التي اتفق هو وبيدرو بدون أن يعلما، على مكان واحد تدور فيه المعركة، لكنه حدس القائد العسكري، هو ما قادهم إلى تلك المنطقة.

***

في الجنوب، كان تحرك ليدلي وجيشه، ليس بالسرعة الكبيرة، أرادوا أن يبعثوا بالطمأنينة للجميع، في كل قرية أو مدينة تأتي في طريقهم، قرر ليدلي أن يعرج إليها شخصيًا، مخاطًبا العامة ومطمئنا لهم، مخبرهم أنه لا ينوى إلا إعادة الأرض لأصحابها، لينزع الخونة عن عروش (زاندو) وأن يعلي راية أرضهم من أجل تحريرها من الملاعين، في المقابل تراجع أعوان تيري جميعًا لدعم بافيان، حتى يتحصنوا بعاصمة الحكم، ليعدوا رجالهم للمواجهة مستعدين للبقاء تحت الحصار.

رأى ليدلي بهذا، أنهم قد أبعدوه عن أي مواجهة محتملة، قبل وصولهم للعاصمة، مما أعطى جيشه الراحة والحرية في التحرك بهدوء للأمام، كما أن نجاحه في استمالة العامة لصفه وطمأنتهم، أعطتهم المزيد من الشرعية في حربهم هذه، بل إنهم حظوا بالدعم من الجميع، وأنضم إليهم طواعية من يريد القتال، من أجل إعلاء راية وطنهم.

أصبح الجيش على مقربة من الوصول للعاصمة, ليعقد الملك ليدلي اجتماعًا مع قادته, للترتيب للمعركة, ويطلب منهم أن يخبروه بما لديهم من مستجدات خاصة بحالة الجيش, وما هي استعداداتهم الحالية, ليبدأ الأمير لويس الحديث أولًا:

- «سمو الملك, لقد التحق بنا الرجال من قلعة (بنتلي), مصطحبين كافة المقاليع التي تمكنا من جلبها لهنا, الآن لدينا نحو خمسين مقلاعًا جديدًا, جاهزون لهذا الحصار, كما التحق بنا فرقتين من الرماة والمشاة الجدد, قد وصلوا إلينا من هناك»

- «هذا خبر جيد سمو الأمير لويس فدعم آل بنتلي لنا في هذه الحرب, هو مكسب حقيقي, أخبرني يا برانكو ما هو الجديد لديك؟»

- « إن البصاصون لا يتوقفون عن العمل يا مولاي, الأخبار الآن أنهم قد حشدوا قرابة الخمسين ألف مقاتل, لن يواجهونا في حرب مباشرة, بل سيتحصنون بأسوار المدينة, أما عن الحالة المعنوية هناك, فالعامة منقسمون, منهم من يؤثر الصمت والسلم, ومنهم من ينتظر سقوط أتباع تيري, ويعيدوا الأرض لأصحابها, كما يوجد قلة من رجال بافيان,

ينتشرون بين العامة يحشدونهم لصفهم, مثيرين الفتن بأن الملك ليدلي, استعان بالغجر حتى يقضي على سكان (زاندو), وأنك ستبيدهم جميعًا, لينجحوا في استمالة بعض العامة في صفوفهم, كما أنهم قد اجزلوا العطايا للجميع, ليكونوا على الحياد على الأقل»

- «هذا أمر متوقع, فالعامة هناك, معزولين عن أن أي أخبار تحدث خارج الأسوار, ولا استبعد أن يروون عنا, أننا قد قمنا بجرائم فادحة, في كل قرية أو مدينة دخلناها»

- «هذا ما حدث بالفعل يا مولاي, ولذا أمرت البصاصين بأن يأخذوا موقف الحياد, وأن لا يظهروا أنفسهم كموالين لك, حتى تأتي اللحظة المناسبة»

- «أحسنت برانكو, عزيزي أندرو, أخبرني عن التعداد الحالي للجيش, وموقفنا العسكري بالكامل»

- «مولاي, مع التعزيزات القادمة من قلعة (بنتلي), وما انضم إلينا من العامة, من كل القرى والمدن التي دخلناها, الجيش الآن يقارب المائة وعشرون ألف مقاتل, نصفهم على الأقل من المشاة, كما أن لدينا ما يناهز الخمسة وثلاثون ألف من الفرسان, ونحو خمسة عشر ألف رامي, والبقية مقسمين بين جند المؤن, والإمدادات, والمتاريس الحربية, والمقاليع,

والمنجنيق، ويبقى هناك الجند الخاصين، الذين سماهم السيد بيرشا فرقة الموت، وهم المسؤولين عن وحوش الماموث العملاقة، وتجهيزها وتدريعها»

- «هنا بيت القصيد، سيد بيرشا، إلى أي مدى تفيدنا تلك الفرقة في الحصار واقتحام الأسوار؟»

التفت الجميع نحو زعيم النوماكي، الرجل الذي قلب كفة المعركة في قلعة (بوزان)، حين هاجموا جيش تيري في الوقت القاتل، ليقلبوا كفة المعركة بوحوشهم العملاقة تلك.

- «لدينا نحو خمسون ماموثًا عملاقًا، إن كانت الفيلة قادرة على الأعمال الشاقة، كحمل الأشجار، وشد الصخور، وما إلى ذلك من مهام، فإن الماموث تضاهيها في القوة بأضعاف مضاعفة، فقد استخدمناها في شق الجبال، وحفر الأنفاق، فنحن لدينا قوة جبارة سمو الملك، أما عن استخدامها في الحصار، فيمكننا أن ندك الأبواب المحصنة للقلاع، فقد قمنا بتدريعها بشكل كامل هي وجنودها، إن امتلكنا عنصر المفاجأة، سنتمكن من إسقاط أبواب القلعة بسرعة»

- «هذه أخبار جيدة سيد بيرشا، الآن هو دورك سيد جراكوس، علينا أن نسهل مهمة السيد بيرشا ورجاله، وأنت أعلمنا بما نواجه، يجب أن نضع خطتنا للهجوم على أضعف

النقاط في أسوار المدينة»

هنا أتى دور جراكوس، ليبدأ في الشرح أمام الجميع، عن تحصينات المدينة التي يعلمها، قبل أن يغادرها منذ سنوات، استمر في شروحه عن معرفته السابقة، وما أمده برانكو من معلومات، جمعها رجاله المتواجدون هناك، ليبدأ في ترشيح أضعف النقاط الممكنة دفاعيًا على مستوى البوابات والأسوار، وبدأ الجميع النقاش في خطتهم الحربية وفي النهاية تساءل ليدلي، عن المدة المتوقعة لوصولهم لهناك، ليأتيه الجواب أنهم إن استمروا على معدلهم في السير، سيصلون إلى هناك في غضون يومين، لكنه قرر أن يسرعوا من مسيرهم، فهو يريد أن يصل الجيش مع آخر ضوء لليوم التالي، ليقوموا بهجوم ليلي مفاجئ على المدينة، ليستعد الجيش بأكمله ويبدؤون التحرك بمنتهى السرعة نحو معركتهم التالية.

***

مع عودة كلاوديو، نحو مدينة (الشمس)، لم يحصل على أي وقت للراحة، بل توجه سريعًا لاجتماع مباشر مع أتريموس، كل منهم سرد للآخر ما لديه من أخبار وتقارير، كلاوديو أخبره عن أهل الجليد، وما لدى الملاعين من

معرفة بهم, وعن قدوم ملوك القديسين نحو الغرب, وأخبره أتريموس, عما يحدث في الجنوب, وما قام به ليدلي من الإطاحة بتيري, وتقدمه نحو عاصمة الجنوب, واستنجاد بافيان بهم.

«إن الأمور أكثر تعقيدًا يا كلاوديو, لم نحصل على أي قدر من الراحة حتى الآن, وها نحن نجد الهجمات تطالنا من كل جانب»

- «اعرف كل هذا يا أتريموس, لكن علينا أن لا نقف مكتوفي الأيدي, الآن يجب أن نتحرك بسرعة»

- «وفي نظرك أي اتجاه سنسلكه الآن يا كلاوديو؟»

- «الجنوب, يجب أن ندعم بافيان, ونحجم من قوى ليدلي هناك, ولا تقلق بشأن الغرب والشرق, فالملاعين سيتولون أمر كلا الجانبين, لديهم من الجند والعتاد ما يكفيهم لتلك المواجهة, هم بالفعل قد حشدوا جيشًا جرارًا نحو الغرب, لمواجهة ملوك القديسين بقيادة أجريوس, والآن يحشدون جيشًا آخر, يتقدم على حدود مملكة الشرق, منتظرين أهل الجليد, وكان اتفاقي معهم, أن نسعى نحن لردع ليدلي في الجنوب, واعتقد يا عزيزي, أنه قد حان الوقت لتزيد من رقعة مملكتك, فإن نصرنا بافيان, فسيكون مدين لنا بالولاء,

وحتى إن هُزم قبل وصولنا إليه, فالقضاء على جيش ليدلي, يعني أن مملكة الجنوب بثرواتها, ستصبح كاملةً تحت سيطرتك»

كالعادة بدا لدى كلاوديو الحل, والرأي الصواب الذي يركن إليه أتريموس دائمًا, فيبدو أن مستشاره قد عقد صفقة جديدة مع الملاعين, سيحصل بموجبها على حكم الجنوب, إن ردع ليدلي وجيشه, بينما سيتكفل الملاعين ببقية المخاطر الأخرى التي يواجهونها, لكنه عاد ليتساءل من جديد:

«كلاوديو, ألا تخشى من الملاعين, إن يغيروا علينا في يوم ما بعد نفرغ من كل هذا؟»

- «بكل تأكيد, هذا أمر أخشاه واحسب له في كل برهة تمر علينا, لكن في موقفنا الحالي, لا بديل عن تلك الخيارات, فيجب ألا ننتظر حتى نجد ليدلي يقف على أبواب المدينة, مطالبًا بعرشه, كما أن حروب الملاعين في الغرب, قد أرهقتهم كثيرًا, والآن سيتوجب عليهم مواجهة ملوك القديسين وأهل الجليد, وعندما يفرغون منهم, لن يكونوا مستعدين لمواجهتنا, وهذا سيعطينا هدنة طويلة الأمد معهم, طالما أن كل طرف ملتزم بما يطلب منه»

- «وماذا إن هزموا ودحروا لأرضهم مجددا أمام تلك الجيوش, ماذا سيكون موقفنا وقتها؟»

- «سيتوجب علينا إذن أن نواجههم, حتى نفرض سيطرتنا على (زاندو) كاملةً, لكن دعنا لا نستبق الأحداث, فعلينا الآن أن نستعد لمعركتنا مع ليدلي »

رضخ آتريموس في النهاية لمقترحات كلاوديو, فلا بديل أمامهم عن تلك المواجهة, ليصدر مرسومًا ملكيًا, بأن يتم تجهيز الجيش وتسليحه, في أسرع وقت, كما قاموا بمراسلة كل قادة آل نيكلسين, الذين ولوهم في كل بقاع مملكة الوسط, ليحشدوا ما لديهم من جند, وأن يلتقي الجميع على الحدود الجنوبية للملكة, فقد حان وقت الحرب الآن.

***

15

وصلت الأخبار سريعًا نحو بافيان ورجاله, فسرايا الاستطلاع قد عادت نحو العاصمة بسرعة, عندما رصدوا تحركات جيش ليدلي مباشرة, وبوتيرة أسرع من السابق, ليعلموا أن وقت المواجهة قد حان.

حشدوا كافة جنودهم, عند النقاط الدفاعية الأمامية للقلعة, علموا أن الليل سيكون موعد الهجوم الأول, عند وصول جيش ليدلي, ليبقى الجميع في حالة تأهب, الساحات المكشوفة الكبيرة أمام المدينة, ستخبرهم بوصول الجيش مبكرًا, لن يمكنهم الاختباء عن الأعين, لذا سيكون لديهم الفرصة السانحة للهجوم عليهم فور تقدمهم باستخدام مقاليعهم, وعن طريق الرماة فوق الأسوار, فقط يتبقى عليهم تحديد الموقع الذي سيهاجم منهم جيش ليدلي

على الجانب الآخر, كان تقدم جيش ليدلي سريعًا, الخطة وضعت بناء على أخبارهم الاستطلاعية, وعلى ما لدى جراكوس من خبرة؛ بتحصينات المدينة الدفاعية, قرروا أن يقسموا الجيش إلى مجموعتين, الأولى- قادها ليدلي من الجانب الشرقي للقلعة, نصف قوات الفرسان, ونصف قوات المشاة, نصف قوت الرماة, ليهاجموا من أكثر موقع يتوقعه

الجميع، نصبوا المقاليع مباشرة فور قدومهم، مع إحكام الليل ستاره على الجميع، ليبدؤوا بقصف القلعة مباشرة دون أي مقدمات. سريعًا ما تحرك الجند في جيش بافيان، نحو الجهة الشرقية للقلعة ليقوموا بتأمينها، عملوا مباشرة على أن يردوا عليهم الضربات بشكل سريع، كما أغرقوا السماء بسهامهم، التي بالكاد وصلت نحو مقدمة جيش ليدلي الذي اتخذ مواقع بعيدة، بينما أعملوا مقاليعهم بمنتهى القوة، طلب ليدلي من قوات جيشه، أن ينتشروا بشكل عرضي، متفرقين ومحافظين على مسافة التواصل بينهم، والخط الآمن من مدى مقذوفات المدافعين من جيش بافيان، لم يأخذوا أي خطوات أمامية للهجوم، فقط بدؤوا بالقصف ولا غير.

أكمل الليل انتصافه وتجاوزه بقليل، المعركة حتى الآن لا تتعدى القصف المتبادل من المقاليع، بدا على بافيان الحيرة وهو مجتمع مع قادة جيشه، وهم يوافونه بكافة تفاصيل المعركة والحصار.

: «أيها السادة، هناك شيء ما خاطئ، ليدلي وجيشه يعلمون بالتأكيد قوة تحصينات القلعة، وأن ما يقومون به من توجيه ضربات للآن، لن يؤثر في شيء سوى بعض

الصدوع في أسوار القلعة, هناك أمر ما يخفونه في هجومهم هذا, علينا أن ندركه»

- «سمو الملك, عليك أن لا تنسى أنهم مجموعة من الهمج, لا يجيدون خطط الحرب التي درسناها وتعلمناها, فبكل تأكيد سيكون هجومهم عشوائيًا»

- «عليك أن لا تنسى يا ديمتري, أن هذا الجيش الهمجي, قد استطاع أن يقضي على جيش كامل يقوده الملك تيري, وأنه يقودهم ليدلي, سليل آل فيرجسون, وهذا شخص قد درس كل ما درسناه من علوم عسكرية, أريد أن اعرف كامل تعداد جيشهم, هناك شيء ما خاطئ!»

بدت الحدة والعصبية في حديث بافيان, وهو يخاطب ديمتري, أحد النبلاء الموالين له, والذي ولي منصب قائد الجيش في التغيرات الأخيرة.

- «مولاي, أنا لا أقصد شيئًا, أنا فقط أتحدث أنهم يريدون أن ينهكونا بهذا الهجوم, حتى تتصدع الأسوار ويهاجمون, أما عن تعداد جيشهم, فالاستطلاعات التي وردتنا أنهم تجاوزوا المائة الف مقاتل»

- «اعرف الأخبار التي وصلتنا, لكن هل ما يوجد أمامنا الآن

مائة ألف مقاتل؟, هذا ما أريد معرفته»

- «إنهم يحتمون بالظلام, كما أنهم لا يشعلون أية مشاعل, يعملون في الظلام, أما المعلومات الواردة, فإنهم يتمركزون صوب البوابة الشرقية, وينتشر جيشهم على الجانبين الشمالي والجنوبي للقلعة»

- «وهل تعتقد أن أي جيش يريد فرض حصار على مدينة كبيرة مثل هذه, سيحاصرنا من جبهة واحدة؟»

- «ربما يريدون أن يرهقونا من هنا, وينصبوا كمائن في الجوانب الأخرى, في حال قررنا مغادرة القلعة»

- «الآن بدأت تفهمني يا عزيزي ديمتري, أريد تقرير شامل عن هذا الانتشار, وما يحدث في الجوانب الأخرى»

استمر بافيان في شرح مخاوفه العسكرية من هذه المواجهة, فالخصم لا يظهر كل ما لديه بشكل كامل, ليقاطع حديثهم فارس قد أتى على عجالة, مع ارتفاع أصوات الأبواق على الأبواب الغربية للقلعة.

: «مولاي الملك, آسف على المقاطعة, لكنهم يهاجمون الأسوار الغربية بضراوة, مستخدمين وحوش عملاقة لا نعرف ما هي»

وقعت الدهشة على الجميع من هول الخبر, فها هي مخاوف بافيان تتحقق سريعا, ليعلموا أن ما حدث في الجانب الشرقي, ما هو إلا مراوغة يقوم بها ليدلي وجيشه, ليهرعوا سريعًا نحو الجانب الغربي ليروا ما يحدث هناك.

***

بدت خطة ليدلي ورجاله واضحة للعيان, كل التقارير تفيد أن الجانب الشرقي هو الأقل تحصينًا, بينما باقي دفاعات القلعة وبكل تأكيد, سيوجد به أكبر كمْ من المدافعين, لذا قرروا أن يدفعوا بنصف الجيش نحو الجانب الشرقي ويهاجموا بالمقاليع, على أن ينتشر الجيش على طيلة خط الهجوم الشرقي شمالًا وجنوبًا... بتلك الطريقة سيقومون بسحب أكبر قدر من الجنود المدافعين عن القلعة, نحو الجانب الشرقي والشمالي والجنوبي للقلعة, بينما سيكون الهجوم الحقيقي من الغرب بعد أن ينتصف الليل, والتأكد من أن بافيان ورجاله قد ابتلعوا الطعم, لن يهاجموا فقط سيقصفون الأسوار الأمامية, وعندما تأتي اللحظة الحاسمة سيكون الهجوم الحقيقي من الغرب.

قاد الزعيم بيرشا, الفرقة الانتحارية, وحوش الماموث تقدمت بقوة صوب أبواب الأسوار الغربية, توجب عليهم

أن يقطعوا مسافة أطول, ليلتفوا حول المدينة بمسافة أمنة, تجعلهم بعيدين عن الأنظار, لينطلق هو وأبناء قبيلة النوماكي, بمنتهى القوة والسرعة صوب الأبواب, ليستغلوا عامل المفاجأة والقوة والسرعة, بينما تم تدعيمهم بقوات من الفرسان يقودها جراكوس ومارتي, على جبهتي الميمنة والميسرة لهم, بينما احتمت قوات المشاة خلف وحوش الماموث بقيادة أندرو, وبرفقته أشوري و« أنتيكوس.

اعتمدت الخطة على قوة وحوش الماموث, وقدرتها على دك الأبواب والأسوار للقلعة, كما حُمل على ظهورها بعض من الرماة, ليكونوا مركزا لإطلاق أسهمهم من تلك النقاط العالية, ليطلقوا وابلًا لا يتوقف من السهام, على الجند المتواجدين أعلى أسوار القلعة, ورغم تأهب المدافعين عن الأسوار لأي عنصر فجائي قد يواجهونه, إلا أن رؤيتهم لوحوش الماموث وهي تتقدم بتلك القوة والسرعة, وتدك الأرض أسفلها, قد بثت الرهبة في قلوب الجميع, فهؤلاء الغجر الذين يستطيعون ترويض تلك الوحوش, ماذا يمكن أن يفعلوا بهم؟

مرت الدقائق الأولى سريعا, حتى وصلت وحوش الماموث صوب الأبواب, ليتم دكها بمنتهى القوة, شعروا بالأسوار

بأسرها تهتز تحت أقدامهم, ليعطي القادة الأوامر للجند, ركزوا على تلك الوحوش قبل أي شيء، ليسارع قوات المشاة بقيادة أندرو, بتسلق الأسوار, واستخدم أبناء الغجر مهارتهم الكبيرة في تسلق الجبال, ليتقدموا بمنتهى السرعة, أعدوا سلالم عملاقة, قد نصبت سريعا على الأسوار, ليأتي تسلقهم لها بمنتهى السرعة.

بدا الهجوم مفاجئا وسريعًا على المدافعين فوق الأسوار, وعند وصول بافيان نحو الأسوار الغربية للقلعة, كان بعض فرق جنود المشاة الخاصة بجيش ليدلي, قد نجحوا بالفعل في تسلق الأسوار, وبدؤوا في تشكيل درع صلب من أجسادهم ليتصدوا للمدافعين, ويحموا السلالم التي يصعد عليها باقي الجند, كما أنهم قد ألقوا بحبالهم الخاصة, ليقوم رفاقهم بالتسلق عليها.

حاول أندرو أن يجاري رفاقه في سرعتهم على التسلق, لكنه بدا أقل منهم في تلك المهارة, ليصارع بقوة حتى يصل إلى أعلى الأسوار, ويصل للصفوف الأمامية ليقاتلوا, طالبًا من رجاله أن يتقدموا بسرعة نحو الأبواب لتسهيل اقتحامه, ليتقدم أنتيكوس بسرعة وفرقته مخترقين الصفوف, ومن خلفة أشوري بمنتهى السرعة.

لم يتوقف الزعيم بيرشا عن تحفيز رجاله، بأن يتقدموا للأمام، وأن يحاولوا دك الأبواب مرة تلو الأخرى، بدأ الصدع يظهر على المدخل الرئيسي، ليطالب رجاله بتعزيز الهجوم عليه، فاستخدموا ثلاث وحوش من الماموث، ليقوموا بتوجيه الضربات وأحدة تلو الأخرى دون توقف، لتبدأ فرجة تظهر في الأبواب وتتراجع إلى الخلف، ليأمرهم بأن يقوموا بهجوم ثلاثي مشترك، ليهجموا بمنتهى القوة باستخدام وحوشهم، ليدفعوا الأبواب للخلف منفتحة على مصراعيها، ليأتي دور قوات الفرسان، بأن ينقض كراجوس وفرسانه سريعًا للداخل، ومن خلفهم قوات المشاة، بينما تراجعت قوات الزعيم بيرشا كما طلب منهم ليدلي مسبقا، لن ندخل بالوحوش إلى المدينة، فلا يريد أن يسري الذعر بين العامة، ليهبط الزعيم بيرشا سريعًا من فوق وحشه، ليتقدم إلى الداخل مشارك في القتال.

مع اقتحامهم لأسوار القلعة الغربية، صدرت أصوات أبواق مختلفة على طيلة الخط الهجومي، لتعلن عن وجود ثغرة قد تم اقتحامها، ليهاجم الجميع منها، بينما وصلت تلك الأبواق عبر جنود الإشارة المنتشرين على كامل محيط القلعة، ليصل الخبر سريعًا نحو ليدلي، فالآن قد تم اقتحام القلعة، ليشير لبقية قوات الفرسان المنتشرة بجوارهم، أن تتوجه سريعا

للاشتراك في هذا الاقتحام, ليراها الجميع فوق أسوار القلعة الشرقية, ويعلمون أن الهجوم قد تحول بالكامل نحو الغرب, ليبدأ الجند بالتراجع سريعًا من أجل مساندة زملائهم في الجبهة الأخرى, ليبدو هذا جليًا للعيان, ليعطي ليدلي الإشارة لقواته بأن تتقدم للأمام مقتحمة الأسوار.

***

ليلة واحدة كانت حاسمة, استطاع فيها جيش ليدلي أن يسقطوا المدينة (الخضراء) عاصمة الجنوب, لم يكن يتوقع بافيان أن تسقط مدينتهم بهذه السرعة, وقع أسيرًا في حضرة الملك ليدلي, هو وكافة أعوانه من الخونة, في بهو الحكم الرئيسي, قُيد هو وكل أعوانه, يجثون على ركبهم منتظرين حكم الملك ليدلي عليهم, والذي جلس على عرش الجنوب وهو يشاهدهم في صمت, قبل أن ينهض من مكانه قائلًا:

«اليوم فقط يمكن للملك أرسين أن يرقد في سلام, فاليوم انتقمنا ممن خانوه, أعدنا أرضه وملكه إلى أصحابه, أهل (زاندو) المخلصين, وليس لخونتها, لكن نحن لن نرتاح, حتى نخلص أرضنا من الدنس الذي جلبتموه إلينا, أولئك الملاعين, ماذا دهاكم حين تحالفتم مع أولئك الشياطين لتسقطوا

ملوككم, أي شهوة تلك للملك تجعلكم تدنسوا أرضكم ووطنكم, ما ارتكبتموه من ذنوب لا يمكن غفرانه, فقد آتمنكم الملوك على أنفسهم وعلى أرضهم, لكنكم لم تكونوا أهلًا لتلك الأمانة, لا محاكمة لكم فأنتم لا تستحقون ذلك, قرار الإعدام قد صدر يوم قمتم بخيانتكم العظمى»

: «لكنه تيري من دبر لكل ذلك, لم يكن بيدنا شيء لنقوم به, لكن الآن يمكننا أن نكون في صفك, وأن ندعمك بكل ما تريد, سنفعل أي شيء حتى نكفر عن خطايانا تلك»

بدا صوت بافيان مرتجفًا وهو يترجى ليدلي بأن يعفوا عنهم, لكن وحده الغضب هو ما سيطر على ليدلي, لينهال عليهم بوابل من التوبيخ واللعنات, ويأمر حرسه بأن يأخذوهم إلى السجن, وأن يتم إعدامهم على الملأ في الساحة العامة للمدينة, أمام قصر الحكم.

حاول ليدلي أن يستجمع هدوءه, وهو يراهم يصرخون طالبين للعفو, حين ساقهم الجنود نحو حتفهم, طلب من الجميع أن يجلسوا, اجتمع مع قادة وزعماء القبائل وقادة جيشه, ليسألهم عن التقييم الحالي لحالة الجيش, بعد هذه المعركة الطاحنة التي خاضوها لاقتحام المدينة, ليأتيه الجواب من قادتهم, بأنهم فقدوا نحو ستة آلاف مقاتل بين

قتيل وجريح, ليبدو الحزن على وجه ليدلي قبل أن يحدثهم:

«لم أكن أتمنى أن يحدث كل هذا, لم أود أبدًا أن تفقد هذه الأرض أحد أبنائها, لكن لكل حرب خسائرها.

أيها السادة, علينا أن نقيم مراسم جنائزية تليق بالقتلى في كلا الجانبين, ومن وقع في الأسر يتم تخييره, إما الانضمام إلينا لمواصلة مسيرتنا الحربية, أو أن يترك سلاحه ويخضع تحت الرقابة لنا, ومن يعترض يبقى في سجنه, علينا أن نعيد إعمار المدينة, وما حدث من أضرار لأسوارها قبل رحيلنا, هذه ستكون مهمتك يا جراكوس, فمن الآن أنت آمر المدينة, فأنت من أهل الجنوب وأدرى بطباعهم.

الآن أيها السادة, علينا أن نستعد للتقدم للأمام, سنرسل من هنا نحو حلفائنا ملوك القديسين, وأهل الجليد, بأننا قد أحكمنا قبضتنا على الجنوب, وعلينا أن نعيد ترتيب صفوفنا, سنأخذ يومين على الأكثر للراحة, قبل أن نواصل المسير نحو مملكة الوسط, حيث مدينة (الشمس)»

- «مولا الملك ليدلي, ما الذي تريد مني أن أجهزه من جند وعتاد حتى نتقدم للأمام, فمن الآن سأحصر كل ما يوجد بالمدينة, حتى يمكننا الاستفادة منه»

- «فقط ما يكفي الطريق يا جراكوس, لا أريد أن يشعر أحد من العامة, أننا قد سلبناهم خيرات أرضهم, فقد رأوا الكثير في الأيام الماضية, وأنت يا جراكوس لن ترافقنا في تلك الرحلة, سيبقى معك قواتك التي رافقتك من قلعة الاتحاد, وما يمكن أن نتركه لك من جند, حتى يمكنك أن تحدث الاستقرار هنا في أسرع وقت»

- «لكن يا مولاي. أنا أريد أن أشارك في هذا الزحف, حتى نعيد أرضنا من يد مغتصبيها, وحتى نطرد أولئك الملاعين»

- «أعلم كل هذا يا جراكوس. كما أعلم أنى سأفتقد قائد بارع بجواري, لكن يجب أن يكون ظهرنا مؤمن, لذا يجب أن تتواجد هنا أنت وأداميوس, وبرانكو, فأنتم أكثرنا خبرة بأرض الجنوب, هذا قرار لا نقاش فيه»

بدا الحزن جليا على جراكوس, لكنه لم يملك سوى طاعة الملك ليدلي, فهو يفكر بعاطفته, لكنه يعلم أن الملك ليدلي, يرى الأصوب لمصلحتهم العامة, لينصاع فورًا لطلبه, وليبدأ في تنفيذ كل ما كلف به من مهام كآمر للمدينة.

***

تجمع العامة في ساحة المدينة, أمام قصر الحكم, تجمهروا

حول منصة الإعدام التي أعدت لتنفيذ الحكم على بافيان وأعوانه هو وتيري، من خونة (زاندو)، احتشد الجميع وتعالت الهمهمات بينهم، حتى خرج عليهم الملك ليدلي ليخاطب الجميع:

«أبناء (زاندو)، رعية الملك الراحل أرسين، ما أتينا إلى هنا للحرب، لكننا أتينا لنعيد حقكم في أرضكم من يد هؤلاء الخونة، أنا هو ليدلي، سليل الملك شيرار، سليل آل فيرجسون، حكام أرض الوسط، منذ عهد الحرب العظمى الأولى، لقد تعرضنا جميعًا للخيانة، ليس ملوك (زاندو) المغدورين فقط، بل أنتم جميعًا قد تعرضتم لها، أتحسبون أن أولئك الملاعين، من أبادوا أهل الشمال وأهل الغرب، سيبقون على عهد مع هؤلاء الخونة، أتعتقدون أنهم لا يتحينون الفرصة المناسبة حتى ينقضوا عليكم؟، كلنا في خطر واحد جميعًا، اليوم قد تخلصنا ممن خانوا ملككم وأرضكم، وغدًا سنتقدم نحو الشمال، لن نعود حتى نطرد الملاعين من أرضنا، نحن لسنا هنا لإرهابكم، بل نحن هنا للدفاع عنكم، الجميع هنا آمن، من آثر السلم فهو آمن، من أراد أن ينضم إلينا للقتال فهو آمن، من أراد يبقى في بيته وعملة وتجارته فهو آمن، أما من أراد الخيانة لعهد الملوك الراحلين، فلا أمان له بيننا»

أنهى الملك ليدلي حديثه، ليشرع الجند في تنفيذ حكم الإعدام على بافيان وأعوانه، ليعود ليدلي نحو بهو الحكم الرئيسي، منتظرًا الاجتماع الذي طلب من جراكوس أن يرتبه، مع نبلاء مملكة الجنوب، منهم من كان على العهد للملك أرسين، وبدا مرحبًا بقدومهم، ومنهم من كانت لديه بعض الشكوك التي تراوده، سعى لأن يطمئنهم جميعًا، مؤكدا لهم على كل ما قاله في خطابه للعامة، عرفهم على قادة قبائل الغجر، وأخبرهم بما يحدث في باقي بقاع (زاندو)، من وجود حلفاء لهم، كما أن وجود الأمير لويس ممثلًا لآل بنتلي، رفقة الملك ليدلي، جعلهم يتقبلون فكرة وجود الغجر، التي دعمها آل بنتلي، بما يحظون به من مكانة واحترام بين الجميع.

بادر بعض هؤلاء النبلاء، بأن يعرضوا خدماتهم وأموالهم لدعم الملك ليدلي وجيشه، عرف أن منهم من أمن بقضيته، وأن منهم من أراد أن يتقرب منه ليؤمن نفسه، لكنه أخبرهم أن لا حاجة لذلك، فهم سيزودون أنفسهم، بما يكفيهم فقط من خزائن المملكة، ومن عتاد جيش تيري وما تركه. فهم لا يودون أن يرهقوا أهل الجنوب بعد كل ما تكبدوه، لكنه رحب بكل من أراد الانضمام إليهم، من جند ورجال، حتى يحرروا

هذه الأرض، مخبرًا إياهم أنه سيولى القائد جراكوس عليهم، قائد قلعة الاتحاد السابق، وأحد أبناء الجنوب الأوفياء، وحتى يستتب لهم الأمر، سيكون لكل مقام مقال.

***

يومان فقط كانا كافيين حتى يتأهب جيش الملك ليدلي، للتوجه نحو مملكة الوسط، لمواصلة زحفهم نحو تحرير (زاندو)، تركوا قوة عسكرية شكلت من قوات جراكوس، وبعض من جند آل بنتلي، وبعض من مساجين (بوزان)، وفرقتين من أبناء الغجر، مع بعض ممن انضم إليهم من أبناء الجنوب، ليحافظوا على الاستقرار في مملكة الجنوب، تحت إمرة جراكوس، بينما استكمل الجيش زحفه، وانضم إليهم جند جدد من جند بافيان، بعدما قرروا طواعية الانضمام إليهم نظير حصولهم على العفو، وأيضًا أنضم إليه قدر يسير من العامة ونبلاء الجنوب، ليخوضوا معهم غمار حربهم المقدسة.

لم يتوان الملك ليدلي، في أن يذكر جراكوس بأن يعامل الجميع باللين، وأن يكسب الولاء، وألا يبطش بأحد، فهو يريد أن يكسب ود الجميع، ليعده جراكوس بتنفيذ كل وصاياه، ليودعهم مع مغادرة الجيش لأرجاء المدينة،

ويخرج العامة في هذا المشهد المهيب, متذكرين يوم اصطفوا ليودعوا الملك أرسين وجيش الجنوب, حين خرجوا لمواجهة الملاعين.

بدأ تقدم الجيش نحو مملكة الوسط, لكن الأخبار لم تتوقف عن الوصول, بعض الرسل القادمون من قلعة (بنتلي) محملين برسالة عاجلة قد وصلت إليهم من السيد فيرديناند روز, تخبرهم أن أتريموس, يحشد الجند من كافة أرجاء المملكة, ليتوجه جيشه صوب مملكة الجنوب, ليرفع الأمير لويس الخبر مباشرة نحو الملك ليدلى.

«إنه أمر لم أكن أوده إطلاقًا, أن أقف محاربًا أبناء مملكتي, لكن أتريموس لن يتراجع الآن, وخروجه من مدينة (الشمس), وقدومه إلى مواجهة عسكرية مفتوحة, سيسهل علينا كثيرًا وطأة أن أرى مدينتي تعاني من أثار الحرب»

أنهى الملك ليدلي كلماته, ليتفكر قليلا قبل أن يعاود الحديث مع قادته, ويعطي الأوامر بأن يتحرك الجيش بأسرع قدر ممكن, لكن عليهم أن يتفادوا الإرهاق في مسيرتهم هذه.

***

16

قرية صغيرة تدعى (بيلورا)، ظل سكانها طيلة الفترة الماضية، تحت سيطرة الملاعين، لم يتسنى لهم الهرب، حين سقطت قلعة (آلانا) وجيش الملك ريفيرا، فعندما اجتاح الملاعين الغرب، أصبحوا كالعبيد، شاهدوا جيوش الملاعين وهي تنطلق في كل بقعة في أرضهم، سمعوا عن وحشيتهم التي فعلوها في كل موضع وطأته أقدامهم، كما فعلوا معهم حين حاول بعضهم المقاومة، ليرضخ الآخرون لذل العبودية، كانوا يتنصتون على جند الملاعين، لتصلهم أخبار تقدمهم في كل مكان في أرض الغرب، وحده ميناء (اللؤلؤة) بقي عصيًا عليهم، لتصلهم الأخبار بهزيمتهم هناك مرتين، وتصلهم الأخبار عن وصول ملوك القديسين لنصرتهم، فأخفوا فرحتهم، حتى يتجنبوا بطش الملاعين الذي لا يتوقف.

لم تتوقف الأخبار التي تأتي عند هذا الحد، بل أصبحت قريتهم هي بؤرة الأحداث، فجيوش الملاعين تتقدم لتعسكر قرابة قريتهم، مستعدين للمواجهة القادمة، أمام ملوك القديسين ومن معهم من أبناء الغرب، تلك المروج الواسعة القريبة منهم، أصبحت هي موقع المعركة الجديدة، ليلة كاملة شهدت الحشد العسكري لكلا الجيشين.

اصطف جيش الملاعين بقيادة أجريوس، جعل الغيلان والعمالقة في مقدمة الجيش في القلب، بينما القناطير، وقوات الفرسان من باقي الأجناس، على الميمنة والميسرة، يصاحب كل طرف منهم قوات المشاة، وأشرف على تدريع الجميع بشكل كامل، حتى يتفادوا مقذوفات جنود الإلف.

على الجانب الآخر، وصل جيش الغرب، بيدرو ورجاله من أبناء الغرب، رفقة جيش ملوك القديسين الثلاثة، احتشد الجيشان كلا منهما متأهب لمواجهة الآخر، خلت قرية (بلورا) من جنود الملاعين، الجميع توجه لساحة المعركة، ليخرج بعض من العامة ليشاهدوا ما سيحدث، بينما هرعت البقية للهروب من قريتهم، التي ظلوا حبيسيها طيلة الفترة الماضية، منذ أن اجتاح الملاعين أرض الغرب.

أصبح الجيشان مستعدين لبدء القتال، ليأخذ أجريوس زمام المبادرة، ويأمر قواته بأن تمطر خصومهم بوابل من السهام، ليسارع الرماة من الملاعين، وخاصة رماة العمالقة، بأقواسهم وسهامهم العملاقة، بإصدار أفواج متتالية من السهام تشق السماء، متجهة صوب جنود الإلف وأبناء الغرب، لتصدر صيحات متتالية من قادتهم بأن يحتموا، ليظهر الإتقان الشديد والتناغم بين قوات الإلف، ليشكلوا درعًا كبيرًا

حصينًا باستخدام دروعهم الشخصية، تحول تمركز القوات إلى ما يشبه الصدفة الحديدية، تراصت دروعهم للأمام، وأعلى رؤوسهم، وعلى جانبي القوات، ليصدوا هذا الوابل الأول من سهام الملاعين، فقط بعض سهام العمالقة اخترقت الدروع، لكنهم ظلوا متماسكين.

انتهت الموجة الأولى من الهجوم الخاص بالملاعين، عبر وابل متتالي من ضربات الرماة، ليعطي أجريوس الإشارة لقواته، بأن يبدؤوا الموجة الثانية من الهجوم، بأن يطلقوا وابلًا من المقذوفات المشتعلة من مقاليعهم، ليضربوا بها صفوف خصومهم، لتنطلق مقذوفاتهم في منتهى السرعة نحو خصومهم، لكن الجميع فوجئ بسرعة رد الفعل من جنود الإلف، من يمتازون بالرشاقة وخفة الحركة، ليتفادوا تلك المقذوفات بأن يتنحوا جانبًا عن مسارها، ليتفادوها رغم سقوط بعض الإصابات بينهم، لكن لم تكن متناسبة مع كم ما تلقوه من هجوم، ليأتي الرد بإشارة من الملك ترادوس، أن يردوا بمقذوفات من من مقاليعهم، لكنها كانت محملة بمواد حارقة.

تذكر بيدرو ما أخبره به الملك ترادوس. تلك المقذوفات سريعة الاشتعال. قد قام علماؤهم بتطويرها من مواد

كيميائية خاصة قاموا بإعدادها, عندما يتم نقع تلق المقذوفات في سائل خاص بها, وإطلاقها مع إشعالها بقوة الاحتكاك, وعند وصولها للنقطة المطلوبة, يتم انتشارها بسرعة كبيرة لحرق كل ما يحيط بها, كما أنه أخبره أنهم سيستخدمونها في المراحل الأولى من القتال فقط, عند المناوشات البعيدة, لأن استخدامها عند اشتباك الجيشين قد يودى بحياتهم هم أيضًا.

رأى بيدرو تلك المقذوفات وهى تنطلق مشتعلة في سماء المعركة, لتصل إلى جيش الملاعين وتنتشر نيرانها في البقاع المحيطة بها, ليركض الكثير من جند الملاعين مشتعلين بحالة من الذعر, ليصيح أجريوس بالتعليمات لرجاله, بأن يقتلوا كل مصاب, أو من يتراجع عن المعركة, ليظهر لهم أقصى درجات الحزم والقسوة في التعامل مع رجاله, ويعطي الإشارة لقوات الغيلان والعمالقة, بالتقدم سريعا نحو الأمام, لمهاجمة الأعداء, ليكونوا الفوج الأول للهجوم في المعركة.

انطلق فيلقا العمالقة والغيلان للأمام بمنتهى القوة, لتهتز الأرض تحت أقدامهم, وهم يشنون هجومهم, لتتقدم فرق سريعة من قوات الإلف للأمام, تحمل تلك المدافع الصغيرة

التي استخدمها براجوس ورجاله سابقا لمواجهة الملاعين, لكنهم الآن لديهم أعداد أكبر منها, ليبدؤوا بتصويبها مباشرة نحو أجسام العمالقة وغيلان الملاعين, توالت القذائف الحارقة المتتالية من جنود الإلف، وظن الملاعين أن دروعهم ستقيهم منها بشكل حتمي, لكن جنود الإلف كانوا فائقي البراعة, ليصوبوا بمنتهى الدقة على تلك الفجوات ما بين الدروع, ليحدثوا إصابات مباشرة في أجسادهم, قد تبدوا إصابة بسيطة لكنها كانت قاتلة, قادرة على أن تفقد أي منهم الطرف الذي أصيب فيه من منبته.

أنهى جنود الإلف هجمتهم بتلك القذائف, التي أحدثت خسائر عديدة في الصفوف الأمامية للملاعين, ليسقط قدر ليس بالقليل من العمالقة والغيلان, لكن هذا لم يردعهم عن التقدم, فهم يعلمون قانون الحرب وقرار القائد, أي فرد يتراجع للخلف سيكون مصيره الموت, ليصلوا إلى تلك النقطة الصفرية, التي إن استخدم فيها الإلف مقذوفاتهم, سيتعرضون هم أيضًا للإصابة, ليعيدوا تشكيل الصفوف سريعًا, قوات المشاة تشكلوا بسرعة في عدة صفوف جاهزين للقتال, ليشهروا رماحهم في وجه قوات الملاعين من العمالقة والغيلان.

حفز قادة العمالقة, باقي الجند بالتقدم للأمام, فهم يعلمون أن هذه السهام لن تعيقهم كثيرا, مشير لهم بأن يكتسحوا الخطوط الأمامية ليثيروا الفوضى بينهم, فهذه هي خطتهم منذ البداية, الغيلان والعمالقة سيكونون قوات الاقتحام, ليحدثوا الفوضى في جيش الإلف, ليتبعهم باقي الجيش فيما بعد, في إثر تلك الفوضى الأولى.

تذكر الجميع ما أخبرهم به بيدرو وهم يعدون للمعركة في خيمة القيادة, رفقة كافة القادة العسكريين, الملاعين دائما يبدؤون الهجوم عن طريق العمالقة والغيلان, يستخدمون قوتهم الجسدية وأطوالهم الفارعة ليكونوا فرق المقدمة في الحرب, وإن اشتبكنا معهم في حرب مفتوحة, سيسعون لأن يجعلونهم قوات الهجوم الأولى, لكي يحدثوا فوضى ما بين الصفوف.

تذكر الجميع تلك الكلمات, وما أعدوه لهم للتصدي لهذا الهجوم, ليصيح القادة بكافة جنودهم بأن يستعدوا, ليبقى الجميع في حالة تأهب, حتى أقترب منهم الملاعين لمسافة قريبة للغاية, لتأتي الإشارة من كافة القادة «الآن!», تراجع قوات الصفين الأولين بسرعة كبيرة, ليتقدم من خلفهم قوات أخرى, مشهرون أوتادًا عملاقة مدببة من الأمام,

ليثبتوها بزاوية مائلة، لتكون مجابهة لصدور الغيلان والعمالقة، لتخترقها مسقطة الفوج الأول منهم، ليتراجعوا للخلف محدثون إرباكًا في صفوف قوات الملاعين، ليأتي بعدهم فوجًا آخرًا من الجنود، مشهرون أوتادا أخرى، يحصدون بها أرواح الفوج الثاني من قوات الملاعين، بينما من ينجو من تلك المصيدة، يجد الجند متكتلين حولهم، يكيلون لهم الضربات بسيوفهم ورماحهم.

ليأتي بعدها موجة الهجوم الأولى من قوات الإلف، بفرقة انتحارية من الجنود، تقدموا بسرعة ليعتلوا أجساد الملاعين، من العمالقة والغيلان المصابين، ليهبطوا سريعا خلف صفوفهم الأولى، ويتحركوا بمنتهى السرعة محدثين الفوضى بينهم، ليتبعهم فرق انتحارية أخرى، لتتوالى تلك الهجمات، وكأنهم يسقطون عليهم من السماء، بينما باقي قوات المشاة، تقدمت بقوة وسرعة كبيرة، فإن كان للعمالقة والغيلان عنصري القوة والضخامة، فقد تميز الإلف بالسرعة والخفة في الحركة، أعملوا فيهم القتل بكل قوة وسرعة، ليرى أجريوس قواته الضاربة وهى تسقط أمام عينيه، ليعطي الإشارة لقوات المشاة من الأوراك وباقي الملاعين، بالتقدم للأمام لمساندة إخوانهم، فهذه هي معركة لمن يصمد أكثر الآن، لينطلقوا للأمام بكل قوة ساعين للانضمام

لرفقاهم.

***

تذكر الجميع ما حدث في خيمة القيادة, وهم يعدون خطة المعركة مرة أخرى, وبيدرو يشرح للجميع تصوره للمعركة.

: «في حال نجحنا في صد قواتهم الأولى, من الغيلان والعمالقة, سيكون الهجوم التالي بكامل قوات المشاة, أو ربما سيرسلون فرسانهم وبرفقتهم القناطير, وهؤلاء يجب ألا نستخف بهم, لذا يجب أن نسعى لتحجيمهم قبل أن يكونوا معهم, أو نقضي على كامل فيالق العمالقة والغيلان قبل وصولهم, يجب أن نبقى الكفة متعادلة»

- «هنا علينا أن نعيق تقدمهم, لنعطي الوقت الكافي لقواتنا, من أجل القضاء على العمالقة والغيلان»

كانت تلك كلمات الملك ترادوس, ليبدؤوا في التشاور حول هذا الجزء من الخطة.

***

مع تقدم قوات المشاة من الملاعين, تعالت الأبواق في صفوف جيش القديسين, لكنها أبواق مختلفة، لتكون تلك هي إشارة الهجوم التالي من المعركة, بعض السرايا

العسكرية من القوات, لم تنضم لصفوف الجيش في المعركة, كانت مهمتهم محددة, عندما يبدأ القتال سيتسللون عبر الأطراف, متخفين عن الأنظار, كانت سرايا من الفرسان, محملين بمدافع قاذفة بعيدة المدى.

حذر بيدرو, مسبقًا من تلك الخطة, خشية أن يرصدهم قوات الملاعين, وأن يقضوا عليهم, لكن الملك ترادوس طمأنه, فمدافع تلك المقذوفات ليست كبيرة الحجم, فالجند سيحملونها على الخيل, ليتقدوا بسرعة نحو مناطق الإطلاق, ليقوموا بتوجه ضربات سريعة, ويتراجعوا قبل أن يرصدهم أحد, كما أنه أكد ثقته في رجاله الذين تم تعينهم للقيام بتلك المهمة, ولم يكن جنود الإلف ليخذلوا ملوكهم, فقد تقدموا بمنتهى السرعة مع تعالى الأبواق الخاصة بإشارة هجومهم, فتركوا المواقع التي اختبأوا فيها, واقتربوا من منتصف المعركة, تلك المسافة الفاصلة بين الجيشين, ليبدؤوا بإطلاق مقذوفاتهم بمنتهى البراعة والسرعة, لم يكن مهمًا دقة التصويب, لكن المطلوب هو إحداث فوضى بين صفوف الملاعين, ليبدؤوا بإطلاق دفعات متتالية من مقذوفاتهم, ويبدأ معهم في نفس التوقيت, رماة الجيش في إطلاق العنان لسهامهم لتخترق السماء, متقدمة نحو قوات الملاعين, بينما قوات المشاة أعملت القتل بمنتهى السرعة

والقوة, في فيالق العمالقة والغيلان.

نجحت الخطة في شقها الأهم, إحداث الفوضى بين صفوف الملاعين, كما أسقطوا قتلى بين صفوفهم, بينما تواصلت ضربات الرماة, بموجات متتالية لا توقف من سهامهم, ليأمر قادة الملاعين جنودهم, بأن يحتموا بدروعهم وأن يتقدموا بحذر للأمام.

ظل أجريوس يراقب قواتهم وهي تتقدم ببطء, لكنه لم يعد أمامه أي وقت للانتظار, فقرر أن يهاجم بكافة الجيش, ليعطي الأمر بتقدم باقي قوات المشاة للأمام, ومعهم قوات الفرسان والقناطير, ليعطي الأمر لجزء من تلك القوات, أن تتقدم من الأطراف لمطاردة من يقومون بقصفهم.

تراجعت سرايا الفرسان التي قامت بإطلاق المقذوفات, على قوات الملاعين بسرعة, محاولين أن يستدرجوهم خلفهم, لكن الملاعين تقدموا لنقطة معينة, ليتأكدوا من خلو المنطقة, وتأمين الجيش من أي مقذوفات أخرى, ليتقدم جيش الملاعين بسرعة للاشتباك مع خصومهم, في هذا التوقيت كان الإلف قد أحدثوا ما أردوه, أسقطوا فيالق الغيلان والعمالقة عن بكرة أبيهم, وأعادوا تنظيم الصفوف من جديد ليستعدوا للمواجهة, ليعطيهم قادتهم الإشارة

بالتقدم للأمام, لينطلق الجيشان كلا منهم في مواجهة الأخر, لتبدأ المعركة الحقيقة, رجلًا لرجل, التحمت قوات المشاة من جنود الإلف, ومن معهم من أبناء الغرب, يواجهون مشاة الملاعين من الأوراك وملاعين البشر والأقزام, بينما انطلق الفرسان ليشتبكوا مع القناطير وفرسان الملاعين.

أظهر كلا الطرفين ما لديهم من قوة, وبراعة في القتال, الملاعين يمتازون بالكثرة العددية, بينما جنود الإلف وأبناء الغرب, امتلكوا القوة والدقة والقوة عنهم, مع قدرة أعلى في الذكاء والقتال, الجميع يظهر ما لديه من شجاعة, بينما أبناء قرية (بلورا), ظلوا يشاهدون ما يحدث, أعداد ليست بالكبيرة, عشرات الرجال دبت فيهم الحماسة, ليقرروا أن يشاركوا في المعركة, لم يكونوا يعلمون ماذا يفعلون, لكن أحدهم أشار عليهم بأن يتقدموا نحو مؤخرة جيش الملاعين حيث تركوا مقاليعهم, ليتوجهوا إليها بسرعة ركضًا على الأقدام, وهم يحملون جذوع الأشجار, ليبدؤوا في مهاجمة تلك القلة من جنود الملاعين, الذين حرسوا مؤخرة الجيش, ويشتبكوا معهم ويسقطونهم صرعى على الأرض, قبل أن يسرعوا لإضرام النيران في مؤن جيش الملاعين, ليقطعوا عنهم أي إمدادات, لم يكونوا وحدهم من يفعل هذا, فقد شاهدوا نحو مئتي رجل أخرين من أبناء القرية, قد عادوا

بعد أن أرسلوا زوجاتهم وأبناءهم لمناطق آمنة, ليشاهدوا أقرانهم وهم يقومون بحرق مؤن جيش الملاعين, ليذهبوا ويشاركوهم في الأمر, قبل أن يتفق الجميع على أن يحملوا ما يجدونه صالحًا من السلاح, وينطلقون ليهاجموا مؤخرة جيش الملاعين, لكن لهيب النيران قد نبه أجريوس وجيشه, أن مؤخرتهم قد هوجمت, ليعطي الأمر لبعض من سرايا الفرسان, بأن تتراجع للخلف لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

تراجع العامة من أبناء القرية بعيدًا, لكن الدعم سارع بالوصول إليهم, سريتان من فرسان الإلف, وأخريين من أبناء الغرب, التفت حول الجيشين سريعا لتحاول مساندتهم, والتصدي معهم لقناطير الملاعين, دارت رحى المعركة حامية الوطيس بمنتهى العنف, بيدرو ورجاله يبذلون كل ما لديهم, يقاتلون بكل طاقتهم, وملوك القديسين يخترقون الصفوف رفقة جنودهم وفرسانهم إلى الأمام.

رأى أجريوس جيشه وهو يسقط أمامه, فسرعة الإلف كانت فوق قدراتهم على القتال, الضربات لا تتوقف, القتلى لا ينتهون, حاول أن يشق الصفوف هو وجنوده, لكنه تلقى رمح من أجد الجند في مقدمة جسده, ليسقطه بجرح غائر, حاول حرسه الخاص أن يخرجوه من المعركة, وهم لا يبالون

بصياحه لهم بأن يتركوه, ليرى جند الملاعين قائدهم وهو يسقط مصابًا, لتزداد الفوضى بين صفوفهم, واستمر القتال حتى أعلنت الشمس مغيبها بهزيمة الملاعين, أمام ملوك القديسين وأبناء الغرب.

يوم طويل انتهى بهزيمة الملاعين, وسيطرة جيش القديسين وأبناء الغرب على قلعة (آلانا), ومنفذ الدخول والخروج نحو مملكة الغرب, فبعد أن ظهرت علامات النصر في المعركة, انطلقت قوات كبيرة من الجيش, تطارد الملاعين الفارين من أرض الميدان, ليسقطوهم ويتابعوهم حتى قلعة «آلانا) ليقتحموها ويحكموا سيطرتهم عليها, ليكون نصرًا جديدًا, يعلنون به أن تحرير مملكة الغرب أصبح وشيكا, فقط يتبقى أمامهم مدينة (النسور).

***

17

في مدينة (سوران)، استعد الجميع لمواجهة الحصار الذي سيفرض عليهم، الأخبار قد وصلتهم عن جيش الجليد، ومن معهم من جنود آل بنتلي، ومن أنضم إليهم من جيش الغرب.

حشد ستيوارت، كل ما لديه من قوة، نحو أربعين ألف مقاتل، وجمع كل النبلاء والأثرياء الموالين لهم، وأخبرهم أنهم أمام اختبار حقيقي، فعليهم الصمود أمام أبناء الجليد أولئك، من هبطوا عليهم كالصاعقة، علموا أن جيشهم قد اقترب من حدود العاصمة، ليبقى الجميع في حالة تأهب، ينتظرون الهجوم عليهم، لكنهم فوجئوا برسل قادمين إليهم يرفعون الرايات البيضاء، ثلاثة فرسان اقتربوا من أبواب القلعة، ليسمحوا لهم بالدخول، بعد أن تم تجريدهم من أسلحتهم وتفتيشهم ذاتيًا، ليساقوا مباشرة نحو ستيوارت، القائم بأعمال الحاكم الآن في المدينة.

تقدم الفرسان الثلاثة، وكانوا من جند ميناء (ريجلون)، ممن أعلنوا العصيان مبكرًا لأوامر كيجان، ورأوا أن خلاصهم يأتي على يد أبناء الجليد، تقدموا نحو الديوان الملكي، ليجدوا ستيوارت وحاشيته في انتظارهم، ليتقدم أوسطهم حاملًا رسالة إليه، ليوقفه أحد الجند ويأخذ منه الرسالة،

ليشير ستيوارت له ليعطيها لحاجب الديوان الملكي، ليفض الرسالة ويبدأ بقراءتها أمام الجميع:

«بسم شعب (زاندو) العظيم، وبسم ملوك (زاندو) الراحلين، بما لدينا من تخويل وتكليف من الملك شيرار الراحل، فإننا نحن ملكة الجليد إلينا، وريثة عرش آل ياشين، والأمير فيليب حاكم قلعة (بنتلي)، نعرض السلم على الجميع، سلموا من لديكم ممن خانوا ملوكهم المغدورين، يأمن أهلكم ورعيتكم وجندكم، وإلا فلا تأمنوا عقابنا»

بدت الرسالة مقتضبة وواضحة، مذيلة بختم الملكة إلينا، والأمير فيليب، وختم الاتحاد الذي يحمله الحكيم توساني، انتظر الرسل أن يحصلوا على رد، أو أن يتم صرفهم لحين التشاور، بين ستيوارت وأعوانه، لكن ما قام به ستيوارت، كان ضربًا من الجنون، وبعيدًا عن كل الأعراف، تقدم نحو الرسل ليقف أمامهم، ويستل سيفه في عجالة، وينحر عنق أقربهم إليه، ليأمر جنوده بأن يقتلوهم، ويعلقوا رؤوسهم على أسوار القلعة، ليكون هذا هو ردهم على تلك الرسالة.

تفاجأ الجميع من ردة فعل ستيوارت، لكنه أراد أن يصل لنقطة اللا عودة، فما قام به يحتم على الجميع المواجهة والصمود، في تلك المعركة والحصار أمام جيش الجليد.

حاول بعض مستشاريه أن يتحدثوا معه, ليعترضوا على ما قام به, لكنه بادرهم بالحديث:

«ألم تسمعوا رسالتهم, إنهم يريدون رؤوسنا, وينعتوننا بالخونة, إن هؤلاء لم يعلموا ما قمنا به, لقد كانت هذه الأرض على حافة النهاية, الملاعين لا يمكن إيقافهم, لقد اتخذنا الخيار الأكثر أمانًا لشعب (زاندو), والآن لن نضحى بأنفسنا من أجل هؤلاء المغترين القادمين من المجهول, لا بديل عن الحرب الآن, فليتخذ الجميع مواقعهم, فلن يستطيعوا اختراق أسوار مدينتنا, ما دمنا ملتزمين بخططنا الدفاعية, ومن يعترض على ذلك أقسم أن أقتله بنفسي»

بدا الحرس الخاص به, متحفزين للانقضاض على أي أحد, يبدي اعتراضه على قرارات الحاكم ستيوارت, لينصاع الجميع له, وينطلقون بسرعة للإشراف على الاستعدادات العسكرية لحماية المدينة.

***

لم يكن ينتظر الأمير فيليب ومن معه, أن يستسلم ستيوارت ورجاله, فمعرفتهم لطباع هؤلاء الخونة, وتمسكهم بالسلطة, ستمنعهم من التخلي عن مكاسبهم الشخصية, من أجل رعيتهم, لكن ما حدث كان خارجًا عن كل التوقعات,

فلقد أتاهم الرفض بأبشع صورة, عندما رأوا رؤوس رسلهم قد علقت على أسوار القلعة.

وحده الغضب هو ما سيطر على الجميع, لتدق طبول الحرب وتعلو أبواقها, ليصدر الأمر بالهجوم المباشر من الملكة إلينا, ومن الأمير فيليب, لتكون أصوات مهيبة مع صيحات جنود الجليد, لتدب الحماسة في قلوب الجميع, ويتحفزوا لبدء الهجوم على أسوار مدينة (سوران) بينما المدافعين خلف القلعة, انتشروا بسرعة أعلى الأسوار, ليستعدوا للتصدي للهجوم والحصار المفروض عليهم, ليبدأ الفوج الأول من مقاليع جيش الجليد, بالتوجه مباشرة نحو القلعة, ومهاجمة أبراج الحراسة الرئيسية بها.

بدت مقذوفات جيش الجليد أكبر حجمًا, وأكثر قوة, وأبعد في المدى, مما اعتاد عليه الجميع في (زاندو), ليستمع الأمير فيليب لشرح قادة الجيش له, بأن فصيل العمالقة, لديهم براعة كبيرة في ابتكار المعدات بكافة أنواعها, وقد استغلوا تلك البراعة, مع الكثير من العمل, في صنع مقاليع تمتاز بمدى وقوة دفع كبيرة, كما أن المقذوفات نفسها, قد تم تصنيعها من معادن صلبة وخفيفة الوزن, ولديها قوة تحطيم شديدة.

راقب الأمير فيليب تأثير مقذوفاتهم, فقد كانت شديدة القوة, تحطم الأسوار وتدكها بمنتهى العنف, بينما الجميع خلف الأسوار سارع للاحتماء منها, ليأتي الفوج الثاني من الهجوم, أبراج عملاقة يدفعها العمالقة وتجرها الدواب, تمتاز بارتفاع شاهق, محملة بالجنود من البشر والأقزام, ليتقدموا للأمام بمنتهى السرعة, فقد رأى جنود الجليد قد استبدلوا عجلاتها عما هو معتاد بجنازير, ليخبروه أن طبيعة الجليد لديهم, تجعل العجلات أكثر عرضة للتحطم, أما الجنازير العملاقة تساعدهم على سرعة التحرك, وإكساب أبراجهم صلابة, مع تدريعها الكامل بمعادن خفيفة لكنها صلبة, أمام الأسهم والمواد المشتعلة, ليتقدموا بمنتهى السرعة نحو الأسوار, بينما موجات الهجوم المتتالية من المقاليع لم تتوقف.

بدت سرعة جنود الجليد وتنظيمهم في القتال, واضحة للجميع, تبعهم باقي الجند في هجومهم المنظم على الأسوار, ليصلوا بسرعة إليها بأبراجهم العالية, ليهبط الفوج الأول من الجنود أعلاها, ويبدؤوا عملية اقتحام المدينة, ليشتبكوا سريعا مع جنود ستيوارت, المتمركزون أعلى الأسوار, ويشتد القتال بينهم, لم يكن صعود الأبراج صعبًا, بسبب تلك المصاعد الآلية التي صممها العمالقة, حيث يحمل الجند

من الأسفل إلى الأعلى عليها, بينما العمالقة يقومون بإدارة التروس بمنتهى السرعة لترفعهم, ويتوالى صعود الجنود ومهمتهم كانت محددة, اختراق الأسوار والسيطرة على أبوابها, لينجحوا بالفعل بأحكام سيطرتهم على أحد أبواب القلعة, من خلال هجومهم بسبب الأبراج العالية, مقسمين لبرجين على كل جانب, بينما العمالقة بمعداتهم العملاقة, سعوا لدك الأبواب ليجعلوها تتصدع أمامهم, ليأتي الدور على الفرسان, ليشهر الأمير فيليب سيفه, معتليًا جواده ومتقدمًا للأمام نحو أبواب القلعة, ليتبعه باقي الفرسان وقناطير الجليد.

انطلقت قوات الفرسان تتبع راية الأمير فيلب وإشارته, لينطلقوا بسرعة صوب الأبواب التي أحكم الجند سيطرتهم عليها, ويقتحمون أبواب القلعة ويشتبكون مع قوات ستيوارت, لتكون تعليمات القادة صريحة, لا تقربوا العامة, من يترك سلاحه ويستسلم لا تقتلوه, فقط من يشهر السلاح ويصر على القتال يتم مواجهته, ليتموا اجتياحهم لمدينة (سوران) ويقضون على ستيوارت) وأعوانه, ليسقطوا قتلى في ساحة المعركة, لتدق طبول النصر, وتعلو رايات ملوك (زاندو) الراحلين, وراية أهل الجليد, وآل بنتلي.

احتشد العامة في ساحة المدينة الرئيسية وشوارعها، بعدما انطلق المنادون في كل مكان، بأن يخرج الجميع آمنًا نحو الساحات العامة، ليقف الجميع في ترقب لما سيحل بهم، ليتقدم الحكيم توساني من أحد الشرفات المطلة على الساحة، ومن خلفه الملكة إلينا، والأمير فيليب، ليخاطب هو شعب الشرق:

«أبناء (زاندو) الأوفياء، أبناء الشرق المخلصين، أنا هو توساني، أمين سر مجلس الاتحاد، لملوك (زاندو) المغدور بهم، اليوم نحن نخطو نحو الحرية، نحو تحرير أرضنا من الملاعين، أعلم أن الكثير يتساءلون، ولِمَ اجتحنا الشرق إذًا؟، يا أبنائي، إن أول خطوات الحرية، تأتي بتطهير أرضنا من الدنس الذي حل بها، عبر هؤلاء الخونة الذين غدروا بملوكنا، اليوم بمساعدة إخواننا في الأرض، ممن رحوا عنها منذ زمن سحيق، حررنا الشرق من الخونة، لم يكن قدوم الملكة إلينا وأبناء الجليد عبثيًا، بل أتوا بمرسوم رسمي من الملك الراحل شيرار، قائد الاتحاد السابق وملك الوسط المغدور به، الجميع هنا آمن، تلك الجيوش سترحل، لتتوجه شمالا لدحر الملاعين نحو أرضهم مجددًا، ولسنا وحدنا من نقوم بذلك، الأمير ليدلي، وريث أرض الوسط، وملكها الشرعي، الآن يقود جيش جرار في الجنوب، وأعلم أن أخباره قد وصلت

إلى هنا, وقد حرر الجنوب من سطوة الخائن تيري وأعوانه, ويتوجه نحو أرض الوسط, وفى الغرب ملوك القديسين هبوا لمساعدتنا, ليحرروها من سطوة الملاعين, والجميع سيتجه شمالًا, أم تريدون أن تنتظروا قدوم الملاعين هنا؟»

تعالت صيحات العامة, بينما تعالت بعض الأصوات, متسائلة عن الغرباء من أبناء الجليد, وما مصيرهم بعد الحرب, لتتقدم الملكة إلينا محدثة الجميع:

«أبناء (زاندو), أو كما ندعوكم أبناء عمومتنا, فهذا ما ربانا عليه آباءنا وأجدادنا, نحن لم نأتِ إلى هنا, إلا بطلب ملكي من الملك شيرار, الملاعين هم عدو مشترك لنا جميعا, إن تركناهم يعيثون فسادًا في أرضكم, فسيأتي دورنا لاحقًا ليقتحموا أرضنا, لقد واجهناهم عديد المرات فيما سبق, ولم يتغلبوا علينا, لأننا كنا جميعًا على قلب رجل واحد, لُحمة واحدة, والآن علينا أن نوحد قوانا جميعًا هنا, فالملاعين أكثر قوة وتوحشًا, تلك الجيوش مجتمعة ستوقفهم, وستعيدهم إلى الجحيم الذي خرجوا إلينا منه, عليكم أن تتذكروا ما قام به أسلافكم وأسلافنا, لقد كانت (زاندو) عبارة عن قبائل متفرقة, عندما وحدتهم الظروف ليقفوا جميعا في وجه الملاعين, في حربهم العظمى التي يتفاخر

بها الجميع، والآن علينا أن نجتمع جميعًا كما فعل أسلافنا، في حرب عظمى جديدة، يخوضها جيلنا الحالي، أما عن سؤالكم ما هو مصيرنا بعد الحرب، فسنعود إلى أرضنا، وندعوكم لأن تقوموا بزيارتها، وتروا ما أنجزناه في أرض الجليد، فسنسعى لكي يكون بيننا وبينكم تواصل في كافة الأشكال»

تعالت الهتافات مرة أخرى من الجميع، لينصرفوا نحو بهو الحكم، وقاموا بترتيب الأمور في المدينة، بترك حامية قوية للإشراف عليها، بقيادة أحد مساعدي الأمير فيليب، ليتوجوا نحو الشمال حيث الوزير دوراتي، وجيشه المتمركز مستعدون لمواجهة الملاعين.

***

في قلعة (بلاجا)، توالت الأخبار السيئة على أبناء (السيد)، توجه أمان لاجتماع عاجل مع مجلس الحكماء السبعة، تلقى الأوامر بأن يستدعي كافة القوات نحو القلعة، ليتمركز الجيش بأكمله مستعدين للمواجهة القادمة، لكنه سعى ليغير رأيهم:

«حكماؤنا الأجلاء، إن تراجعنا لهنا، قد يعطيهم إيحاءً بأننا ضعفاء، لذا أرجو منكم أن تأذنوا لي، بأن أتوجه مباشرة

لمواجهتهم, فأنا قادر على دحر كل هؤلاء, فأبناء (السيد) قادرون على الانتصار, بكل تأكيد أنا أثق في ذلك»

- «أمان, نحن جميعا نثق في كفاءتك, لكن هذا أمر لا يقبل النقاش, لقد خسرنا الكثير من أبنائنا في أرض الغرب, كما خسرنا قائدا عظيم كأجريوس, عليك أن تحشد كامل قواتنا هنا, لنستعد لمواجهتهم بكامل قوتنا»

- «لكن يا سيدي, أن نواجههم مجتمعون, لن يكون في صالحنا, فيجب أن نقضي عليهم متفرقين, فهذا ما اعتمدناه من البداية, فرق تسد»

- «لا تقلق يا أمان, فنحن نعد لهم مفاجآت كبرى, كما أننا نخطط لأن نقضي عليهم جميعًا, ووقتها ستصبح (زاندو) قاطبة, في قبضتنا»

- «حسنا يا سيدي, هناك أمر أخير, هل ندعم أتريموس؟, فقد طلب العون»

- «لا حاجة لنا به بعد الآن, دعه يواجه مصيره, إن انتصر يكون قد ساعدنا في إيقاف جيش الجنوب, وقتها سنخبره بأننا لم نستطع مده بأي عون, لانشغالنا بمواجهة الآخرين, وإن هزم, فسنواجه ما تبقى من خصومه»

لم يكن أمام أمان، إلا أن يسلم بقرارات مجلس الحكماء، فتحرك بسرعة ليشرف على تجهيز الجيوش لمعركتهم الحاسمة.

18

انشغل الوزير كيني في عمله، مسيرًا للأعمال، والأمور الإدارية في مدينة (الشمس)، ألقى على كاهله مهمة كبيرة، خاصة عقب خروج أتريموس وكافة القادة للحرب، لم يقطعه عن مراجعة كافة الأوراق أمامه، إلا تلك الطرقات على الباب، ليأذن لحاجبه بالدخول، ليعلمه بتواجد السيد فيرديناند روز طالبًا مقابلته، ليخبره بأن يدخله على الفور، فقد كان للسيد فيرديناند من السطوة، ما يجعله قادرًا على مقابلة أي شخص وقتما شاء، وقدومه يعني أن هناك أمرًا جللًا، فهو كبير تجار أرض الوسط، ليدخل السيد فيرديناند محييا إياه، ليستقبله كيني بكل ود ومحبة، فلم ينسى كلاهما أنهما كانا صديقين منذ الطفولة، أحدهما سلك طريق السياسة، والآخر غاص في دروب المال.

- «مرحبا عزيزي فيرديناند، أنه لمن دواعي سروري أن تشرفني بهذه الزيارة الخاصة»

- «أهلا عزيزي كيني، لقد اشتقت إلى لقياك، اعلم أنك في مشاغل عديدة، فالأحوال متسارعة من حولنا في كل مكان»

- «نعم فيرديناند. لا نهنأ بالراحة ولو لقدر يسير حتى،

اعتقد أنك تعلم بما يحدث في كل الأرجاء»

- «هذا هو بيت القصيد يا عزيزي, فأنا هنا للحديث في هذا الشأن, أنت تعرف الآن أن طرق التجارة ليست آمنة, وأنا هنا بالنيابة عن مجلس التجار, لكي نعلم هل من إجراءات قد تطرأ في المستقبل القريب, لتعديل تلك الأوضاع؟»

- «الأمور ليست على ما يرام, الحرب تدب في كل الأرجاء, الجنوب به ثورة عارمة من قبائل الغجر, وبالغرب الملاعين يعيثون فسادًا هناك, وملوك القديسين يتصدون لهم, وفي الشرق أهل الجليد يقودون حرب شعواء على أهلها, هذا ما اعرفه, حتى آل بنتلي, انشقوا وأصبحوا مع جيوش الجليد تلك, أن الوضع مأساوي»

- «نعم أعلم كل ذلك, لكن آل بنتلي رغم كل هذا, تعاملوا مع قافلتنا التجارية بكل ود, ما زالوا يمتلكون قدرا من اللياقة في التعامل, ولكن يا عزيزي, عندما تحدثت عن الجنوب, ذكرت الغجر ولم تذكر الأمير ليدلي؟»

- «وما صلة الأمير ليدلي بالأمور هناك؟!»

- «أتريد أن تخبرني, أنك لا تعلم أن الأمير ليدلي, هو من يقود قبائل الغجر في الجنوب؟!»

تعجب الوزير كيني من حديث السيد فيرديناند, ليقع عليه هول الأمر, ويقوم من مقعده, ويتأكد من إغلاق كل النوافذ والأبواب جيدًا, خشية أن يسترق أحدهم السمع, قبل أن يعاود الاستفسار عما أخبره به فيرديناند, ليأتيه الجواب منه:

«حسب ما علمت يا صديقي, من رجالي العائدين من قلعة (آل بنتلي), أن من يقود قبائل الغجر في الجنوب هو الأمير ليدلي, سليل الملك الراحل شيرار, وإن ما يقوم به هناك مرتب له, مع ما يقوم به الأمير فيليب في الشرق, ولا تخبرني أنك لا تعلم بشأنه!»

- «أقسم لك أني لا أعلم كل ما تسرده يا عزيزي, فكل الرسائل الملكية, هي من اختصاص كلاوديو, هو من يتسلمها ويقرأها ويكتبها, ولا أحد يعلم محتوى ما فيها, سوى أن الغجر في الجنوب يقومون بثورة عارمة, ويريدون التوجه نحو مدينة الوسط, حتى قادة الجيش لا يعلمون بأمر وجود ليدلي, أنا بنفسي حضرت الاجتماع التجهيزي لخروج الجيش, ولم يذكر أيا من أتريموس أو كلاوديو هذا الأمر»

تمهل السيد فيرديناند في حديثه, ليتفكر قليلًا, مراقبًا ردة فعل كيني, والذي جلس متعجبًا وصامتًا قليلا, قبل أن يعاود هو الحديث:

«أتعرف معنى ما تقول فيرديناند؟, إن هذا يعني وجود أمل في أن نعود لما نستحق...»

بتر كيني كلماته سريعا, فيبدو أنه بالغ في سعادته بهذا الخبر, مبديًا تأييده لما يقوم به الأمير ليدلي, وقرب عودته ليحكم عرش الوسط.

- «لماذا حل الصمت عليك يا عزيزي؟, أما زلت على العهد لآل فيرجسون, وللملك الراحل شيرار؟, ملكنا الشرعي الوحيد الذي نعرفه»

بدت كلمات فيرديناند محفزة له, فيبدو أن رفيق الصبا هو الآخر, ما زال على العهد لآل فيرجسون.

- «أنت تعلم يا فيرديناند جيدًا, أنا لم أقم بما قمت به, إلا لتجنيب الجميع ويلات الحرب الأهلية, فقد أثرت السلامة للجميع, وأعلم أنى أقضي هنا منصبًا شرفيًا, حتى يحكم أتريموس قبضته على كل شيء, ويعرف كلاوديو كل صغيرة وكبيرة عن ديوان الحكم, وشؤون الوزارة, قبل أن يطيحوا بي, فأنا ما زالت أمامهم من العصر الماضي, لكن أرى أنى وفقت في أن نجنب الجميع ويلات ما حدث في الغرب والجنوب.

- «والآن يا عزيزي، وبعد أن علمت، ماذا سيكون قرارك؟، هل ستكون معي، لنقف في صف الأمير ليدلي، أو ستبقى على الحياد؟»

- «أنا دائما مع مصلحة هذه الأرض، ومع ما يطرأ من مستجدات، فأنا مع الوريث الشرعي لحكمها»

أبرم الاثنان اتفاقًا في التوجهات والولاء، ليطلب منه فيرديناند، أن يعقدا اجتماعًا لاحقًا، ليتحدثا فيه بالتفصيل عن الخطوات القادمة، وأفضل الأمور التي يمكنهم القيام بها، ليرتبوا موعدًا لاحقًا في بيت فيرديناند، وهذا سيكون أكثر أمانًا لكليهما.

***

تقدم جيش أتريموس نحو الجنوب، الأخبار قد وصلتهم بسقوط الجنوب، وتوجه جيش الغجر نحو مملكتهم، تواصل انضمام القوات لهم من كل حدب وصوب، فعمل قادة آل نيكلسين، على جلب كل ما يستطيعون من جند، ليحشدوا ما يزيد عن المائة ألف مقاتل، فقرر أتريموس أن يعقد اجتماع مباشر، مع كافة قادته من آل نيكلسين، ليستعدوا للمعركة.

- «والآن يا عزيزي، وبعد أن علمت، ماذا سيكون قرارك؟، هل ستكون معي، لنقف في صف الأمير ليدلي، أو ستبقى على الحياد؟»

- «أنا دائما مع مصلحة هذه الأرض، ومع ما يطرأ من مستجدات، فأنا مع الوريث الشرعي لحكمها»

أبرم الاثنان اتفاقًا في التوجهات والولاء، ليطلب منه فيرديناند، أن يعقدا اجتماعًا لاحقًا، ليتحدثا فيه بالتفصيل عن الخطوات القادمة، وأفضل الأمور التي يمكنهم القيام بها، ليرتبوا موعدًا لاحقًا في بيت فيرديناند، وهذا سيكون أكثر أمانًا لكليهما.

***

تقدم جيش أتريموس نحو الجنوب، الأخبار قد وصلتهم بسقوط الجنوب، وتوجه جيش الغجر نحو مملكتهم، تواصل انضمام القوات لهم من كل حدب وصوب، فعمل قادة آل نيكلسين، على جلب كل ما يستطيعون من جند، ليحشدوا ما يزيد عن المائة ألف مقاتل، فقرر أتريموس أن يعقد اجتماع مباشر، مع كافة قادته من آل نيكلسين، ليستعدوا للمعركة.

: «أيها السادة, أبناء العمومة وإخواني, إننا الآن نخوض حربًا من أجل وجود آل نيكلسين, من أجل الحفاظ على ملكنا, معركتنا هذه أكبر من أن تتخيلوها, بمواجهة قبائل غجر الجنوب»

- «عزيزنا أتريموس, لا تجعل هزيمة تيري وإخوانه المعاتيه أولئك, تدخل الشكوك بشأن قوتنا في هذه المرحلة»

- «عزيزي إريك لا تقلل من شأن تيري, فهو كان قائدًا لا يشق له غبار هذا أولًا, أما ثانيًا, فنحن لا نواجه الغجر فقط»

- «أخبرهم إذن يا آتريموس, إننا نواجه ليدلي, فهو من يقود أولئك الغجر»

نظر الجميع نحو أشلي أحد قادة آل نيكلسين, والذي انضم إليهم من أحد المدن الجنوبية رفقة جنوده.

- «نعم أيها السادة, فبحكم تواجدي بالقرب من الجنوب, تواردت لي الأخبار, إن أولئك الغجر يقودهم ليدلي, سليل شيرار, بعد أن حرروه من سجنه في (بوزان), ومعه جند من آل بنتلي, وأيضا انضم إليه جزء ليس بالقليل من جيش تيري»

نظر الجميع إلى أشلي, ومن بعده نحو أتريموس وكلاوديو,

ليتحدث كلاوديو هذه المرة:

« نعم يا إخوتي, إن ما يقوله أشلي صحيح, فليدلي هو ما يقف خلف كل ذلك, ويقود ذاك الجيش الآن, لقد سعينا جاهدين لنبقي هذا الأمر سرًا, ونشيع بين الناس أن الغجر هم من يقومون بكل ذلك»

- «وكيف لم تعلمونا بذلك الخطر؟!»

- «ها أنت ذا تقول خطر يا فرانك, فهل تريدنا أن نجعل الأمر يشيع بين العامة, ونقلبهم علينا بأن يقفوا في صف ليدلي, عليكم أن تبقوا الأمر سرًا حتى يحين وقت المعركة.

سمو الملك أتريموس, اسمح لي, فإننا الآن علينا أن نبلغ الجميع, ليستعد الجيش لما يواجهه, فجيشنا الآن هو من خيرة أبناء عمومتنا ورجالهم من الجند المخلصين, كلنا هنا على هدف واحد, إعلاء راية آل نيكلسين خفاقة»

استمع أتريموس لرأى كلاوديو, وبدأ الجميع في نقاش مطول, حول خطتهم الحربية المقبلة, بعضهم شعر بالضيق, لحقيقة إخفائهم من البداية أنهم يواجهون ليدلي, لكنهم اتفقوا على شيء واحد, الانتصار في المعركة لا غير, ليحكموا سيطرتهم على أرض الوسط, وكذلك الجنوب,

ليعدهم أتريموس أنهم إن انتصروا في المعركة, وجعلوه ملكًا متوجا على وسط (زاندو) وجنوبها, فسيجزل لهم العطايا, والأقاليم والمدن التي سيحكمونها, فبكل تأكيد الجنوب سيحتاج للمقربين للسيطرة عليه, ولا يوجد أفضل من أبناء العمومة من آل نيكلسين.

***

في قلعة (آلانا), استعد الجميع للتحرك, نصف الجيش ظل في القلعة لتأمين حدود مملكة الغرب, بينما باقي الجيش قرروا التوجه نحو مدينة (النسور) لتحريرها, ليستمع الجميع لما آتى به براجوس من أخبار.

: «أيها السادة, حسب التقارير الاستطلاعية التي قُمنا بها, فإن حجم القوات المتواجد بمدينة (النسور), لا يتجاوز العشرة آلاف مقاتل من جنود الملاعين, حتى أن قائد الحامية المتواجدة هناك, ليس من بين ضباط الصف الأول في جيش الملاعين, إنهم يحشدون كل سراياهم بالخارج, متمركزين بداخل القلعة, لكن الشق الأهم, أنهم يتخذون كافة العامة كرهائن هناك»

- «وماذا عن وضع القلعة وتحصيناتها براجوس؟»

- «لحسن حظنا, الملاعين لم يقوموا بترميم كافة الأسوار منذ أن اقتحموا المدينة, لذا فالأسوار الأمامية بها العديد من الثغرات, التي يمكننا اقتحام المدينة من خلالها, قد ينصبون فيها بعض الكمائن, وقد يتراجعون للخلف لتكون كحرب شوارع»

- «حسنا براجوس, عليك أن تشرح لنا كل ما رصده رجالك, حتى نضع الخطة المناسبة لتحرير مدينة (النسور)»

انصاع براجوس لكلمات الملك ترادوس, وبدأ بإخبارهم بكل صغيرة وكبيرة خاصة بالمدينة, وما رصده رجاله بشأن الأسوار الأمامية, وتعزيزات وتحركات الملاعين هناك, ليبدأ الجميع في التشاور من أجل وضع الخطة المناسبة لتحرير المدينة وإحكام قبضتهم على الغرب.

***

مع إحكام الليل لقبضته, ذهب الوزير كيني وأسرته, إلى بيت السيد فيرديناند, ليحل في ضيافته على مأدبة عشاء, رحب به فيرديناند, ليتناولا طعامهما معًا رفقة العائلتين, قبل أن ينعزلا عنهم في اجتماع خاص بهما, في حجرة فيرديناند الخاصة, ليتلهف كيني في تساؤل:

«أخبرني يا فيرديناند, ماذا يحدث؟, أريد أن أعرف كل صغيرة وكبيرة, فيبدو أني دائما آخر من يعلم عن أي أمر يحدث في أرض (زاندو)»

ابتسم له فيرديناند ضاحكًا, ليقص عليه كل ما يعرفه, وكل ما حدث منذ لقائه بالأمير فيليب, حين زيارته للمملكة لحضور زفاف أتريموس على الأميرة كاترينا, وما أخبره به عن تواجد الحكيم توساني عنده, ونيتهم في الثأر لملوك (زاندو) وكيف بقوا على تواصل خفي, عبر الرسائل التي تبادلوها عبر القوافل التجارية, فقد كان إريك ابن فيرديناند, هو الوسيط بينهم, ليخربهم عما حدث هناك, وكيف قاد الأمير ليدلي الغجر, في معركتهم لتحرير الجنوب, وكيف استعان الحكيم توساني بملوك الجليد, عبر خطاب ملكي من الملك شيرار.

لم يتفوه كيني بأي حرف, بل ظل منصتًا بكل حواسه لحديث فيرديناند, الأخبار توالت عليه واحدة تلو الأخرى, ليجد نفسه في وسط حقائق كثيرة كان يجهلها, تدور من حوله في كل بقاع (زاندو), رغم كونه أقرب لسدة الحكم من غيره, وأعلم الناس بكافة المستجدات التي تحدث من حوله.

: «إن قدرتي على الاستيعاب, لا تتحمل كل هذا الزخم

فيرديناند، كنت أحسب أن ملوك القديسين هم أملنا الوحيد، وكانت صلواتي دائمًا من أجلهم، حتى ينجحوا في مجابهة كل تلك المخاطر من الملاعين، والغجر، وأهل الجليد أولئك، وأيضًا أتريموس وشركائه، إن كان لدي بادرة، فالآن أنت تدفعني إلى الأمام دفعًا، لكي نعود إلى (زاندو) التي عهدناها»

- «بكل الأحوال يا صديقي، لن تعود (زاندو) لما كانت عليه، لكننا الآن يمكننا أن نكون على الطريق الصحيح، حتى نصحح أوضاع أرضنا من جديد، ونستعد لعهد جديد، عندما تضع الحرب أوزارها»

- «أصبت يا عزيزي، لن تعود (زاندو) كما كانت أبدًا، لكن ماذا يمكننا أن نفعل الآن، وكيف ندعم الأمير ليدلي في هذه الحرب؟»

- «الحرب المقبلة اعتقد أننا لا يمكننا أن نفعل شيء بها، فقد فات الأوان، أما عن كيفية دعمه، فيمكننا أن نفعل ذلك من هنا، بأن نحكم سيطرتنا على مدينة (الشمس)»

تساءل كيني عما يقصده فيرديناند، ليجيبه الأخير بأنهم عليهم أن يحكموا قبضتهم على مدينة (الشمس) كافة، مداخلها ومخارجها، منع الإمدادات التي تصل إلى أتريموس

ورجاله, ووضع كل خائن ومتعاون معه تحت قبضتهم.

- «لكن كيف يمكننا أن نفعل ذلك يا فيرديناند؟, إن كافة رجال الأمن المتواجدون في المدينة, هم من أبناء آل نيكلسين, لقد سعى لتأمين نفسه جيدًا»

- «لا تقلق يا عزيزي, كل ما أريده منك, أن تمدنا بعددهم وعتادهم, ومواعيد المناوبات قدر المستطاع, أي معلومة يمكنك جلبها»

- «وماذا بعد ذلك يا فيرديناند؟»

- «لسنا وحدنا من نضيق ذرعًا بأتريموس يا عزيزي, إن كم الضرائب التي فرضت في الفترة الماضية, لإرضاء آل نيكلسين, تفوق الحدود, كل نبيل وتاجر يضيق ذرعًا بالأمر, ولكوني كبير التجار هنا فأنا أعلم بالجميع, ما زال هناك الكثير من الأوفياء لآل فيرجسون, وجميعهم مستعدون بالتضحية بأي شيء حتى يزيلوا أتريموس وآل نيكلسين من مواقعهم, كل ما عليك فقط, أن تخبرني بما طلبت, أما الخطوات التالية فاتركها لي»

***

19

الأخبار كلها تأتي بتحرك الجيشين, سرايا الاستطلاع في كلا الجانبين, تتقصى أخبار خصومهم, ليدلي يقود غجر الجنوب, ومساجين (بوزان), ومن انضم معه من جيش الجنوب, وأبناء آل بنتلي, ممثلين في الأمير لويس وجنده, مستعدون لملاقاة جيش الوسط, أرض أجداده المسلوبة منهم, أتريموس, وأبناء عمومته من آل نيكلسين يتقدمون نحو الجنوب للذود عن ملكهم الجديد

أصبح كلا الجيشين, على بعد ليلة واحدة من اللقاء, الجميع يتقدم للأمام, طلائع الجيشين أصبحت ترى بعضهما البعض, كلا منهما يتخذ مواقعه القتالية, كليهما يصطف من أجل المواجهة, ليعلن الصباح عن موقعة جديدة، معركة أخرى يقودها ليدلي ورجاله, في سبيل تحرير (زاندو), ليبنوا سويًا عالمًا جديدًا على أرض (زاندو) دون خونة أو ملاعين, ليقف بين جنوده مخاطبًا لهم ومحفزًا:

«أبناء (زاندو) الأوفياء، الرفاق من (بوزان), أبناء القبائل البواسل, مقاتلو الجنوب الأشداء, فرسان بنتلي الشجعان, اليوم نخوض معركة جديدة, نسطر فصل آخر في قصتنا, التي ستروى في التاريخ, من أجل تحرير (زاندو) من كل

دنس، حررنا أنفسنا في (بوزان)، حررنا الجنوب من سطوة الخائن تيري وأعوانه، بل أصبح معنا، إخواننا الأوفياء من أبناء الجنوب، حتى يقاتلوا من أجل (زاندو)، الآن نخوض معركة أخرى، من أجل تحرير أرض الوسط، أرض الأجداد والآباء التي ترعرعت بها، وتعلمت بها أن الولاء للأرض، والوطن فوق كل شيء، تعلمتُ أن الخيانة لا مكان لها بيننا، لكن الخونة أمامنا الآن، من دمروا هذه الأرض، وتعلمت أن الخائن لا يستحق إلا الموت، خاصةً إن كان خائن لأرضه وأهله، فاليوم سنطهر أرضنا ممن تبقى فيها من خونة»

تعالت صيحات الرجال متحفزين لخوض القتال، يزأرون كالوحوش في مواجهة خصومهم، ليبثوا الرعب في أنفسهم، فصيحات أبناء القبائل لا يوجد لها مثيل في (زاندو) قاطبة، ليلهبوا حماسة رفقاهم في الجيش، وتشق أصواتهم عنان السماء، لتقع على مسامع أتريموس ورجاله، كترانيم الموت في مراسم جنائزية، سيكونون هم أمواتها.

التفت ليدلي إلى جيش أتريموس، ليخاطبهم بكلمات أخيرة بصوت جهوري، قبل أن يعمل السيف فيهم:

«أنا هو ليدلي، وريث الملك شيرار، سليل آل فيرجسون، حماة الوسط، وقلب (زاندو) النابض، هنا اليوم أقف أمامكم،

ومعي أبناء (زاندو) الأوفياء، من يؤمنون بأن هذه الأرض لأصحابها، ومن يسعوا من أجل إعادة (زاندو) لأبنائها المخلصين، وتحريرها من كل خائن، ومدنس، ومن بعدهم من الملاعين، من كان منكم ما زال على العهد، ويحمل في قلبه ولو ذرة وفاء للملك شيرار، وآل فيرجسون العظام، فلينضم لنا وسنصفح عنه، أما من أغرته الدنيا، وقرر القتال من أجل حفنة من الخونة، فلا سبيل له لدينا إلا السيف»

مرة أخرى تعالت صيحات أبناء القبائل، وجيش ليدلي من خلفه، ليخرج أتريموس من بين صفوف جيشه، ليتقدمهم ويخطب فيهم، محمسًا إياهم قبل المعركة:

«إخواني، وأبناء العمومة الأوفياء من آل نيكلسين، رجال الوسط الأشداء، يا من تدينون بالوفاء والولاء نحو عهدنا الجديد، الذي بدأناه سويًا من أجل (زاندو) لم نشهدها من قبل، لنعلن سويًا تحررنا من عباءة الماضي، اليوم هو يوم الفصل، من يدعي أنه وريث لأرض الوسط، قد دنس أرضنا بشرذمة من الغجر، أحدثوا الفوضى في أرض الجنوب، وأطاحوا بملكها عزيزنا تيري، والآن يجرؤون على أسياد (زاندو)، أهل الوسط، اليوم سنعيدهم مدحورين من حيث أتوا، اليوم أعدكم النصر، وغدًا أعدكم أن تحكموا أرض

الجنوب, قاتلوا من أجل ملككم, ومن أجل أرضكم ,فها نحن نبني سويًا (زاندو) جديدة تنتمي جميعها لنا»

تعالت الصيحات من خلف أتريموس, من أبناء آل نيكلسين, ومن خلفهم جندهم, ممكن يطمحون في أجل السلطة والمال التي وعدهم بها, ليكون خيار الحرب لا رجعة فيه بين الطرفين.

طلب أندرو الإذن من الملك ليدلي, ليشير له, فتقدم أندرو للأمام في الساحة بين الجيشين, طالبًا النزال, ومعرفاً عن نفسه:

:أنا هو أندرو, خادم الملك الراحل شيرار, وملكنا الحالي ليدلي, أحد فرسان الفيلق التاسع عشر, والحرس الملكي, أفضل سيافي الوسط, فهل من مبارز قادر على منازلتي؟»

طلب أندرو النزال, ليتقدم إليه أحد فرسان جيش أتريموس, بعد أمره بالتقدم لمواجهته, تقدما نحو بعضهما البعض, ليسارع أندرو من خطواته, ليجاريه خصمه في نفس السرعة, قبل أن يركض أندرو سريعًا نحو خصمه, الذي انطلق في اتجاهه, انقض عليه أندرو بسرعة, ليقفز في الهواء عاليًا, محتميًا خلف درعه بيده اليسرى ليخفي حركته عنه, بينما خصمه باغته بضربة من سيفه على درعه,

ليلتف أندرو حوله سريعًا، موجهًا إليه ضربة قاتلة من سيفه في رأسه، ليسقطه صريعًا على الفور، ليزأر أندرو عاليًا طالبًا المزيد من المتحدين.

تعالت الصيحات في جيش ليدلي، بينما حل الصمت على جيش أتريموس، ليقف أندرو متباهيًا، طالبًا المزيد من المنافسين له، فهو يسعى لإرهاب خصومه قبل بداية المعركة الحقيقية، ليعطي أتريموس لأمر، لاثنين آخرين من الفرسان، ليتقدما معًا تجاهه.

ألقى أندرو درعه أرضًا، ليستل سيفه الآخر، ويمسك بالسيفين في كلتي يديه، مشيرًا لخصومه بأن يتقدما تجاهه، ليتراقص برشاقة في مكانه مشيرًا إليهما، لينطلق الاثنان بمنتهى السرعة تجاهه بينما هو ينتظر، حتى اقتربا منه بالقدر الكافي، لينطلق مسرعًا باتجاههم، قبل أن ينزلق أرضًا بينهم، ليضربهما بسيفيه، لينجح في بتر قدم أحدهما، بينما الآخر تفادى ضربته بسرعة، لكنه تعثر ساقطًا أرضًا، لينهض أندرو سريعا، ويغرز سيفه في رقبة من بترت قدمه، لينهى حياته، بينما يستعد لملاقاة خصمه الآخر، الذي خشي مواجهته، فوقف مترددًا، قبل أن ينقض عليه أندرو، وهذه المرة يكيل إليه الضربات بكلي سيفيه، بينما الآخر اكتفي

بصد هجماته السريعة بدرعه حتى سقط منه, ليباغته أندرو بضربة مزدوجة من سيفيه, ليطيح برأسه بعيدا عن جسده, لتتعالى صيحته مجددا طالبًا المزيد, لينطلق إليه مباشرةً خمسة فرسان فوق جيادهم, ليقف أندرو متأهبًا لمواجهتهم, في وضعية دفاعية.

احتمى أندرو بدرعه الذي استعاده, شاهرًا أحد سيفيه, ليقتربوا منه قبل أن يسقط اثنان منهما أرضًا, بسهمين قد إسقاطهما من فوق جيادهما, فألقى بنظرة سريعة خلفه, ليجد رفيقيه أشوري و أنتيكوس, قد انطلاقا نحوه, ويصحبان جواده معهما, لينطلقا مسرعين نحو الفرسان الآخرين, بينما هو أعتلى جواده سريعا, ليشتبك ثلاثتهم مع فرسان أتريموس, ليسقطوهم سريعا, قبل أن يشير آشوري و أنتيكوس له بالعودة, مخبرين إياه أن الملك ليدلي طلب ذلك, ليعودوا سريعًا نحو مواقعهم القتالية, قبل أن يعطي ليدلي الإشارة لقوات الرماة, بأن تتقدم وتبدأ بتوجيه ضربتها الأولى نحو جيش أتريموس, والذين احتموا من تلك الهجمة, قبل أن يردوا عليهم بجولة أولى من رماة سهامهم.

تبادل الطرفان وابل السهام لجولات بسيطة, قبل أن يشير الملك ليدلي لقوات المشاة بأن تتقدم, ليقودهم أندرو,

وأشوري, و أنتيكوس, ليعطي أتريموس الإشارة لقوات مشاته, لتتقدم هي الأخرى لمواجهتهم.

تقدمت قوات المشاة من كلا الجانبين, بمنتهى التناغم العسكري, حتى التحمت القوتان بعضهما مع بعض, طالب أندرو قواته بالثبات, أن يبقوا صفًا واحدًا غير قابل للاختراق, كما فعلوا في (بوزان), تصدوا لهجمات خصومهم بمنتهى الثبات, لينتظروا الإشارة من قائدهم ليبادلوهم الهجمات.

انتظر أنتيكوس إشارة أندرو له, ليتقدم هو وفرقته الانتحارية من جديد, لكنهم هذه المرة كانوا أكثر عددًا وثقةً بأنفسهم, ليصنع لهم رفقاهم ممرًا من دروعهم, لينطلقوا سريعا عليه قبل أن يقفزوا بين قوات أتريموس, ليحدثوا فوضى كبيرة بين صفوفهم الأمامية بتلك الهجمات, ليعطي أندرو الإشارة لقواته, بأن تتقدم للأمام, ليستغل رجال المشاة تلك الثغرة في صفوف خصومهم, ليتقدموا للأمام متجاوزين الصفوف الأمامية لجيش العدو, قبل أن يعيد جيش أتريموس ترتيب صفوفه, ليعطي أندرو الإشارة للفوج الثاني, من الفرقة الانتحارية, والذي قاده هذه المرة أشوري, ليتقدموا قافزين للأعلى مرة أخرى, ليحدثوا فوضى بين

صفوف جيش أتريموس، والذي رأى بعينيه قوات المشاة الخاصة بجيشه تتراجع للخلف.

صرخ أتريموس في قواته بأن يصمدوا. ويتقدموا للأمام. ليقترح عليه بعض قادته أن يعززهم بقوات إضافية.

- «إنهم لم يدفعوا بأي تعزيزات بعد, فلن أفقد قواتي لتعزيز المشاة, عليهم أن يصمدوا حتى يبدأ تقدمهم»

- «لكن يا سيدي، إن استمر تقدمهم هكذا، سنخسر قوات المشاة كاملة»

تمسك أتريموس بقراره، فلن يدعمهم بأي قوات، حتى تتقدم قوات ليدلي للأمام, فلا يريد أن يكشف تنظيم جيشه, لكن استمر تراجع قوات المشاة الخاصة بهم, وازداد الضغط عليه من قادة جيشه، ليسمح بتقدم بعض قوات الفرسان للأمام لمساعدتهم, لتتقدم عدد من سرايا الفرسان سريعًا لدعم قوات المشاة, لتأتي التعليمات من أندرو لقواته, بأن يعيدوا تنظيم أنفسهم في وضع دفاعي، وأن لا يخسروا مواقعهم, فيما أعاد مشاة جيش آتريموس تنظيمهم أيضًا, مستغلون ما أنضم إليهم من قوات الفرسان, ليشتبك كلا الطرفين من جديد.

وحدها الصلابة والثبات هو ما أراده أندرو من قواته, ليتمسكوا بمواقعهم محاولين صد كل هجمات خصومهم, لم تستطع قوات الفرسان أن تتقدم كثيرًا, لكنهم ساعدوا قوات المشاة على التماسك, وإعادة ترتيب الصفوف من جديد.

ظل ليدلي يتابع قواته, وهى تثبت جدارتها في المعركة, الجميع يقدم كل ما لديه, من أجل قضيتهم وإيمانهم بتحرير (زاندو), ليقرر أن يطور من قدرات رجاله العسكرية في ساحة المعركة, ليعطي الأمر بأن تتقدم بعض سرايا الفرسان, ليدعموا قوات المشاة, فهو يريد أن يدفع أتريموس بأكبر قدر ممكن من قواته في ساحة المعركة.

انطلق ديجو يقود سرايا الفرسان, ليعززوا ميمنة وميسرة المشاة, لتتحرك سرايا فرسان جيش أتريموس لمواجهتهم ويتركون قوات المشاة, لتشتبك قوات الفرسان مع بعضها البعض, ويعاود مشاة جيش ليدلي, اشتباكهم من جديد مع خصومهم.

ظل أتريموس يتابع المعركة أمامه, كقائد سابق لجيش الوسط, وأحد أبرز قادة (زاندو) العسكريين, سعى لتحليل الأمر سريعا, ليدلي لا يدفع بقواته كاملة, هو يحرك بيادقه الحربية كرد فعل, لا يأخذ هو الفعل الأول للمعركة, ينتظر

تحركات أتريموس ودفعه برجاله، ليرد عليه بالمثل، فإن ظل دون الدفع بقواته فلن يدفع ليدلي بأحد، إلا إن تراجعت قواته للخلف، وهم للآن صامدون، بل أن أبناء القبائل يقاتلون بجسارة منقطعة النظير حتى الآن، وإن ظل يدفع بقواته جزءًا بجزء، فهذا سيُفقِد جيشه التنظيم العسكري الذى لديه

ظل يراقب الوضع، الفرسان في موقف متعادل، المشاة متقهقرون وعليه دعمهم، بينما قادة جيشه يضغطون عليه ليعزز قواته، ليعطي الإذن لقواته، بأن تتقدم للأمام بكامل الجيش، فلا بديل عن المواجهة حتى يحسم المعركة، لتتعالى الأبواق وتنطلق قوات الفرسان بكامل صفوفها، ومن خلفهم قوات الميمنة والميسرة للجيش، ليهاجموا جيش ليدلي بشكل كامل.

بدا الترقب على ليدلي ورجاله، ليعطي الإشارة لقواته بالتقدم بشكل كامل، لتتعالى الأبواق وتدق الطبول، بتقدم الجيش بكامل تنظيمه العسكري، لينطلق الجنود من كلا الطرفين لهذه المواجهة الحاسمة، ليحدث ليدلي نفسه: «الآن ستبدأ الحفلة الحقيقية يا أتريموس»

تعالى بوق آخر، مختلف عن باقي أبواق الجيش، لكنه

مميز لجيش ليدلي, لتهتز الأرض من أسفل الجميع, وتعالت صيحات جيش ليدلي, وواصلوا تقدمهم للأمام, بينما جنود أتريموس, ارتبكوا عندما شاهدوا الوحوش التى سمعوا عنها, تنضم إلى ساحة المعركة.

انطلق أبناء قبائل النوماكي, بقيادة الزعيم بيرشا, يقودون وحوشهم العملاقة من جانبي ساحة المعركة, بعد أن وضعت الخطة سابقًا, بأن يأخذوا مواقع بعيدة عن الجيش, ليظلوا مراقبين للوضع, وعندما يدفع أتريموس جيشه كاملًا لساحة المعركة, ويشتبك الجيشان, يتقدمون بكامل قواتهم المتوارية عن الأنظار من جانبي الميدان, ليحيطوا بجيش أتريموس.

لم يكن أحد في جيش أتريموس, يتوقع أن تكون الوحوش العملاقة التى سمعوا عنها بهذا الحجم, ليراقبوهم في دهشة كبيرة, وعلى رأسهم أتريموس نفسه, الذي حدث نفسه: «الآن دفع ليدلي بكامل بيادقه, لكني أعد له مفاجأة كبرى»

أعطى أتريموس الإشارة لقواته المتبقية, ليدفعوا بعدد من المجانيق العملاقة, المجهزة خصيصا لمواجهة تلك الوحوش, ليقوموا بالتصويب مباشرة عليهم بأوتاد عملاقة, محاولين إسقاطها, لكن عدد ما جهزوه من مجانيق, لم يكن كافيًا

لمهاجمة هذا الكم من وحوش الماموث, ليبدؤوا التصويب على أقربها إليهم, لينتبه الزعيم بيرشا لما أعدوه, ليعطي الأمر لعدد من قواته, بأن يتقدموا بوحوشهم, نحو مركز قيادة جيش أتريموس, قاصدين تدمير المجانيق التي أعدها لهم خصومهم.

راقب ليدلي الموقف في ساحة المعركة, ليرى رجاله وهم يشتبكون بكل ما أوتوا من قوة, في مواجهة جيش أتريموس, رآهم يتقدمون لحسم المعركة ليقرر الانضمام إليهم, ليشير لقوات الرماة بأن تظل متمركزة في الخلف, لتأمين مؤخرة الجيش, ومعهم بعض سرايا الفرسان, لينطلق هو للأمام ومن معه من قادة القبائل, وقواتهم الخاصة نحو ساحة المعركة, شاهد الجميع ليدلي وهو يتقدم, لتزداد الحماسة في قلوب رجاله, فقائدهم لا يقف مشاهدًا, بل يتقدم بكل جسارة في قلب المعركة, يشتبك مع قوات جيش أتريموس, لتنطلق خلفه للأمام, وهو يحمسهم طالبًا منهم التقدم لأمام.

شاهد أتريموس ما يحدث في ساحة المعركة, وحوش الماموث تتقدم نحو منطقة القيادة, لتضرب ما أعدوه من مجانيق لاصطيادهم به, ليأمر قوات الرماة بأن تستهدفهم

بسرعة، ويدعمهم بعض من قوات الحرس الملكي لديه.

اشتدت المواجهات في ساحة المعركة، رجال ليدلي يقاتلون بكل شراسة، يتقدمون للأمام بكل قوة، المشاة ما زالوا يتقدمون على أقرانهم، الفرسان يقاتلون بكل قوة، فبعيدًا عن قدرتهم القتالية العالية، إلا أنهم امتازوا بشجاعة وشراسة منقطعة النظير، بينما قبائل النوماكي ووحوشهم، أحدثوا فوضى عارمة في تنظيم جيش أتريموس، ليتراجعوا للخلف خطوة تلو الأخرى، ليعطي ليدلي الأوامر لمن يتبعه من رجال، بأن يتقدموا مباشرة نحو مركز قيادة جيش أتريموس، ويساندوا من يهاجمونهم من أبناء النوماكي، وهو يقودهم مباشرة، بينما رجال المشاة يركزون هجومهم على قلب قوات مشاة خصومهم، فتعليمات أندرو واضحة، علينا أن نفصل قوات المشاة بعضها عن بعض، لينجحوا في ذلك بالفعل، فبدلًا من اختراقهم للعمق، وأن يكونوا محاصرين بينهم، نجحوا في أن يفرقونهم لمجموعتين، بينما استمر ديجو ومن معه من سرايا الفرسان، في مساندة قوات المشاة، ليصنعوا فجوة كبيرة في صفوفهم، ويفتحون ممرًا مباشرًا نحو مركز قيادة جيش أتريموس، لينطلق منه الملك ليدلي، ومن خلفه قادة قبائل الجنوب، وقواتهم المرافقة لهم، نحو أتريموس نفسه، والذي دفع بمن تبقى معه من الحرس

الملكي بأن يتصدوا لهم، ليتراجع هو وأعوانه للخلف، يشاهد ما يحدث في أرض المعركة، وعندما رأى قواته محاصرة من كل اتجاه، الفرسان قد تم اجتياحهم بوحوش الماموث وفرسان جيش ليدلي، ومشاته قد تم تطويقهم، بينما مركز قيادة جيشه يتم مهاجمته الآن، أيقن أن الهزيمة قادمة لا محالة، فقوات ليدلي تفوقهم عددًا وقوة، كما أن بسالة أبناء القبائل، لم يكن يتوقع أن تكون بتلك القوة.

استعد أتريموس للتقدم بنفسه، ليشارك في المعركة، فلا سبيل للتراجع الآن، لولا أن أوقفه كلاوديو عن هذا، طالبًا منه التراجع.

«عن أن أي تراجع تتحدث يا كلاوديو، إن جيشنا يباد أمام أعيننا، أتريد أن يذكرني الجميع كمهزوم؟!»

- «إن الهزيمة قادمة لا محالة، إن تقدمت الآن ستفقد حياتك، ونفقد بذلك كل ما قد بنيناه، أنت هو الأهم الآن كقائد لآل نيكلسين، وملكًا للوسط، بينما إن تراجعنا ومن معنا من قوات، وأعلنا الانسحاب نحو مدينة (الشمس)، سيمكننا أن نعيد تنظيم أنفسنا من جديد»

تصارع الاثنان كثيرًا، حتى اقترب منهم رجال ليدلي، ليرضخ أتريموس لفكرة كلاوديو، أو لنكن أكثر دقة، فقد

تمسك بشهوة الملك, وأن يُبقي حياته على أن يقاتل للنهاية, حتى وإن علم أنه سيفقد حياته في هذه المعركة, لتتعالى أبواق الانسحاب لجيشه من المعركة, بينما قوات الرماة سعت لتأمن لهم ذلك, باعتراضهم لقوات ليدلي التى تنطلق نحوهم بكل قوة.

مع تعالى الأبواق وإعلان الانسحاب في جيش أتريموس, زادت الفوضى في صفوف الجيش, رجال الفرسان هربوا بسرعة من أرض المعركة خلف ملكهم, بينما قوات المشاة فقدت أي مساعدة تأتي إليهم, الجميع يتراجع نحو الخلف, فأحكم رجال ليدلي قبضتهم عليهم, خيروهم بين الاستسلام أو الموت, ليلقي الكثير منهم أسلحتهم مستسلمين, لينطلق بعض من سرايا فرسان جيش ليدلي, يطاردون المنسحبين, لتأتي أوامر ليدلي سريعة, بأن تتبعوهم فقط, لتروا أين سيختبئون, لكن لا توقعوا بأنفسكم في أي شرك, لتتعالى صيحات الرجال بانتصار جديد يحققونه في زحفهم المقدس من أجل تحرير (زاندو).

***

انتهى الأمر في ساحة المعركة, جنود ليدلي يحصون عدد الأسرى والغنائم, وأيضًا يعملون على مداواة الجرحى من كلا

الجانبين، ويجمعون جثث الموتى حتى يقيموا لهم شعائر جنائزية.

وقف ليدلي يراقب كل شيء، ليقترب منه أندرو محدثًا إياه منفردين:

«مولاي، أعلم أنه لا ينبغي لي أن أعارضك في أي من قراراتك، لكن لِمَ لم تجعلنا نتبعهم ونقضي عليهم تماما؟، لقد كانت فرصة سانحة لنا»

- «أعلم أن الجميع مستاءٌ من هذا عزيزي أندرو، لكننا خضنا معارك عديدة، وقطعنا مسافة كبيرة في التنقل، فعندما حسمت المعركة توجب علي أن أحافظ على سلامة الجميع، وأن أعطى الفرصة لنا لنحظى بقسط من الراحة، قبل استمرار زحفنا نحو الشمال»

- «لكن يا سيدي، بهذا نعطي أتريموس فرصة أخرى لكي يعيد ترتيب أوضاعه، نعم أعلم أن أغلب جيشه قد قضي عليه، إما قتيلًا أو مصابًا، أو وقع في الأسر لدينا، لكنه ما زال قادرًا على أن يجمع قوات أخرى، بالإضافة إلى أن المواجهة القادمة، ستكون في مدينة (الشمس)، وهناك يمكنه التحصن بها، وربما يستعين بالملاعين»

نظر إليه (ليدلي) متمعنًا, قبل أن يخرج تنهيدة كبيرة من صدره, وكأنه يلقي بحمل ثقيل كان يطبق عليه, قبل أن يعاود الحديث له وهما يتمشيان معا:

«علينا أن لا ننسى أن من نواجههم, هم أيضًا من أبناء هذه الأرض, حتى وإن اختلفت توجهاتنا, لكن يومًا ما, سنعود جميعًا تحت راية واحدة, فيجب أن نظهر بعض من الرحمة, أما وعن مواجهتنا القادمة في مدينتنا الأم, فلكل حادث حديث, فأنا ما زالت انتظر انتفاضة من العامة, عندما نكون هناك بهذا الجيش, نقاتل من أجل مستقبل أرضنا واستقرارها, حتى وإن جلب الملاعين, فهذا سيعزز موقفنا أمام العامة، وهذا أمر لا أظنه, فهم لن يتركوا مواجهة ملوك القديسين, وأهل الجليد, ويدعمون حليف خاسر, وشيء أخر يا أندرو, هو مازال لديه كاترينا, ولا أعلم ماذا قد يفعل بها؟, أعلم أن في المعارك لا مجال للعاطفة, لكنها أختي الصغرى, ولن أتخلى عنها أبدا, فطالما أن أتريموس حيًا, سيبقيها هي الأخرى على قيد الحياة, لتكون ورقته الأخيرة في مواجهتي»

- «مولاي, إني أعتذر إن كنت قد أسات الفهم أو التقدير ولكنى...»

قاطعه ليدلي ليهدئ من روعه، مخبرًا إياه أنه لا داعى للاعتذار، فإنه ليس قائدًا عسكريًا لديه، ولكنه بمثابة الأخ الأصغر، ليكملا جولتهما، يتفقدان ما يحدث في أرجاء الجيش.

***

20

مرة أخرى, توجه الوزير كيني, نحو منزل فيرديناند, لكنه هذه المرة كان متخفيًا حتى لا يلحظه أحد, ليستقبله فيرديناند على عجالة, ويذهبان مباشرة إلى غرفته الخاصة, ليطلعه كيني على كل ما استطاع جمعه من معلومات, ليستمع له فيرديناند بكل إنصات, دون أن يقاطعه في أي كلمة, حتى فرغ كيني من حديثه, قبل أن يسأله:

«والآن يا فيرديناند, أخبرني كيف ستفيدك هذه المعلومات, وماذا تنوي أن تفعل؟»

أشار إليه فيرديناند أن يتبعه, قبل أن يفتح بابًا سريًا في الغرفة, ليدلفا معًا منه, نحو درج قادهما إلى أسفل المنزل نحو سرداب ضيق, عبرا منه ليصبحا معًا في غرفة اجتماعات, بها نحو عشرين رجلًا يعرف أغلبهم, فهم من رجال التجارة في مدينة (الشمس), قبل أن يتحدث فيرديناند ليعرفه عليهم عندما التفتوا إليهم.

- «أيها السادة, رحبوا معي بصديقي العزيز, السيد كيني, وزير مملكتنا المخلص, سيد كيني, اعتقد أنك تعرف الموجودين هنا, أو أغلبهم على الأقل, هؤلاء الرجال هم عماد

التجارة في مدينة (الشمس)، وكلهم ما زالوا يدينون بالولاء لآل فيرجسون، كما أن مصالحنا التجارية تقتضي أن نطيح بأتريموس، فعندما كانت ممالك (زاندو) في حالة من الرخاء، كانت طرق التجارة آمنة، وأعمالنا تمر بازدهار مستمر، وعندما توحدت ممالكنا خلف قادتها، للحرب ضد الملاعين، انتعشت تجارتنا أكثر، لكن عندما سقط ملوكنا، وحل أولئك الخونة مكانهم، تأثرت تجارتنا بعض الشيء، نتاج تلك المتغيرات في (زاندو)، لكن ظلت تجارتنا آمنة... بينما الآن، عندما أصبحت الحروب تدب في كل مكان، أصبحت طرق التجارة غير آمنة، أصبحنا غير قادرين على استثمار أموالنا، أو تأمينها حتى، لذا فمن مصلحتنا جميعا أن تنعم (زاندو) بالسلام من جديد، وعندما يقترن هذا الهدف، مع مساعدة من ندين لهم بالولاء من آل فيرجسون، فإننا مستعدون لفعل كل شيء، من أجل الإطاحة بأتريموس، ونكون بذلك قد فعلنا الصواب بكلا الأمرين»

- «اقدر لكم جهدكم هذا سيد فيرديناند، لكن كيف ستفعلون ذلك؟، فمازلتم في كل الأحوال رجال تجارة، ومن ستواجهونهم هنا حتى وإن كان عددهم قليل، فهم مقاتلون متمرسون»

- «أنسيت عزيزي كيني، أن الملك الراحل شيرار، وأسلافه من قبل، قد سمحوا لنا أن يكون لدينا بعض أفراد الأمن، لتأمين أعمالنا وتجارتنا، ولذلك أقدم لك القائد رالف ماركوس، أحد فرسان الفيلق التاسع عشر السابقين، والذي يعمل معنا منذ زمن طويل، ويدين بكامل الولاء للملك الراحل شيرار، عليك أن تعيد عليه ما رويته لي، وهو سيعرف ما يتوجب علينا القيام به»

أعاد كيني. سرد ما رواه على فيرديناند من معلومات، على مسامع رالف وكافة الحاضرين، ليستمعوا له بعناية شديدة، ولم يقاطعه إلا رالف بين الحين والآخر، يستفسر عن بعض النقاط بشكل أكثر تفصيلًا، حتى انتهى الوزير كيني من سرد كافة المعلومات، ليعلق رالف على حديث:

«أشكرك سيد كيني على هذه المعلومات القيمة، لقد أكدت لنا كل ما لدينا من معلومات، بل أضفت لنا بعض النقاط بدقة أكثر»

شكره رالف. ليتنحى جانبًا محدث أحد معاونيه، الذي وقف جانبًا يستمع لهذا النقاش بكل عناية، قبل أن يعود رالف من جديد للطاولة، وطلب الإذن بالانصراف، ليأذن له السيد فيرديناند، متمنيًا له التوفيق وطالبًا منه الحذر، ليعاود كيني

الحديث:

«متى ستبدؤون عزيزي فيرديناند, وما هي الخطوة التالية؟»

- «نحن بالفعل بدأنا العمل الآن عزيزي كيني, فلقد انصرف رالف ليبدأ بالفعل في تنفيذ الخطة التى وضعها, ونحن هنا يا عزيزي, سننتظر حتى يصلنا الخبر لننطلق لمساندتهم»

ظل كيني صامتًا, يراقب الجميع بما فيهم فيرديناند, الذي فهم مغزى نظرات صديقه كيني.

:» أتمنى أن لا تأخذ هذا الأمر على محمل شخصي يا كيني, فموعد التنفيذ ظل سرًا بيني أنا ورالف, حفاظًا على الجميع, إننا نخاطر بكل شيء, بأموالنا, ومكانتنا, وعائلاتنا, إن نجحنا في مسعانا فتلك ليست النهاية, بل سيكون علينا أن نهيئ المدينة لاستقبال الملك ليدلي, أما إن أخفقنا, فلن يكون لنا أي سبيل للنجاة, إلا إن أنقذنا الملك ليدلي, بانتصاره في حربه مع أتريموس»

أخذ فيرديناند يشرح لكيني ما قاموا به, التجار والنبلاء الموالين لآل فيرجسون, لديهم بعض من الجند والحرس الشخصي قاموا بتجميعهم بشكل كامل, مع الاستعانة ببعض

من الضباط السابقين في جيش (زاندو)، ممن تقاعدوا سابقًا لكنهم أيضًا يدينون بالولاء لآل فيرجسون، بالإضافة لاستعانتهم ببعض من الجنود المأجورين، الذين يعملون في تأمين قوافل التجارة بدوام جزئي.

خطتهم واضحة، مباغتة كافة مساكن قادة آل نيكلسين، والسيطرة عليهم جميعًا، وأيضًا مباغتة الحامية المتواجدة داخلة المدينة.

تسلل رالف ورجاله بمنتهى السرعة، الأوامر وصلت سريعًا لكل المجموعات، المنتشرة في أرجاء المدينة، لتتقدم كل جماعة بسرعة نحو مهمتها.

تم مباغتة قادة آل نيكلسين بالكامل، والتسلل سريعًا نحو ديارهم، ليتم إسقاط الحرس المتواجدين بها، ليحكموا سيطرتهم ويلقون القبض عليهم جميعًا، تمت مهاجمة مركز الأسلحة الرئيسي للدرك، وهي المهمة التي تولاها رالف بنفسه، لكونها أحد أكثر الأماكن تحصينًا، لكنه استعان فيها بأحد الأصدقاء في الداخل، والذي سهل لهم مهمة عملهم، لينجحوا في تقييد حركة الدرك في قلب شوارع المدينة، الخطوة التالية كانت مهاجمة الأسوار من الداخل، التسلل نحو نقاط الحراسة المنتشرة عليها، وتحييد من فيها من

الجنود, تعددت الاشتباكات في كل أرجاء المدينة ورالف يقود رجاله بشكل سريع ومنضبط للغاية, بسبب خبرته العسكرية السابقة, ليخضعوا كامل المدينة تحت سيطرتهم, ويتبقى أمامهم اقتحام القصر الملكي, ليرسل برسالة سريعة نحو السيد فيرديناند بالتحرك

- «عزيزي كيني, الآن حان دورك»

- «أنا على أتم استعداد يا عزيزي, ما هو المطلوب منى؟»

- «ستدخلنا للقصر الملكي»

تساءل كيني عما هو مطلوب منه, ليخبره فيرديناند أنه سيتم مهاجمة منزله بشكل وهمي ومحاصرته, بينما هو سيذهب سريعًا نحو القصر الملكي ليحتمي به, وكأنه فر من الحصار بمنزله, سيكون معه بعض من الرجال الموالين لهم من رجال الدرك, كأنهم من قاموا بتأمين هروبه نحو القصر, وهو سيصحبهم للداخل, وهم سيتولون مهمة إدخال الجميع.

: «اعلم أن الأمر ليس بالهين عزيزي كيني, لكن آمالنا كلها منعقدة عليك, لكن أهم شيء سنطلبه منك, هو تأمين الأميرة كاترينا»

تفهم كيني كل ما طلبوه منه, لينطلق مباشرة رفقتهم

حيث نقطة اللقاء, ليتقدم بعدها ومعه عشرة رجال بزي الدرك, من بينهم رالف, انطلقوا بسرعة نحو القصر الملكي, ليقوم الحرس سريعا, بفتح أحد الأبواب الصغيرة في باب القلعة للسيد كيني, ليدخل ومن معه قبل أن يقوم كيني بنهر الجميع:

« أين أنتم جميعًا, المدينة يتم اجتياحها بواسطة بعض المرتزقة, إنهم يقوموا بثورة, وسيطروا على الأسوار, وكذلك مقر الدرك!»

انطلق قائد حامية الحرس الملكي, مباشرة نحو الوزير كيني ليتساءل عما يحدث, ليخبره كيني بأن ينطلقوا سريعا, ويحاولوا السيطرة على المدينة, التي تسقط الآن في يد بعض من المرتزقة.

: «سيدي, ما لدينا من رجال ليس بالكثير, بالكاد لا يتجاوز عددنا خمسمائة رجل, يحرسون القصر الملكي»

- «إذن فلتدفع بكل رجالك لتأمين البوابات والمداخل, لقد كدت أن أفقد حياتي لولا هؤلاء الجنود من الدرك!»

تفحص قائد الحرس الملكي تلك المجموعة من الدرك, محاولًا التعرف عليهم, ليتحدث رالف سريعا:

«سيدي, لقد تمت مهاجمة مقر الدرك, والأسوار الخارجية للمدينة, بمجموعات كبيرة من المرتزقة من داخل المدينة, لقد سيطروا على كل شيء, وكنت أنا وهؤلاء الرجال في إحدى الدوريات, شاهدناهم يهاجمون منزل السيد كيني فسارعنا لنجدته, لكننا وجدناه عائدًا من الخارج, فحذرناه سريعا, وهو من أقلنا معه إلى هنا, لكنهم كانوا منتشرين في أرجاء المدينة!»

بدا القلق على وجه قائد الحرس, قبل أن يأمره الوزير كيني بأن يتحركوا سريعًا لتأمين قصر الحكم, كما طلب منه أن يدفع بجنود الدرك هؤلاء, نحو إحدى البوابات ليقوموا بتأمينها.

انطلق قائد الحرس بالإنابة سريعًا لتنفيذ تعليمات الوزير كيني, من ثم انطلق كيني مباشرة نحو الجناح الملكي, ليذهب بسرعة نحو غرفة الأميرة كاترينا, وجد حارسان أمامها, ليخبرهما بأن يبقيا أمام الباب مهما حدث, وأن لا يسمحا لأحد بالدخول أو الخروج من الغرفة, وأن يقوما بتأمينها بشكل جيد, ليذهب بعدها سريعًا نحو ديوانه الخاص, وهو يحدث نفسه: «فيما ورطت نفسك يا كيني, لقد أصبحت شيخا كبيرا على هذه الأفعال, لكن لا سبيل للعودة

الآن, فلا سبيل للخلاص غير ذلك»

اتخذ رالف ورجاله موقعهم لتأمين إحدى بوابات القصر, كانوا ضمن مجموعة مكونة من خمسين جنديًا, أي أنهم الآن في موضع واحد لأربعة, لكن لحسن حظهم, نصف رجاله تواجدوا في الغرفة الداخلية لمتاريس الأبواب, بينما هو والأربعة المتبقين, توجب عليهم التواجد خلف البوابة مباشرة, رفقة رجلين أخريين, ليحكموا وضع المزلاج, ليعطي رالف إشارة لرجاله, لينقضوا من الخلف على من معهم من رجال, ويسقطونهم سريعًا دون أن يشعر أحد, قبل أن يزيلوا المزلاج عن البوابة, ويعطوا الإشارة لزملائهم بالداخل, ليبدؤوا سريعا في تحريك التروس, ليفتحوا البوابة بمنتهي السرعة, ليعطي رالف إشارة ضوئية للخارج, عندما استخدم إحدى أقواس الرماة من حرس القصر, ليطلق سهما ناريًا للسماء, يعلم أعوانه بالخارج أن تلك هي البوابة المنشودة, ليتقدموا نحوها سريعا ويبدؤون في اقتحام القصر.

تقدم الرجال بسرعة واشتبكوا مع الحرس الملكي, ليفطن قائد الحرس بالإنابة أن الوزير كيني متورط في الأمر, لينطلق مباشرة نحو ديوانه محاولًا اقتياده, ليستخدمه

كدرع يمكن أن يهرب من خلاله, لكنه وجد الوزير كيني قد أوصد بابه من الداخل بإحكام, مما لا يسمح لأحد بالدخول, ليطلب من حارسيه المرافقين له أن يقتحما الباب بأي وسيلة ممكنة, بينما أمر باقي الرجال, بالتوجه لمواجهة من يحاولون اجتياح القصر الملكي.

مع وصول الإشارة للسيد فيرديناند, انطلق سريعا هو وأعوانه, ليساعدوا رالف ورجاله على اجتياح القصر الملكي, لتدور المعركة الأخيرة هناك, ليستمروا بالتقدم حتى سيطروا على أرجاء القصر, بينما قائد الحرس بالإنابة لم يتمكن من اقتحام ديوان الوزير كيني ليخبره رجاله بأن المقتحمين قد اقتحموا القصر بالفعل, ليسارع هو ومن معه من الرجال, بالفرار عبر الممرات السرية للقصر, بعد أن سقط في يدي نبلاء مدينة (الشمس)

***

ليلة طويلة وضع الجميع فيها أرواحهم على المحك, من أجل مستقبل هذه الأرض في مدينة (الشمس), لينتهي الأمر بسيطرتهم عليها, اجتمع كيني بفيرديناند وباقي أعوانه في البهو الملكي, هذه المرة كمنتصرين, ليسأل كيني عما سيفعلونه الآن.

- «سنخبر العامة بالحقيقة عزيزي كيني, ستحدثهم كوزير للملكة ومخلص لآل فيرجيسون, ونخبرهم أن الوريث الشرعي لمملكتنا, الأمير ليدلي, ما زال على قيد الحياة, يحارب من أجل هذه الأرض, ومن أجل أبنائها»

- «لكننا لا نعلم ماذا حدث في تلك المعركة بالفعل»

- «أيا كان ما حدث يا عزيزي, فنحن قد قمنا بخطوتنا بالفعل, والمدينة الآن تحت سيطرتنا, سيصل في صباح الغد المزيد من الأعوان, سندافع عن مدينتنا, ونؤمنها حتى يصل ملكها, الآن أنت هو القائد سيد كيني سيذكرك الجميع على تلك الشجاعة التى قدتنا بها لحريتنا مرة أخرى»

- «لكني لم أفعل شيئًا, أنتم من خططتم ونفذتم لكل شيء»

- «لولا وجودك معنا, لما أتممنا عملنا هذا يا صديقي, فنحن منذ الوهلة الأولى, لم يتملكنا أي قدر من الشك في ولائك لـ آل فيرجسون»

- «كلنا ندين بالفضل لملكنا الراحل شيرار, وأسلافه السابقين من آل فيرجيسون, وهذا أقل ما يمكننا أن نقدمه لهم, لكن لي سؤال, لِمَ لم تقوموا بمثل هذا, عندما أتى

أتريموس إلى هنا غازيًا؟»

- «إنك دائما أرجحنا عقلًا كيني, فلا يجب أن نقف أمام الطوفان, وقتها أتريموس كان يملك القوة وحده, أما الآن فهناك كفة أخرى تمسك بالحق في يدها, ويتوجب علينا أن نساعده الآن, فهذا هو الوقت المناسب لنتحرك»

- وكيف سنتواصل مع الأمير ليدلي الآن؟»

- «سينطلق أحد رجالي الآن مباشرة نحو جيشه ليخبره بالأمر, فعلينا أن نحافظ على مدينتنا ونعدها لاستقبال ملكها»

شرعوا جميعا في ترتيب الأدوار, وأحكام السيطرة على المدينة, ليضعوها تحت حمايتهم, حتى يصلهم الخبر اليقين بوصول الملك ليدلي, الوريث الشرعي لأرض الوسط.

***

21

في أقصى الشرق, تقدم جيش الجليد بقيادة الملكة إلينا, والأمير فيليب, نحو شمال مملكة الشرق, حتى وصلوا نحو معسكر الجيش الشمالي, بقيادة الوزير دوراتي, أعطوا الجنود فرصة للراحة, قبل مواصلة المسير لمواجهة الملاعين, ليستقبلهم دوراتي في خيمة القيادة الخاصة به, حتى يتم تجهيز الخيمة الملكية, وباقي الخيام الخاصة بالقادة.

- «الشكر للآلهة على سلامتك مولاتي الملكة, وعلى سلامتكم جميعًا, لقد وصلتني الأخبار, عن إخضاعكم لمدينة (سوران) عاصمة الشرق»

- «شكرًا لك سيد دوراتي, الآن يبدأ العمل الحقيقي لنا عندما نواجه الملاعين, فما هي الأخبار التي لديك»

- «مولاتي, كل التقارير الاستطلاعية لقواتنا, تشير إلى تراجعهم للخلف, بعد أن حشدوا قواتهم على الحدود بين مملكة الشرق, ومملكة الشمال التي يستوطنونها, التقارير تشير إلى أنهم تراجعوا لمسافات كبيرة, ربما إلى نقطة انطلاقهم قلعة (بلاجا)»

- «يبدو أن هذا تأثير انتصار ملوك القديسين في الغرب, فحسب ما علمنا, لقد دحروا جيشهم الذي توجه إلى هناك»

- «بالفعل سمو الأمير فيليب, فحسب الرسائل التي وردت من الغرب, أنهم بالفعل انتصروا على جيش جرار للملاعين, وأمنوا حدودهم مع مملكة الشمال, ويتوجهون الآن لتحرير مدينة (النسور) من الحامي المرابط بها»

- «إذن, فيبدو أن الملاعين يجمعون كافة قواتهم في نقطة واحدة, ليستعدوا لمواجهتهم القادمة مع الجميع»

- «بالفعل سيد توساني, أيضًا الأخبار التي وصلتني منذ قليل, أن الأمير ليدلي سيطر على مملكة الجنوب, وفي طريقه للسيطرة على مملكة الوسط الآن»

- «إذن يجب أن نرتب خطواتنا القادمة مع باقي الملوك, لتكون تحركاتنا جميعًا متساوية, لنوجه لهم ضربة قاضية»

- «بكل تأكيد مولاتي»

تبادل الجميع الآراء, والدراسة حول الموقف الحربى المنتشر في كافة أرجاء المملكة, ليقرروا أن يعطوا يومين للقوات لكي تستريح, ويعيدوا تجهيز الجيش وعتاده بشكل كامل, قبل التقدم إلى الشمال, على أن يبعثوا برسل متخفين

هذه المرة نحو جيش ملوك القديسين, ونحو جيش الملك ليدلي, ليكلف الأمير فيليب, مجموعة من أفضل فرسانه بهذه المهمة, ليأخذوا يومًا للراحة, قبل أن ينطلقوا مع فجر اليوم التالي, ليطلبوا من الجميع أن يكون اللقاء في قلعة الاتحاد.

***

مع حلول الليل في مدينة (النسور), تأهبت حامية الملاعين للتصدي لجيش القديسين, ومن معهم من أبناء الغرب, فقد بدأت طلائع الجيش في الوصول على حدود المدينة مع بداية الغروب, تمركزت قوات جيش القديسين سريعًا حسب الخطة الموضوعة سابقًا, لم يتمهلوا للراحة, بل بدؤوا مباشرةً بعمليات قصف للأسوار الأمامية للمدينة, والنقاط المتصدعة بها حسبما أتت التقارير الاستطلاعية, ليبدؤوا موجة شديدة من القصف, بكرات اللهب الحارقة, والمواد الملتهبة التي يمتازون بها, ليتراجع الجنود المتمركزون على الأسوار الأمامية من بين قوات الملاعين, لينطلق سريعا مجموعات من الجنود لبعض النقاط الأمامية, مستترين بعمليات القصف المتتالية, ليقوموا بتوجيه ضربات أكثر دقة بواسطة مدافعهم المحمولة, على النقاط المتصدعة في

الأسوار، لينجحوا في إحداث فجوات كبيرة فيها، تسمح بمرور الجيش من خلالها، لتأتي الإشارة للتقدم للأمام، لتنطلق قوات المشاة والفرسان سريعًا، ويقتحموا أسوار القلعة دون أي مقاومة تذكر، دفاعات الملاعين لم تكن في أفضل تنظيم ممكن، ليدخلوا في مواجهات مباشرة معهم، بينما تقدمت بعض فرق الفرسان بسرعة إلى قلب المدينة، بعيدًا عن الاشتباكات، ليقوموا بتأمين العامة من سكان المدينة، وينجحون في حصار الصفوف الخلفية من قوات الملاعين، ليضعوهم بين شقي الرحى، ليحاصروهم من كافة الاتجاهات، ويبدؤون عملية إبادة سريعة لهم، ليعلنوا تحرير آخر معاقل الملاعين في أرض الغرب.

في قاعة الحكم، اجتمع ملوك القديسين وقادة جيوشهم، ومعهم بيدرو، وأبناء الغرب، ليطلب منهم بيدرو أن يقوموا بمراسم تأبين شرفية، للملك الراحل ريفيرا، وقادة وجنود وأهل الغرب، الذين لقوا حتفهم غدرا على يد هؤلاء الملاعين، ليقيموا تلك الشعائر ويكرموا موتاهم، ويحييون ذكرى الراحلين، ليستقروا بعدها على أن يحظوا براحة لمدة يوم في المدينة، قبل أن يعاودوا التوجه مرة أخرى نحو قلعة (آلانا) ليكملوا مسيرتهم نحو الشمال ليكملوا حربهم ضد الملاعين.

***

يومان من الترحال دون أي توقف إلا للراحة البسيطة، قضاهما قائد الحرس الملكي بالإنابة، وبرفقته اثنين من الحرس الخاص به، بعد أن تمكنوا من الفرار من مدينة (الشمس)، ليلتقوا أخيرًا بسرايا استطلاع قوات الملك أتريموس، ليظنوا أنهم عادوا منتصرين في حربهم أمام قبائل الغجر، لكنهم صدموا بما سمعوا عندما تعرضوا لهزيمة نكراء في تلك المعركة، وأن قلة منهم لا تناهز ربع حجم الجيش قد لأذت بالفرار من أرض المعركة، على رأسهم الملك أتريموس، وأنهم عائدون الآن نحو مدينة (الشمس) ليحتموا بها، ويعيدوا ترتيب أوضاعهم من جديد، لكن ما آتى قائد الحرس بالإنابة به من أخبار، كان كالصاعقة على الجيش العائد، ليأخذوه بسرعة لملاقاة أتريموس، والذي استشاط غضبًا، وظل يصرخ غاضبًا في الجميع، عندما روى عليه قائد الحرس ما حدث، ليسأله أتريموس:

«أخبرني مجددًا، من خطط لكل هذا، ومن قاد الانقلاب في مدينتي؟!»

- «مولاي، كما أخبرتك، إنه الوزير كيني، وبرفقته السيد فيرديناند روز كبير التجار، ومعهم جمع من التجار والنبلاء،

لقد استعانوا بالعديد من المرتزقة, وبعض من ضباط الجيش السابقين, ممن أخفوا ولائهم لآل فيرجسون»

- «اللعنة عليهم جميعًا واللعنة عليك أنت أيضًا, لقد كلفت بمهمة واضحة, أن تحافظ على المدينة, وأن تراقب تحركات كيني جيدًا!»

- «لكنهم باغتونا يا مولاي, لقد كان كل شيء طبيعيًا للغاية, رغم كل ما قمنا به من تتبع وتقصى للأخبار, فقد انتشر البصاصون في كل موضع قدم في لمدينة, ولم يكن يوجد هناك أي شيء ينبئ بحدوث ذلك»

- «الآن سأذهب إلى هناك لأقطع رقابهم جميعًا, فليستعد الجميع للتحرك نحو مدينة (الشمس), لأذيق أولئك الخونة ما يستحقوه من عقاب!»

- «مولاي. علينا أن نهدأ ونتريث في خطوتنا التالية»

- «عن أي هدوء تتحدث يا كلاوديو؟, لقد خسرنا كل شيء, جيشنا, والآن مدينتنا وملكنا, يجب أن نستعيدها في أسرع وقت, قبل أن يصل ليدلي إلى هناك!»

حاول كلاوديو أن يخمد ثورة أتريموس, وأن يمتص غضبه, إلا أن قائد الحرس بالإنابة طلب الحديث:

«مولاي، إن كنت تقصد بحديثك عن «ليدلي هذا، هو الأمير ليدلي، فإن المنقلبين يروجون في كافة الأرجاء، أنهم يقفون في صفه لإعادته لسدة الحكم، وهناك إجماع كامل من العامة على الوقوف في صفهم، ويساندوهم في كل شيء، هذا ما استطعت معرفته من أخبار، قبل أن أنجح في الهروب من المدينة»

- «لتذهب أنت أيها الفارس، سندعوك عندما نريدك في أي أمر»

صرف كلاوديو قائد الحرس بالإنابة، الذي خرج مباشرة، ليوجه كلاوديو نظراته نحو أتريموس، وقادة آل نيكلسين، ليبدأ بالحديث معهم:

«أيها السادة، إن الوضع الآن أكثر سوءا من أي شيء توقعناه، فمعرفة الجميع أننا نواجه ليدلي، وانحياز العامة له، أمر في غاية الخطورة علينا، وإن عدنا إلى هناك ونحن منهزمون لن يرحب بنا أحد»

- «وماذا تقترح يا كلاوديو، أن اذهب وأتوسل لأولئك الرعاع حتى ادخل مدينتي؟، لا، سأذهب واجتاحهم جميعًا، وأذيقهم الويل!

- «عزيزي أتريموس. عليك أن تهدئ من روعك, فنحن لا نملك القوة, أو العدد والعتاد الكافيين لاجتياح مدينة (الشمس), أنت أدرانا بهذا, سنكون وقتها في مواجهة مع من يحتمون خلف أسوارها, ومن خلفنا سيأتي ليدلي بجيشه»

- «وماذا نفعل الآن, أخبرنا؟!»

- «سنذهب شمالًا نحو حلفائنا من الملاعين, فلا سبيل آخر لنا غير هذا للنجاة, إن كنا نبحث عنها, علم أن ما أقوله شيء صعب التقبل لدى الجميع, لكنه الحل المنطقي الوحيد لدينا»

- «أتردينا أن نرحل, ونتخلى عن أهلنا وأبنائنا وأموالنا بكل هذه البساطة؟!»

- «وإن بقينا فسنفقد حياتنا على كل حال, يجب أن ننحي عاطفتنا جانبًا, من يريد أن يذهب إلى مدينة (الشمس) فليذهب, لكن أنا لن أعود إلى هناك إلا وأنا منتصر, سأذهب نحو الشمال, حيث توجد جيوش الملاعين لأنضم لهم»

دخلوا جميعًا في صراع محتدم, بعضهم أيد رأي كلاوديو, والبعض الآخر عارضه, بينما أتريموس ظل صامتًا طيلة تلك الجلسة, حتى توجه إليه الجميع بالسؤال ماذا سيفعل؟

- «لقد بذلنا كل شيء, قمنا بكل ما نستطيع, حتى نحقق

حلم الأجداد بأن نحظى بملك البلاد, ولكننا الآن في موقف لا نحسد عليه, نحن أمام خيارين أهونهما عسير, إما أن نعود نحو مدينة (الشمس) ونقاتل من بالداخل, وننتظر هجوم ليدلي علينا, أو أن نترك أهلنا وذوينا, وأن أترك ولدي الذي انتظر قدومه لهذه الدنيا, ونذهب شمالًا نحو الملاعين, ونوصم بالجبناء الذين لا يقوون على المواجهة منفردين, كلاهما صعب, لكننا الآن في حرب كل شيء بها مباح, وأنا سأذهب نحو الشمال رفقة كلاوديو, لكن هذا ليس رأيًا ملزمًا لأحد, من أراد أن يأتي معنا فليأت, ومن لم يرد فهو سيد قراره, لكني أرجوكم جميعًا أن نكون يدًا واحدة لمرة أخيرة, فلن نجعل تلك المحن تقضى على آل نيكلسين»

***

في مدينة (الشمس), الجميع يستعد لعودة ملكهم الشرعي ليدلي, سليل آل فيرجسون العظام, تحسنت حالة الأميرة كاترينا, لكنها لم تكن في أفضل الأحوال على المستوى الجسدي والنفسي, بدت هزيلة للغاية مع تقدم حملها, حاول الأطباء أن يمدوا لها يد العون بكل ما آتوا من علم, ليخرج كبير الأطباء نحو الوزير كيني والسيد فيرديناند محدثًا إياهم:

« أيها السادة, إننا نحاول أن نقوم بكل ما لدينا من جهد, لقد بدأت الأميرة تستعيد وعيها, لكن جسدها يرفض كل ما نقدمه لها, لا يبقى في جوفها أي نوع من الأدوية, أو الأعشاب التي نقدمها لها, دائما ما تلفظها, فلندعو لها جميعًا, ولنتمنى أن يكون وصول الملك ليدلي, معينا لها»

شكره الوزير كيني, طالبا منه أن يستمر في رعايتها, ليستأذن منهم الطبيب, ليتوجه الرفيقان كيني, وفيرديناند, نحو ديوان الوزير كيني, ليكملا عملهما ويشرفان على ما يحدث في المدينة, ليلتقيا القائد رالف في طريقهما والذي بدا أنه في عجلة من أمره:

« أيها السادة, لقد وصلت طلائع جيش الملك ليدلي, لقد عاد الرسول الذي أرسلناه, ومعه بعض من فرسان الملك ليدلي»

ارتسمت البهجة والراحة على محيا كيني وفيرديناند, ليعلما من رالف, أنه من المتوقع وصول الملك ليدلي, في غضون وقت قليل, ليغيروا وجهتهم سريعًا نحو الأسوار الأمامية للمدينة, ويطلبون من رجالهم بأن يشاع الخبر بين العامة, بأن الملك ليدلي, على وشك الوصول لمدينته, لتعج الطرقات والأزقة بالعامة, والجميع يتسارع من أجل استقبال

ملكهم فبعد أن تخلصوا من آل «نيكلسين, ووصلتهم الأخبار بهزيمة أتريموس, وتوجهه كالجبناء نحو الشمال محتميًا بالملاعين, أصبح الجميع على يقين, أن أرضهم لا يستحقها إلا ملك واحد, هو سليل آل فيرجسون, ليصبح الجميع, في حالة من التأهب طيلة اليوم, العامة والخاصة, الرجال والنساء, الأطفال والشيوخ, الجميع في الانتظار الذي طال, حتى أوشكت الشمس على المغيب, ليرى الجميع آثار جيش ملكهم الجرار, وهو يتقدم منتصرًا نحو مدينة (الشمس).

اختلطت المشاعر على محيا ليدلي, فمنذ أن وصله رسول السيد فيرديناند روز, والوزير كيني, وبعد أن علم بما قاموا به, وسيطرتهم على مدينة (الشمس), ليجعلوها مستعدة لاستقباله, وهو في حالة من العاطفة, قاد جيشه نحو المدينة متقدمون إلى هناك, لم يدخل إلى وطنه كغازي أو فاتح, ولكنه بدا كالمحرر لهم. عندما اقتربوا من أسوار المدينة, وجد العامة قد اعتلوا أسوارها منتظرين قدومه, ومنهم من خرج لاستقبالهم خارج الأسوار, تقدم الركب على جواده, ومن خلفه قادة قبائل الجنوب, والأمير لويس, وقادة جيشه, ليتقدم بهدوء نحو أبواب مدينته.

تعالت الأبواق ودقت الطبول, معلنةً عودة ملكهم, أجواء

من البهجة والسعادة علت وجوه الجميع, تقدم ليدلي ليحيي أبناء أرضه, تقدم العامة تجاهه, وطلب من الجند أن لا يمنعوهم, لتخالطه المشاعر بشكل لم يعهده من قبل, لتنساب الدموع على وجنتيه, فها هو الآن يعود نحو وطنه من جديد كملك متوج, لكنه قد خسر أبًا ومعلمًا, وخسر وطنه العديد من أبنائه.

استمرت المسيرة حتى وصل إلى الساحة العامة, أمام قصر الحكم, ليقف الجميع منتظرين كلمة ملكهم, الذي ترجل عن جواده ليعتلي أسوار قصر الحكم, بينما الجميع يهتف باسمه.

: «اليوم ليس يوم سعادة أو سرور, اليوم هو يوم ألم وحسرة لي, نعم أعود اليوم إلى أرضي وأرض أجدادي, لكن لا يتملكني إلا الحزن, لقد فقدنا الكثيرون من أبناء هذه الأرض, فقدنا آباءنا وإخواننا وأحباءنا, لا يوجد في هذه الأرض بيت إلا وفيه فقيد من عزيز وغالي عليهم, لقد فقدت أبي, فقدت أصدقائي, فقدت وطني وأهلي, نعم أعود اليوم, لكن هذه ليست الأرض التى عهدتها من قبل, لم تعد (زاندو) كما كانت ولن تكون, بل يجب أن نجعلها أفضل مما كانت عليه, لم تنتهي حربنا بعد, بل مازال أمامنا الكثير لنفعله, مازال الملاعين يرتعون في الشمال, والآن

ينضم إليهم الخونة من ال نيكلسين الآن نبدأ حقبة جديدة، أرض جديدة تسع الجميع، عقب الحرب العظمى الأولى تفرقنا، نعم أنشأنا ممالك عظيمة، لكن فيما بيننا ظل ضعاف النفوس، حتى حانت الفرصة لهم، لعيدونا للخلف قرونًا عديدة، متفرقين مشتتين، أما الآن، فيجب أن تكون (زاندو) وحدة واحدة، أنا وبعد أن ألقيت في غياهب سجن (بوزان)، وجدت هناك العون، رجال قد فقدوا كل شيء في حياتهم، حكم عليهم أن يقضوا بقية حياتهم في مهانة السجن، لكنهم عندما أتت إليهم فرصة للتكفير عن خطاياهم، وبناء وطن جديد يسع الجميع، لم يترددوا لحظة في أن يدعموني، هم رفقاء السجن، ومن بعدها رفقاء الحرب والسلاح، هناك أيضا تعرفت على أناس من أهل هذه الأرض، لكنهم رحلوا منذ زمن سحيق، كنا نطلق عليهم الغجر، نظنهم أعداء لنا، لكني لم أجد منهم إلا إيمان بأرضهم، وقضيتهم، ونبوءتهم، بأنه سيأتي يوم ويعودوا فيه لأرضهم ليدافعوا عنها، إنهم أهل القبائل العظام، من ساعدوني لأحرر الجنوب من قبضة الخونة، بقوتهم، وشجاعتهم، وبأسهم الذي لم أعهده في أحد من قبل.

وفي أقصى الجنوب الشرقي، هناك دائمًا من يتذكرون آل بنتلي، من صانوا عهدهم لملوك (زاندو) الراحلين، كانوا خير

العون والسند، تقدمنا سويا متحدين، لم نفرق بين أي منا، كلنا أبناء هذه الأرض، وعندما آمن أهل الجنوب بقضيتنا، وأننا لا نسعى إلا من أجل إعادة أرضنا لما كانت عليه، أعلنوا القتال، من كان منهم قد أخطأ في حق ملوكه، فهو الآن يسدد الدين، ومن كان منهم بلا حيلة أو سند، أصبحنا جميعًا عونًا لبعضنا البعض.

الآن في أرض الغرب، ملوك القديسين يقاتلون، من أجل عهودهم معنا، ونكن لهم كل التحية والتقدير على ما قاموا به، وفي الشرق، هناك أناس من جلدتنا، ومن بني أرضنا، قد رحلوا في الماضي السحيق، رجال من البشر مثلنا، وفرسان من القناطير، وشجعان من الأقزام، وأشداء من العمالقة، من طردهم أسلافنا عقب الحرب العظمى الأولى، خشية أن تصيبهم اللعنة، لكنهم الآن أهل الجليد، لم يترددوا لحظة، عندما علموا أن إخوانهم في الدم بحاجة للعون، ليأتوا ليدحروا الملاعين من أرضنا، ومن قبلهم الخونة الذين دنسوا هذه الأرض.

من الآن هذه الأرض لن تكون لفصيل واحد، أو قلة من الفصائل، لكنها ستكون أرضًا للجميع، وطنًا يسعنا كلنا بلا خوف، وحتى نكون مطمئنين في أرضنا، علينا أن نطرد

الملاعين أولًا»

أكمل ليدلي خطابه الحماسي, بينما الجميع يصيح باسم وطنهم (زاندو)!

***

في قلعة (آلانا)، بات الجميع على استعداد للتحرك نحو الشمال، لمواجهة الملاعين، فقط وصول رسول من أرض الشرق، هو ما غير كل المخططات، اصطحب الحرس مباشرة أحد فرسان آل بنتلي ، نحو القاعة الرئيسية لقلعة (آلانا)، حيث استقبله بيدرو وملوك القديسين، ليخبرهم الفارس برسالته المحمل بها، ويعطيها للسيد بيدرو ليفضها، ويقرأ فحواها أمام الجميع، حيث طلب الأمير فيليب، والملكة إلينا، بأن تتوحد الجيوش في معركتهم الفاصلة، مقترحين بأن يتواجد الجميع في قلعة الاتحاد، فيما ذيلت الرسالة بختم كل منهما، وكذلك ختم الحكيم توساني .:

«نشكر تحملك لعناء السفر فارسنا العزيز، ونؤكد لك أننا جميعًا على قلب رجل واحد الآن، وأن هذه الدعوة هي محل ترحاب لدينا، هذا إن أذن ملوك القديسين الكرام بهذا»

- «بكل تأكيد عزيزنا بيدرو، فغايتنا جميعًا واحدة، القضاء

على الملاعين، وإن توحيد جهودنا هو القرار الصائب، لكن أخبرني عما رأيته في سفرك، وما هو الحال بقلعة الاتحاد؟»

«مولاي، حسب التقارير الاستطلاعية لدينا، فالملاعين يتراجعون نحو قلعة (بلاجا)، أما قلعة الاتحاد فهي مهجورة، فقط يحتمي بها بعض العامة، من المتوقع الآن يا مولاي، أن يكون الجيش المرابط في الشرق، في طريقه إلى هناك الآن، أو على مشارف الوصول إليها»

شكر بيدرو الرسول، ليأذن له بالانصراف، رفق بعض من مساعديه، حتى ينال قسطًا من الراحة، قبل أن يتحرك الجيش، ليتحدث بيدرو بعد رحيله:

«أيها السادة، بكل تأكيد أنه أمر رائع أن تتوحد قوانا، في المعركة المقبلة أمام الملاعين، لكن علينا جميعًا أن لا نعيد أخطاء الماضي»

- «ماذا تقصد بيدرو؟»

- «مولاي، في الماضي، وعندما اجتمع ملوكنا الراحلين لمواجهة الملاعين، حشدوا كل جيوشنا للذهاب نحو قلعة (بلاجا)، حيث يعسكر الملاعين الآن، لكن ما حدث أنهم باغتونا بمهاجمة الغرب، كانت كل الطرقات ممهدة لهم دون

أي حماية، خاصة بعدما سقط الشمال، لذا عندما عاد ملكنا الراحل ريفيرا، كان الأوان قد فات، ليسقط الغرب في قبضة الملاعين»

- «لذا يا عزيزي, تطلب منا أن نؤمن الطرق, وأن نترك حامية قوية هنا في (آلانا)»

- «نعم يا مولاي, وعلينا أن ندرس أي الطرقات نسلك, حتى يكون تحركنا سريعًا في الذهاب والعودة»

أثنى الجميع على ما اقترحه بيدرو, ليبدؤوا في مراجعة الخطط, والتحركات العسكرية المقترحة للجيش, ويدرسوا كل النقاط المحتملة, على أن يضعوا خطتهم بالتحرك نحو قلعة الاتحاد, مع انطلاق سرايا مختلفة من الفرسان, على طيلة الطرق المؤدية إلى قلعة (آلانا), لتؤمن الحماية اللازمة, وكشف أي تحركات مسبقة للملاعين»

***

اعترضت قوات الملاعين, طلائع قوات أتريموس, المتقدمة نحو قلعة (بلاجا), ليعرفوهم بأنفسهم, وأنهم قادمون للاحتماء بهم, ليصل الخبر سريعًا للقائد أمان, الذي أمرهم باصطحابهم, ومراقبتهم عن كثب حتى يصلوا,

لينتظر قدوم أتريموس وكلاوديو, ويستقبلهما هما ومن معهما من آل نيكلسين.

: «مرحبا بكم أيها السادة, لقد وصلتنا أخبار هزيمتكم, أنتم وشركائكم في الجنوب والشرق, لكن يبدو أنكم أوفر حظا منهم, فمازلتم على قيد الحياة بعكسهم»

- «ونحن أيضًا وصلتنا أخبار هزائمكم المتتالية في الغرب, كلانا في موقف لا يحسد عليه سيد أمان»

- «ربما تعرضنا لبعض الخسائر سيد كلاوديو, لكن مازال لدينا الكثير من التنظيم, والعتاد والجند من أبناء (السيد), وهذا يجعل وضعيتنا أفضل على كل الأحوال»

- «أنفهم من هذا, أننا لسنا موضع ترحاب لديكم؟»

- «لا أقول هذا عزيزي أتريموس, نحن دائمًا نفي بالعهود, لكن الآن سيكون هناك العديد من المتغيرات, على طاولة التفاوض فيما بيننا»

بدا أمان ساخرًا وانتهازيا في محادثته تلك معهم, ليصطحب أتريموس وكلاوديو بمفردهما نحو مجلس الحكماء, ليخبرهما أن حكمائهم هم من سيخبرونهما بما يريدون, ليتقدم أمان وهما خلفه ثم تحدث:

«حكماؤنا الأجلاء, لقد وصل ضيوفنا من آل نيكلسين, وأرض الوسط, إنهم مستعدون للاستماع لطلباتكم باسم (السيد العظيم)»

- «مرحبًا بكم في أرض (السيد) أيها السادة, نحن دائمًا لا ننس حلفاءنا, وكلانا الآن في الصف ذاته, معركتنا القادمة هي الحاسمة, ثلاث جيوش تتحرك الآن من الشرق والغرب والوسط, لكن بوحدتنا سويًا حتى وإن قل عددكم, سنكون قادرين على الانتصار عليهم, لكننا سنطلب منكم المزيد من الولاء عندما ننهى هذا الأمر»

- «وماذا يمكننا أن نقدم لكم يا سيدي؟»

- «أنتم لن تقدموا لنا شيئًا يا عزيزي, بل تقدموه (للسيد), وأن يشملكم في معيته ورعايته لهو أمر عظيم, لذا أيها السادة, إن قدر لنا النصر, سيخضع الشرق والغرب كاملين لنا, كما أننا سنحتفظ بالشمال كما هو, وسنترك لكم الوسط والجنوب, وسيتحتم عليكم أن لا تضعوا أي قوات عسكرية على الحدود الشمالية, سوى حامية بسيطة لتأمين طرق التجارة بيننا, وأيضًا, لن يكون هناك أي رسوم كالضرائب, على أي قوافل تجارية بيننا وبينكم, فنحن نعتبركم الآن جزء منا, شعب واحد جميعًا»

استطرد كبير الحكماء, في فرض شروطهم عليهم, والتي تمثلت أيضا بوجود ممثل دائم لأبناء (السيد) في أرضهم, وأن يعلنوا أنفسهم, مملكة للبشر تابعة لحكم (السيد), أملى عليهم كامل شروطهم, ولم يطلب منهم ردًا عليها, بل أمهلهم حتى صباح اليوم التالي, لينصرفوا رفقة أمان, الذي قادهم نحو المكان المخصص لقادة ال نيكلسين, في أحد أبراج القلعة.

***

اجتمع أتريموس وكلاوديو, رفقة أبناء عمومتهم من آل نيكلسين, ليخبروهم بما أملاه عليهم حكماء الملاعين, من طلبات حتى يساعدوهم, ليجدوا اعتراضًا من بعضهم, بينما التزم الأخرون الصمت, ليتحدث كلاوديو:

«حينما بدأنا كل هذا سويًا, عندما تحالفنا مع الملاعين, وأطحنا بملوك (زاندو) السابقين, كنا نسعى من أجل شيء واحد, الحكم لا غيره, والآن بعد خسارتنا الأخيرة, لا سبيل لنا للنجاة, إلا بالتعاون معهم والرضوخ لطلباتهم»

- «وكيف سينظر لنا أهل (زاندو) إن رضخنا لطلباتهم تلك؟»

«سينظرون كما نظروا سابقًا، مجموعة من المتملقين

ساعين للحكم، لكن بالقوة لن يقدر أحد على مجابهتنا، سيقولون عاش الملك دائمًا»

احتدم النقاش بينهم، لكن لم يكن أمامهم إلا أن يرضخوا، لكنهم طلبوا من أتريموس وكلاوديو، أن يتناقشوا معهم في تقليل تلك المطالب، وأن لا يكون فيها هذا الكم من المهانة لهم، ليخرج كلاوديو كمتحدث عنهم، متوجها نحو أمان، قائد الجيش، وأخبره بأنهم موافقون على الأمر، لكنهم يطلبون تخفيف بعض المطالب، كوجود ممثل دائم لأبناء (السيد) في ديوانهم الملكي، وبعض الأمور الأخرى التي تحفظ لهم بعضًا من هيبتهم أمام شعبهم

: «وما الذي يجعلنا نوافق على مطالبكم هذه عزيزي كلاوديو، هل ترون أنفسكم في موقف يسمح لكم بالمساومة؟»

- «بكل تأكيد يا عزيزي لسنا في موقف جيد، لكنكم تحتاجون إلينا كما نحتاج إليكم»

- «وفيم نحتاج إليكم سيد كلاوديو، وأنتم مجموعة من الفارين من أرضهم؟»

- «بكل تأكيد تحتاجون إلينا يا عزيزي، وإلا لكنتم قد فتكتم

بنا، فأنتم لستم بحاجة لمزيد من الشغب في أرض (زاندو)، أو أن تواجهوا غضبًا شَعْبِيًّا، وموجات من المقاومة، كما حدث في أرض الغرب، فحتى وإن كان ملوك القديسين هم من ساندوهم، لكنهم في ميناء (اللؤلؤة) كبدوكم الكثير من الخسائر، ونحن بمنتهى البساطة، سنكون درعكم في الوسط والجنوب، وأنتم سيتوجب عليكم، مجابهة المقاومة في الشرق والغرب»

- «وما أدرانا أنكم لن تنهزموا مرة أخرى كما حدث؟»

- «عندما ننتصر في تلك المعركة، ونقضي على تلك الجيوش، لن يكون أمامنا أو أمامكم، أية قوة عسكرية منظمة يمكنها مواجهتنا، لكننا سنكون قادرين على التصدي لأي محاولة فردية، وأيضًا سنكون أكثر تنظيمًا وحرصا في المرة المقبلة، كما أني لم أذكر في طلباتي، أننا سنستغني عن بعض من قواتكم العسكرية، والتي ستكون عونًا لنا، وبكل تأكيد سيكون لهم دور هام في أي قرار عسكري نتخذه، حتى يستتب لنا الأمر بشكل كامل»

زادت قناعة أمان، أنه أمام أكثر رجال أتريموس خداعًا وذكاءً، كما أنه تعقل في كلماته، ليخبره أنه سيعود أولًا إلى مجلس الحكماء، وهم من سيكونون أصحاب القرار النهائي.

***

في مدينة (الشمس)، وصل رسول الأمير فيليب، إلى الملك ليدلي، احتفى به جنود آل بنتلي المتواجدون رفقة الأمير لويس، ليأخذوه سريعًا إليه، ليعلم منه ما حدث في أرض الشرق، وسيطرتهم عليها، كما علم أنه محمل برسالة إلى الملك ليدلي، وأخبره بمفادها، ليذهبا سريعا نحو البهو الملكي، ليلتقوا بالملك ليدلي.

«جلالة الملك ليدلي، هذا هو دوسان، أحد فرسان آل بنتلي البواسل، لقد أتى إلى هنا محمل برسالة لجلالتك، من أخي الأمير فيليب، والملكة إلينا ملكة الجليد»

طلب منه الملك ليدلي، أن يفض الرسالة ويخبره بفحواها، ليعلم أنهم سيتحركون نحو قلعة الاتحاد، وأنهم يطلبون منهم أن يلتقوا هناك، ليوحدوا صفوفهم، في معركتهم المقبلة أمام الملاعين، كما أخبرهم دوسان، بأنهم قد أرسلوا بالفعل رسالة مشابهة إلى ملوك القديسين.

: «شكرًا لك سيد دوسان، على كل ما تحملته من مشقة للسفر، وما قدمه آل بنتلي من دعم لنا، بقيادة الأمير فيليب، والأمير لويس، وباقي أبنائكم الشجعان، عليك الآن أن تنال قسطًا كافيًا من الراحة، قبل أن نتحرك جميعًا نحو قلعة

الاتحاد»

أصدر الملك ليدلي قراره للجميع، بأن يستعد للترحال مرة أخرى، وكلف الوزير كيني، والسيد فيرديناند، بإدارة شؤون المدينة في فترة غيابه، فتح باب التجنيد العسكري لكل من يريد، ليترك حامية كبيرة من الجند لتأمين مدينة (الشمس)، كما عزز جيشه بالمزيد من الجند، من أبناء مدينة (الشمس) وأرض الوسط، كما أنهم تزودوا بكل ما يحتاجون من مؤن، وعتاد عسكري يلزم لمعركتهم القادمة.

***

استعد الجميع في مدينة (الشمس) للرحيل. الجيش على أهبة الاستعداد، وبالفعل غادرت طلائعه محيط المدينة، في الطريق نحو قلعة الاتحاد، لتأمين الطرق.

تجهز ليدلي لقيادة من آمنوا به وبقضيته، ليصبح مُسْتَعِدًّا لقيادة الموكب الملكي، الذي أعد له قبل الرحيل، ظل ساكنًا يتذكر كل ما مر عليه، منذ خرج في موكب مماثل، في معية أبيه الملك شيرار، عندما توجهوا نحو قلعة الاتحاد لمواجهة الملاعين، هناك بدأ كل شيء، وهناك سيعود مرة أخرى، ليكمل مسيرته من أجل إعادة أرضهم إلى وضعها الصحيح.

تقدم نحو جناح أخته كاترينا، شعر بقلبه ينزف دمًا لحالتها وما حدث لها، حاول كثيرًا أن يرفع من معنوياتها، في خلال الأيام السابقة، ليساعدها على التحسن، ما زال جسدها يرفض الطعام، ولا يقبل منه إلا القليل، تحولت إلى هزيلة خائرة القوى، كانت مستلقية في سريرها، لينصرف الأطباء والوصيفات عند دخوله، ليجلس بجوارها فابتسمت إليه في وهن، وتتحدث بصوت خافت:

«هل آن أوان الرحيل؟»

- «نعم يا عزيزتي، ما زالت مهمتنا لم تنتهي بعد، لكني أعدك أن أعود لكِ سريعًا، وأريدك أن تكوني بأفضل صحة وحال، يجب أن تستمعي لكلام الأطباء، فلن أقبل منكِ أبدا أن تكون ملكة الوسط بحالة سيئة»

ابتسمت له متمنيةً أن يعود منتصرًا في تلك المعركة، ليجلس ويحدثها محاولًا عدم إجهادها، ليحتضنها بكل ود، طابعًا قبلة على جبينها قبل أن يغادر مودعًا إياها. ذرف دمعة في طريقه نحو الخارج، ليجد أندرو ينتظره أمام باب جناحها، ليربت على كتفيه، ويطلب منه أن يدخل لتوديعها قبل الرحيل.

: «لكن يا مولاي، كيف لي...»

- «أندرو، أعلم مدى قربكما من بعضكما البعض، واعلم ما يكنه كل منكما للآخر، وصدقني يا عزيزي، هي الآن في أشد الحاجة إلى قلب صادق يحدثها»

تركه ليدلي، ليدخل أندرو إليها، تقدم ببطء وهو يشاهدها راقدة في فراشها، لم يكن يتخيل أن يراها يومًا بهذه الحالة، بدت وكأنها غفت فور خروج ليدلي، ليجلس أسفل فراشها، ويمسك بكفها الهزيل في يده، ويطبع قبلة عليه، التفتت إليه معتقدة أنه ليدلي قد عاد من جديد، متسائلة عن سبب عودته، لكنها وجدته أندرو، آخر شخص في الكون ترغب أن يراها في هذه الحالة.

: «أندرو، ما الذي أتى بك إلى هنا، وكيف دخلت إلى جناحي؟»

- «لقد أمرني الملك ليدلي، أن أتى لرؤية أجمل نساء الأرض، وأن أحصل على التبريكات من أميرة مدينة (الشمس)، ومليكة قلبي، وأنا لا أرفض أي أمر للملك ليدلي، وأريد أن أطمئن قلبي، الذي يحترق شغفًا لرؤية معشوقته»

- «لكني لم أعد كاترينا التي عهدتها»

- «ستبقين دائما مليكتي ومعشوقتي، أجمل نساء الكون،

وسيدة قلبي الدائمة»

احمرت وجنتي كاترينا الهزيلتين خجلًا، وكأنها جمعت ما تبقى في جسدها من دماء، لكي تظهر خجلها، ظل أندرو يطمئنها، ويحدثها بكلمات عذبة خرجت بصدق من قلبه العاشق لها، لم يجهدها في الحديث، بل طلب منها أن تتمنى لهم التوفيق في رحلتهم تلك، واعدًا إياها، أنه سيعود إليها سالمًا هو والملك ليدلي، متمنيًا أن يجدها في أفضل حال وصحة، ليستعدا سويا لاستكمال حياتهما معًا، بينما هي لم تجبه إلا بكلمات بسيطة مقتضبة، وهو يهدئ من روعها، قبل أن يطبع قبلة أخيرة على كفها، لينهض ويقدم لها التحية قبل أن يغادر.

***

عاشقان آخران تعاهدا على اللقاء، أشوري وزوجته أديلا ، فقد أتتهما الأخبار السارة بحملها، لتبقى هي رفقة نساء القبائل في مدينة (الشمس)، بعد أن أعد قصر الضيافة لاستقبالهم.

: «عدني يا أشوري أن تعود لي سالمًا»

- «سأعود من أجلك يا عزيزتي، سننهي حربنا تلك في

أسرع وقت، أعدك بذلك»

- «كم أتمنى أن أصحبك في هذه الرحلة»

- «اعلم يا عزيزتي، لكنك الآن أحوج للراحة من أي وقت مضى، بل إنكِ تحملين لنا البشرى بمولود جديد، يشير لعهد جديد، هذا ما أنبأني به السيد توفا»

- «إذن فلتعد إلينا في أسرع وقت يا عزيزي»

تواعدا على اللقاء من جديد، ليحتضنها أشوري مودعًا إياها، وقبلها بكل حب وود، ثم غادر ليلحق سريعًا بالركب الملكي.

تقدم الملك ليدلي الركب، ليقطعوا شوارع مدينة (الشمس)، ليحييهم العامة، متمنين لهم التوفيق في حربهم المقدسة تلك، ويخرج الجيش متقدمًا صوب الشمال، نحو قلعة الاتحاد.

***

22

خلال أيام قليلة, دبت الحياة من جديد بداخل قلعة الاتحاد، ذلك الرمز الدائم لوحدة أرض)زاندو)، لكنها في الفترة الماضية تحولت لمكان مهجور، حامية بسيطة وضعت عليها في البداية من قوات أتريموس، لكنهم تراجعوا لمدينة (الشمس)، لتصبح القلعة مأوى للمشردين من أهل الشمال، وكل من يسعى للهرب من ويلات هذه الأرض، أما الآن مع وصول جيش الجليد، عمل الحكيم توساني على إعادة القلعة لعهدها السابق، لتستعد لكتابة نهاية كل هذا, كما بدأ فيها الأمر، ليعاد افتتاح البهو الرئيسي، وقاعة الاجتماعات التي شهدت الحضور الأخير لملوك (زاندو) الراحلين، والآن تستعد هذه القاعة لاستقبال ملوك آخرين، يسعون لإعادة التوازن إلى (زاندو)، بعد أن وصلت الجيوش الثلاث من الشرق والغرب والجنوب.

جلس الحكيم توساني في مكانه السابق كأمين سر للاتحاد، بينما شغل المقاعد الأخرى الملكة إلينا ملكة الجليد، والأمير فيليب قائد آل بنتلي, وملوك القديسين الثلاثة, ترادوس, لوسيان, بيير, بينما أعد خلفهم مقاعد أخرى, شغرها قادة قبائل الجنوب الثلاثة عشر, والسيد توفا عرافهم, وبجوارهم

جلس السيد دوراتي، وزير مملكة الجليد، والسيد جورج، مستشار الملكة إلينا وعمها، وبجوارهم حكماء مجلس السحر في أرض الجليد، وقادة الفصائل المختلفة، من البشر، والقناطير، والأقزام، والعمالقة، فلحسن الحظ كانت القاعة تمتاز ببهو واسع بما يكفي، وأبواب كبيرة تسمع بدخول العمالقة إلى داخلها. وبجوارهم جلس بيدرو، ومن معه من قادة جيشه في ميناء (اللؤلؤة)، وأبناء الغرب، وختامًا، تواجد الأمير لويس، والحكيم كولن ممثل الشمال، ليبدأ الحكيم توساني الجلسة بكلمة منه كما جرت الأعراف.

: «السادة الحضور الكرام، الملوك والأمراء، والزعماء والحكماء المبجلين، اليوم نحن هنا من أجل هدف مقدس لنا جميعًا، في المرة السابقة التي وقفت بها بهذا الموضع، كان في حضرة ملوك (زاندو) الراحلين، الملك أرسين حامي الجنوب، والملك ريفيرا سيد الغرب، والملك جودان قائد الشرق، والملك شيرار ملك الوسط، وأبانا ومرشدنا جميعًا، ومن قبلهم كان معنا الملك جيرارد فارس الشمال، وقبلهم في هذه القاعة جلس العديد من الملوك العظام، ممن حموا هذه الأرض، وعملوا على ازدهارها ونموها بأفضل شكل ممكن.

بجلستنا الأخيرة، كان القرار بالسعي لمواجهة الملاعين،

لكن الأمور تغيرت وجميعنا يعلم ما حدث, وها نحن اليوم في حضرة ملوك عظام, الملك ترادوس وأشقاؤه في الدم, الملكين بيير ولوسيان, ملوك القديسين, حلفاؤنا الأعزاء, ومن ندين لهم بكل آيات الشكر والعرفان, والولاء على ما قاموا به من أجلنا, وتحملوه من متاعب في سبيل حريتنا, حين لبوا طلب ملوكنا الراحلين.

والملكة إلينا, وريثة آل ياشين, وملكة عرش الجليد وشعب (زاندو) الغائب عنها بالوجود, لكنها ما زالت في وجدانهم, من أتوا تلبية لطلب الملك شيرار, وهم أيضًا أهلي وقومي, فأنا منهم وهم مني, كل الشكر لأهلي من شعب الجليد, أبناء (زاندو) الذين ظلوا على العهد مهما طال الأمد.

وأيضًا لنحيي أناس لم يقلوا عنهم وفاءً وتذكرًا لأرضهم ووطنهم, أبناء القبائل الشجعان, من ظلوا على العهد والوفاء لنبوءتهم, وزعمائهم العظام من نهضوا كالوحوش من أجل وطنهم الأم.

ودعونا نحيي آل بنتلي, والأمير فيليب وصحبه الكرام, من أحسنوا استقبالنا, وتحملوا عناء مساندة الجميع, وأثبتوا أنهم ما زالوا على العهد لملوك (زاندو) الراحلين.

وأخيرًا وليس آخرًا, لنحيي هذا الرجل الذي شهد جمع

ملوكنا الأخير، من رفض الرحيل وقرر المواجهة، ليلقى مصير الأسر والسجن، لكن نواياه الصادقة من أجل هذا الوطن، سخرت له أهل هذه الأرض الأوفياء، إنه الملك ليدلي، آخر ملوك (زاندو)، والوريث الشرعي لأرض الوسط، لذا سيدى أرجوك أن تتقدم لمجلس أبيك، الملك شيرار، كقائد لاتحاد (زاندو)، لكنه الآن اتحاد جديد، بعهد جديد مشرق لأبناء هذه الأرض»

حيا الجميع الملك ليدلي الذي تقدم ليأخذ مقعد أبيه، كقائد لاتحاد ممالك (زاندو)، تأمل مكان أبيه قليلًا قبل أن يشغله، ليبدأ كلمته كقائد للاتحاد الجديد الآن:

«أيها السادة، لا أجد أي كلمات للشكر والعرفان لدي توفيكم حقكم جميعًا، ولكن اسمحوا لي قبل أن أبدأ مجلسنا، أن أقدم بطلًا آخر من أبناء (زاندو)، ليأخذ مكاني، إنه السيد بيدرو، ممثل أهل الغرب، وما قدموه من شجاعة وبسالة، في مواجهة الملاعين في ميناء (اللؤلؤة)، حتى أتاهم مدد ملوك القديسين الكرام»

توجهت الأنظار نحو بيدرو تحييه، والذي تلقى الأمر بفخر ودهشة، فحضوره لمجلس كهذا هو شرف كبير في حد ذاته، وأن يُقدم ليكون أحد أعضاء الطاولة الأساسية، كممثل

لشعب الغرب بعد الملك ريفيرا, أمر جعل قلبه يخفق بشدة, لما ألقي على كاهله من حمل ثقيل الآن, ليتقدم ببطء ويشكر الملك ليدلي وكافة الحاضرين, نيابة عن نفسه وعن أبناء الغرب أجمعين.

- «نحن من نشكركم عزيزي بيدرو, فأنتم الآن مضرب للأمثال في الشجاعة والبسالة, واسمحوا لي أن أحيي زعماء قبائل الجنوب, هذا المدد الذي لم يكن في الحسبان, لقد كانوا شعلة الضياء الخافت التي أتت من بعيد, لتجعلني برفقتكم الآن, فلولاهم لما كنت هنا, كل التحية لهم, فلم أعهد أحد في شجاعتهم وبسالتهم ووفائهم, فوجودهم هنا اليوم هو فخر لنا, ليحلوا مباركين في أرضهم التي هبوا لنجدتها. ملوك القديسين العظام, ملكة الجليد الجليلة, كامل شكري وعرفاني لكم جميعًا, واسمحوا لي أن أرفع عنكم ألقاب ممالكم, فأنتم اليوم ملوك جدد (لزاندو), أرض وعهد جديد يجمعنا, بمختلف طوائفنا وأجناسنا أبد الآبدين»

كانت كلمات ليدلى هذه, بمثابة تعهد وإذن بأن يصبح للجميع حق في (زاندو), دون أي تفرقة, فقد رفع الآن حواجز الممالك وحدودها, وهشم جدار الأعراق والفصائل, ليعلن هذه الأرض للجميع مرة أخرى.

أدار الحكيم توساني المجلس, ليبدؤوا بتوحيد صفوفهم من أجل مواجهة الملاعين, ومن معهم من الخونة, الفارين من أرض (زاندو) في معركتهم الأخيرة, ليبدأ كل منهم في تعريف الآخرين بحجم القوات التي لديه وتصنيفها, من رماة, ومشاة, وفرسان, وما لديهم من معدات والآلات حربية, كما شارك ملوك القديسين بأسلحتهم, وقاذفاتهم التي تطلق المواد الحارقة, وأخبرهم أبناء الجليد بما قاموا بتطويره من مقاليع ومجانيق, وقاذفاتهم قوية التدمير خفيفة الوزن, كما عرفهم الزعيم بيرشا, بوحوش قبائل النوماكي, ليأتي دور استطلاعاتهم, لتخبرهم بحجم القوات المتوقعة للملاعين, وتمركزهم في قلعة (بلاجا), ليبدؤوا في وضع خطتهم للمعركة المقبلة, فهذه هي معركة الحسم الحقيقية, ليبدؤوا بطرد الملاعين من أرض (زاندو), ليقرروا إعداد الجيش بشكل كامل, للتحرك في اليوم التالي نحو مصيرهم المحتوم.

في صباح اليوم الموعود, اصطفت كامل الجيوش متحدة, بينما تقدم الملوك والأمراء والزعماء طليعة الجيش, ليبدأ الكهنة تقاليدهم الكهنوتية, بالصلاة والتبريكات للجيش, ومباركة القادة والجنود على حد سواء, ليبدأ الجيش في تحرك مهيب نحو الشمال, تحرك أعاد لذاكرة

الحكيم توساني, تحرك ملوك (زاندو) الراحلين في مرتهم الأولى, لكنه الآن ينضم لطليعة الجيش, رفقة الحكماء والمستشارين, الجميع على قلب رجل واحد, ليصلي بشكل خاص من أجل أن يعودوا جميعًا منتصرين من حربهم هذه, ويبدؤوا عهد جديد لأهل هذه الأرض.

***

23

على هذه الأرض, التي أريق عليها دماء الملوك الراحلين بكل غدر وخسة, وقف أتريموس كطريد هذه المرة, تقدم الصفوف رفقة كلاوديو, وأبناء عمومته من آل نيكلسين مع أمان وقادة الملاعين, أخذ يطالع هذا الجيش المرابط أمامهم, جنود قد حشدوا لمواجهتهم من العدم, لم يكن في مخيلة أي أحد أن يهب كل هؤلاء, من أجل مواجهتهم هم والملاعين, ليدلي وقبائل الغجر, ومن انضم إليهم من جنود الجنوب, وأبناء الوسط, ليستطيع توحيدهم وتغير وجهتهم, ومن انضم إليهم من ملوك القديسين, من أتو لهذه الحرب, بعد أن وصلتهم رسالة بالنجدة من ملوك قد لقوا حتفهم, وهؤلاء الذين أتوا من أقصى الشمال, حيث الجليد المتجمد, دون أي حسبان لهم, ومن انضم معهم من أبناء الشرف, وهذا الخبيث فيليب, الذي تلاعب بهم جميعا.

شرد ذهنه حتى اقترب منه كلاوديو:

«فيما تفكر يا عزيزي؟, أراك شارد الذهن»

- «لا أفكر إلا في النصر يا كلاوديو, فلا سبيل لنا إلا ذلك حتى نعود إلى أرضنا, وإلا فسنلقى حتفنا هنا اليوم, أو نكون

منفيين في الأرض المظلمة»

- «وما رأيك في هذا الحشد المجتمع أمامنا الآن؟, فأنت أكثرنا حنكة عسكرية»

- «حشد غفير وتنوع كبير, لكن أمان ورجاله, لديهم حشد يفوقونهم قوةً وعددًا, يمكنك ملاحظة هذا بكل سهولة»

- «إذن فلنتمنى النصر لا غير, وبعدها لنقتص من كل هؤلاء»

احتشد كلا الجيشين مواجهين لبعضهما البعض, كل منهما ينتظر من الآخر أن يبدأ هجومه, ليأتي الأمر من أمان, بعد مباركة حكمائهم الذين تواجدوا في طليعة الجيش للمرة الأولى, ليعطي الإذن للرماة بأن يبدؤوا بتوجيه ضرباتهم الأولى نحو خصومهم, لتشق سهامهم السماء بكثافة كبيرة, ليحتمي جيش (زاندو) المتحد, كما لقبه الملوك والقادة منذ خروجهم من قلعة الاتحاد, ليتصدوا لهذه الهجمات الأولى للملاعين, قبل أن يأتي الإذن لرد الهجمات, لكنهم ردوا باستخدام المقاليع التى لديهم, ليقوموا بإطلاق كم كبير من المقذوفات على جيش الملاعين, وصل فوجها الأول ليحدث بعض الإصابات فيهم, ليأتي الفوج الثاني من الهجوم, لكنه هذه المرة شمل أيضًا استخدام جنود الإلف لمقذوفاتهم

الحارقة في مواجهة الملاعين.

عقب الموجة الأولى من الهجوم, تقدم حكماء الملاعين السبع توسطهم العملاق, بينما اصطف الست الأخرون على جانبيه بشكل مائل, ليشكلوا ما يشبه الحربة وهو رأسها, ليصيح كبيرهم:

«بسم سيدنا العظيم, نسأله أن يمدنا بالقوة, وحدوا قواكم أيها الحكماء واجعلوا أرتوس يتولى الأمر»

أنهى كلماته ليقوم الحكماء باستجماع طاقتهم التي تجسدت عيانًا للجميع, بتلك الكرات المختلفة, والتي توهجت مظلمة بين أيديهم, وقاموا بتوحيدها ليوجهوها نحو جسد العملاق أرتوس, الذي امتصها جميعًا, لتزداد حجم الكرة التى في يده, ليفرد ذراعيه على أقصاهما, قبل أن يطبقهما على بعضهما البعض, مصدرًا صرخة عالية, ليصدر من يده ما يشبه العاصفة باهتزاز صوتي عال, تقدمت للأمام لتسقط كل مقذوفات جيش (زاندو), كأنها لم تكن, بل امتد أثر تلك الموجة لتصل لجيش (زاندو), وكأنهم يواجهوا عاصفة قوية, ليتشبث كل في مكانه بكل ما أوتي من قوة. عالت صيحات الجميع في جيش الملاعين, تصدح باسم (السيد), ليتساءل أتريموس سريعًا عما رآه أمام عينيه

ليجيبه أمان:

«إنها هبة تمنح (السيد) سر القوة الكامنة, يهب جزء منها لمن يستحقها من حكمائنا, لتكون روح (السيد) حاضرة. فبتلك القوة لن يستطيع أن يجابهنا أحد, ولكنكم في أرضكم تحذرونها, أو بمعنى أدق تحذرون قدرات أقل منها بكثير, تسمونها السحر وهذا ليس سحرًا, بل هي قوة (السيد) تتجلى أمامكم الآن»

استعد حكماء الملاعين لشن الهجوم هذه المرة, ليحدثهم كبيرهم بأن يعاودوا كرتهم مرة أخرى, ولكن ليهاجموا جيش (زاندو) هذه المرة.

على الجانب الآخر, تقدم أعضاء مجلس السحر لجيش الجليد, ومعهم الحكيم توساني سريعا, ليصطفوا في مواجهتهم, ويجمعون هم أيضًا طاقتهم, ليصيح كبيرهم في كافة الجنود:

«إنهم يستخدمون قوى سحر مظلمة, ليحتمي الجميع ونحن سنحاول صدهم!»

ليوجه حديثه مرة أخرى لكن لمعاونيه هذه المرة:

«يا أبناء الجليد, لتستدعوا قوى النور ولتصدوا هجماتهم!»

سارعوا ليستجمعوا قواهم, بينما انطلق الحكيم توفا سريعًا هو الأخر, ليتقدم للأمام هو وبعض من عرافي الجنوب, الأكثر علمًا ومعرفةً, ليقوموا بفض بعض من أغراضهم, ويخبرهم السيد توفا:

«أيا أبناء الأرض, لتستعينوا بقوة الطبيعة الأم!»

ليقوموا سريعًا برسم دوائر متداخلة بعضها البعض, ليصطفوا لمواجهتهم, وينقشون عليها بعض الرموز القديمة, ليأخذ كل منهم موضعه ويتوسطهم السيد توفا, لكن هجمة حكماء الملاعين كانت أسرع, فقد قاموا بتجميع طاقتهم مرة أخرى في جسد العملاق أرتوس, الذي وجه ضربة قوية بالكاد استطاع سحرة الجليد من امتصاص قوتها, لكن أثر تلك العاصفة مر بقوة على الجيش, ليسقط بعضهم ويثير جيادهم ودوابهم, التي شعرت بقوة الشر الكامنة في تلك الهجمات, أخبرهم سيد السحرة بأن يستعيدوا قواهم سريعًا وبشكل أكبر, ويوحدون قواهم, بينما السيد توفا أخبرهم أنهم سيساندونهم هذه المرة.

علم حكماء الملاعين أنهم الآن, سيواجهون أناسًا يملكون قوة سحرية مثلهم ليعيقوا ضرباتهم, ليعيد كبيرهم حديثه لهم مرة أخرى:

«أيا أبناء (السيد) لتخرجوا كامل قواكم، وصبوا عليهم لعنات السماء!»

أنهى حديثه ليجمعوا قواهم من جديد، لكنها هذه المرة كانت أكثر قوة، ليظهر مدى قوتها على العملاق أرتوس، الذي صرخ وبشدة من كم القوة المظلمة التي تجمعت بداخله، ليصيح كبير الحكماء: «لتسقط عليهم لعنات (السيد)»

أنهى كلماته ليرفع أرتوس، كلتا يديه عاليًا، محركا تلك الكرة المظلمة أمامه للأعلى، قبل أن يسقطهما بكل قوة، لتهبط تلك لكرات السوداء الملتهبة من السماء، ليحتمي كافة الجنود خلف دروعهم، بينما عرافي الجنوب وسحرة الجليد شحذوا كل قواهم، ليصدوا تلك الهجمة القوية، لينجحوا في صد أغلبها، لكن بعضها مر بالفعل ليسقط فوق بعض أماكن الجيش، محدثًا إصابات بجنودهم.

بدا الوهن جليا على وجه العملاق أرتوس، الذي احتاج لبعض من الوقت ليستعيد طاقته، ليشير كبير سحرة الجليد للجميع، بأن يستغلوا الفرصة، وأن يوجهوا ضربتهم الأولى ضدهم، ليستدعي هو ومن معه قوة (الجليد العاصفة)، بينم العراف توفا ورفاقه، سارعوا بتوجيه ضربتهم الأولى، وهو يرددون ترانيهم:

«لتنهضي يا قوى الأرض والطبيعة, وكوني عونا لأبنائك الصالحين»

ليوجه كلا الفريقين هجمتين موحدتين في آن واحد, فقد هبت ريح عاصفة تحمل قوى الصقيع, بينما الأرض اهتزت لترتفع صخورها, مباغتةً جيش الملاعين بهجماتهم.

سارع حكماء الملاعين بالتصدي لتلك الهجمة, ليبعدوها عن أنفسهم وعن من حولهم من القوات, بينما أصابت قدرا ليس بالقليل من جيش الملاعين.

تعجب أتريموس مما قاموا به, فلم يحاولوا أن يبعدوا الضربة عن جنودهم ليجيبه أمان:

«إن لحكمائنا قدسية خاصة, فلن يهدروا قواهم في حمايتنا, فهي مكرسة لحمايتهم, والهجوم على أعدائنا فقط, أما نحن فكلنا في معية (السيد), من يسقط فقد أختاره (السيد) ليكون فداءً له»

استعاد أرتوس قدرًا كبيرًا من طاقته, ليشير لبقية الحكماء بأنه مستعد من جديد, ليبدؤوا بتجميع طاقتهم, لتكون هذه المرة بقوة أكبر وأكثر شدة, وقاموا بتجميعها في جسد أرتوس من جديد, والذي ازدادت صيحته هذه

المرة, ليبدو أنه قد قام بتجميع قدر هائل من قوة الظلام, ويقوم بتوجيه هجمة قاضية هذه المرة, بينما سحرة الجليد وعرافي القبائل, قد استنزفوا قدرا ليس باليسير من طاقتهم لصد هجماتهم السابقة, وتوجيه هجمة جديدة لهم, ليسارع ملوك القديسين بالتقدم للأمام, ومن معهم من حكماء الإلف ليصطفوا بجوارهم, ليتحدث الملك ترادوس تلك المرة:

«باسم قديسينا العظام, وبسم كل الأرواح الطاهرة, وبسم النور, فلتمدونا بقوة القديسين الكرام»

ليجمعوا طاقتهم السحرية هم أيضًا وتتصدى هذه المرة رفقة سحرة الجليد, وعرافي القبائل لتلك الهجمة القوية من أرتوس, وحكماء الملاعين الذين أطلقوا العنان لقوى الظلام بصيحتهم:

«باسم سيدنا العظيم, فلتنهض يا قوة الأرض السوداء, ولتنطلقي يا قوى الظلام لتقضى على كل الأعداء, ولتعلي اسم سيد الظلام, سيدنا (أشيدول) العظيم!»

انتابت القشعريرة جسد أمان وكافة أبناء الملاعين, فقد نطق الحكماء باسم (السيد) العظيم, ليعلموا أنهم الآن سيوجهون ضربة لا طاقة لأحد بها, ليصيح أمان بكافة الجنود بأن يحتموا وأن يحموا أعينهم.

مع صيحات أمان للملاعين بأن يحتموا، علم الجميع في جيش (زاندو) الموحد، أن حكماء الملاعين قوة لا يطيق الملاعين حتى تحملها، ليطلب الملك ليدلي، بأن يحتمي الجميع خلف دروعهم، ليستمر حكماء الملاعين بحشد كامل طاقتهم في جسد أرتوس، والذي بدأ حجمه في الازدياد والتضخم، وكأن الطاقة تجعل جسده يتمدد، ليعلم سحرة الجليد وعرافو القبائل، وملوك القديسين وحكمائهم، أنهم سيواجهون كمْ من طاقة الظلام لم يروا مثله من قبل، ليوجههم كبير سحرة الجليد:

«إنهم يستدعون كامل طاقة الظلام في جسد العملاق. إنه أكثرهم تحملًا لهذا الكم الهائل من الطاقة. ليطلقها علينا دفعة واحدة. علينا أن نفصله عنهم. وعلينا أن نتصدى لتلك الضربة»

- «لتتصدوا أنتم جميعًا لتلك الضربة، واتركوا أمر العملاق لي، ولإخواني ملوك القديسين»

أنهى الملك ترادوس كلماته، ليتخلى عن درعه وسلاحه ملقيًا إياهما أرضًا، ليتقدم هو والملكان لوسيان وبيير، بضع خطوات للأمام، بينما تقدمهم حكماء القديسين يشكلون درع أمامهم، ليقول كبيرهم:

«مولاي، عندما نتصدى لهم، عليكم أن تهاجموه في اللحظة المناسبة، عندما تبدأ طاقته في الانهيار»

أشار له الملوك بالإيجاب، ليبدأ ثلاثتهم مرددين كلماتهم في آن واحد، لتعلوا كلماتهم بلغة الإلف القديمة، ويبدؤون معًا في تشكيل وهج مشتعل من الضياء، يتزايد حجمه كلما زادوا في ترديد كلماتهم، ومن أمامهم حكماء القديسين يرددون طقوس أخرى ليصنعوا أمامهم وهج آخر من الضياء، يرتفع للأعلى، ليشكلوا به ما يشبه الدرع، بينما اصطف عرافو القبائل، كل منهم في حلقة متشابكي الأيدي، يتوسطهم السيد توفا، الذي أخذ يردد وهم من خلفه:

«لتضاء الحلقات، ولتخرج أسرار الكلمات، وليخرج كل طلسم مسطور، بحارس من نور، ليصدوا قوى الظلام الشرور»

استمر السيد توفا بترديد ترانيهم، ومن خلفه عرافي الفودا، لتضيء الحلقات التى يقفون بداخلها، وتبدأ الطلاسم والرموز التى رسموها بالتحول، ليخرج منها كائنات ووحوش عملاقة، مجسدة بهيئة صخرية وطينية من عناصر الأرض، واضحة للجميع، لتقف جميعها في وضعية دفاعية لتلقي تلك الهجمات، وما زال من خلفهم عرافي الفودا

يرددون.

تقدم كبير سحرة الجليد, ليقفوا في هيئة مماثلة لهيئة حكماء الملاعين, ليطلب من تابعيه بأن يمدوه بقوى النور, ليعلموا أنه سيخرج طاقته وقواه الكاملة, ليصحوا به أنه لا يقوى على الصمود بمثل هذا العمر, ليجيبهم:

«إن هذه هي لحظتي الموعودة, فقد ظللت طيلة تلك السنوات اسخر طاقة النور لهذا اليوم الموعود, حتى وإن لقيت حتفي, فسأكون قد أكملت رسالتي بنجاح»

أنهى كلماته ليقف ويستجمع كامل تركيزه الروحي, بينما الجميع من خلفه يستجمعون قوى النور خاصتهم ليمرروها باتجاهه, ليبدأ جسده في الانكماش على نفسه, كأنه لا يتحمل كل هذا الكم الهائل من الطاقة.

على الجانب الآخر, واصل حكماء الملاعين حشد كامل قواهم المظلمة, بجسد العملاق أرتوس, والذي ازدادت صرخاته وازداد تضخم جسده, بينما الحكماء الأخرون بدأت قواهم في الانخفاض, وهم يقومون بمده بكل ما لديهم من قوة, ليصيح فيه كبيرهم:

«إما الآن وإما لا يا أرتوس, لتصب عليهم لعنات (السيد)

كاملة!»

جمع أرتوس كل قواه، ليقوم بحشد كامل طاقته، وتجميع كامل طاقة حكماء الملاعين، ليرسم بيديه دائرة وهمية في الهواء، حول الطاقة المظلمة التي جمعوها في أكبر حجم لها، ليصيح بأعلى صوته:

«باسم (أشيدول) العظيم لتحل عليكم اللعنات!»

ليقوم بضم قبضتي يديه ويدفع بهما بداخل تلك الطاقة المظلمة، ويبدأ بدفع الطاقة للأمام بمنتهى القوة، وكأنه يصوب من يديه تلك اللعنات، التي خرجت من تلك الهالة، وخرج منها كيانات سوداء عملاقة، انتشرت في كل الأرجاء، تعالت منها الصرخات والأصوات، ليصم الجميع أذانهم، لتنطلق تلك الوحوش سريعةً مباغتةً جيش (زاندو) ومن خلفها كرات سوداء من اللهب تباغت الجميع، ليطلق عرافو الفودا، العنان لكائنات النور حراس الحلقات، التي انبرت سريعا لتقاتل تلك الكائنات المظلمة، لتتحول الساحة ما بين الجيشين لمسرح حربي بين تلك الكائنات، التي كانت الغلبة والكثرة العددية فيها لكائنات الظلام، فبدأ عرافو الفودا، يستدعون المزيد من كائنات النور ليشتبكوا معهم.

سارع حكماء الإلف بإطلاق طاقة النور بداخلهم، ليوجهوا

ضرباتهم سريعًا نحو كرات الظلام الملتهبة التي تهاجم الجيش, سعوا ليسقطوا أكبر كمْ ممكن منها, ويحمون قوات الجيش والجميع خلفهم, لكن ما أطلقه حكماء الملاعين كان أكثر مما توقعوه, لتعبر بعض تلك الكرات مهاجمةً الجيش من خلفهم, وتتحول عند سقوطها لكائنات صغيرة تهاجم الجنود, لينتشر الفزع في بعضهم, بينما أبناء القبائل انبروا سريعا ليقاتلوها.

استمر حكماء الملاعين في تسخير قواهم, وإفراغ كل غضبهم ولعناتهم على جيش (زاندو), بينما عرافي الفودا ما زالوا يقاومون هم وحكماء الإلف, لكن طاقتهم أوشكت على النفاذ, بينما كبير سحرة الجليد مازال ينكمش على نفسه, مستقبلًا كم هائل من طاقة النور من رفقائه, لتتغير عيناه حتى أصبحتا بيضاوان تمامًا, ليتمتم: «بسم كل آلهتنا, وبسم النور الأعظم, لتنطلقي يا طاقة النور العظمى, وتبددي هذا الظلام الذي حل علينا»

أنهى كلماته ليشد قامته كاملة قدر استطاعته, ويخرج من جسده كم كبير من طاقة النور, لينتشر ضياء ساطع في الأجواء, أعمى أنظار الجميع, لقد تدفقت قوى النور التي سخرها سحرة الجليد, لتخرج مجتمعة من جسد كبيرهم,

لتقضي على كل ما أقترب منها من كيانات الظلام, ليزيد عرافو الفودا من تراتيلهم رغم إنهاكهم, ليخرجوا المزيد من كائنات النور, لينقضوا على كائنات الظلام, لتتراجع بسرعة مرتدة إلى جسد العملاق أرتوس, الذي صرخ وبشدة ليشير حكماء الإلف إلى ملوكهم بأن هذا هو الوقت المناسب, بعد أن جمعوا سويًا أكبر قدر ممكن لهم, من قوة النور الخاصة بالإلف, ليطلقوها دفعة واحدة بتجاه العملاق أرتوس, والذي ازدادت صرخاته, ليشع بالنور والظلام داخل جسده, وبدأ يشعر وكأن جسده يحترق من الخارج, ليتقدم للأمام دون هدى لا يعلم إلى أين المسير, ليبدأ حكماء الإلف بتوجيه كامل طاقتهم لمهاجمته هذه المرة, بينما ملوك القديسين سعوا لتجميع طاقتهم مرة أخرى, وسارع بعض فرسان الحرس الملكي لمملكة الجليد, لكي يحملوا كبير سحرة الجليد, والذي خارت قواه بعد إطلاق هذا الكم الهائل من الطاقة من خلاله, ليأخذوه سريعًا للخلف, ليعاود سحرة الجليد هجومهم الفردي هذه المرة نحو العملاق أرتوس, بينما عرافي الفودا يشنون هجماتهم بقوى الأرض والطبيعة عليه.

في هذا الحين, كان قد سقط باقي حكماء الملاعين أرضًا عند ارتداد كل هذا الكم من الطاقة المظلمة, وطاقة النور,

نحو العملاق أرتوس, فقد كانوا جميعًا مرتبطين به روحيًا ليروا الجميع وهم يشنون هجومًا مركزًا عليه, لتخور قواه ويجثو على ركبتيه, وما زال الجميع يوجه له ضربات مختلفة من الطاقة, ليخرج من حلقه صرخة مدوية صمت الآذان, وانبعث من حلقه شعاع قوى نحو السماء, اختلطت فيه قوى الظلام والنور, حتى انفجر حلقه, ليسقط صريعًا على أرض المعركة, بينما غلفت طاقة النور طاقة الظلام حتى أخمدتها, ليهدأ الوضع وينظر الجميع على كلا الجانبين لهذا المشهد بكل ذهول, ليصيح بعدها جيش (زاندو) بصيحات النصر, ليتمتم كبير حكماء الملاعين:

«ليحفظنا (السيد), وليقدس روحه, فلقد تحمل مالا طاقة له به»

أعاد ملوك القديسين تجميع قواهم وطاقتهم من جديد, ليطلقوا سويًا كمًا هائلًا من الطاقة, باتجاه سحرة الملاعين, ليباغتوهم بهجمة قوية وهم ساقطون أرضًا, ليبدؤوا بالتصدي لها, لكنهم بالفعل نجحوا بإصابة اثنين منهم بجروح عميقة, ليصيح أمان بجنوده بأن ينقذوا حكماءهم, وأن يأخذوهم بعيدا عن الساحة, بعد ما فقدوه من قوة وطاقة.

بدا نوع من عدم التنظيم في جيش الملاعين, ليشير

لهم أمان مرة أخرى بأن يهجموا مباشرة على خصومهم, ليتقدم جنود الإلف مباشرة, ويبدؤون بإطلاق قذائفهم الملتهبة لدفعتين متتاليتين, ليسقطوا طلائع الملاعين, قبل أن يتراجعوا لعلمهم أنهم اقتربوا من المدى الذي لا يمكنهم التسديد من خلاله, ليشر الملك ليدلي لرجاله, بأن يتقدموا, ليتقدم رجاله الرماة, ويقومون بتوجيه وابل لا يتوقف من سهامهم باتجاه الملاعين, ليحصدوا من يستطيعون منهم, قبل أن يفتح ممرات كبيرة في الجيش, ليتقدم الزعيم بيرشا, هو وفرقته الهجومية من وحوش الماموث, بينما هذه المرة كان برفقتهم وحدات من جنود الإلف, يعتلون وحوش الماموث ويصطحبون مدافعهم المحمولة, ويرافقهم عمالقة الجليد, ليحموهم من هجمات عمالقة الملاعين, لينطلقوا سريعًا صوب مقدمة جيش الملاعين, وينطلق من خلفهم قوات الفرسان, وقناطير الجليد بمنتهى السرعة, ليكونوا على ميمنتهم وميسرتهم, ليشتبكوا مع الملاعين بمنتهى القوة, ليثبتوا بسالة وقوة كبيرة في معركتهم, بينما الملاعين شعروا بخسارتهم لقدر كبير من القوة, مع خسارتهم لحكمائهم, ليشعروا أنه لا سبيل لهم للنجاة في هذا اليوم.

ارتفعت معنويات جيش (زاندو) الموحد, مع شن هجومهم الأول, تقدموا بمنتهى القوة, يشتبكون مع الملاعين, قاتلوا

بمنتهى البسالة والقوة, ليرى أمان قواته تتراجع للخلف, ليعطي الإشارة لبقية قوات الجيش بالتقدم للأمام, مشيرا لمساعديه بأن يستغلوا الزيادة العددية لديهم, بأن يطوقوا جانبي جيش (زاندو) وأن يطوقوا الفرسان عن الميمنة والميسرة, بينما تقدم هو نحو القلب, ليقود باقي قواته ليشتبكوا معهم, يقود قوات الأوراك, والغيلان, ومن خلفه أتريموس, ومن معه من آل نيكلسين وقواتهم, بعد أن أمر أمان رجاله, بأن هؤلاء الجنود ينطبق عليهم قانون الحرب لأبناء (السيد), من يتراجع للخلف يقتل, فلم يكن أمامهم أي مفر من الاشتباك سريعا في هذه المعركة.

رأي ليدلي قوات الملاعين, وهي تضيق الخناق على قواتهم من الفرسان والقناطير, بينما هم يقاتلون بكل بسالة, وفي القلب تم حصار أبناء قبائل النوماكي, ومن معهم من قوات الإلف وعمالقة الجليد, ومن يصحبهم من بعض فرق الفرسان والمشاة, ليتمهل قليلًا حتى يتأكد من أن الملاعين قد دفعوا بكامل تنظيمهم العسكري لأرض المعركة, ليعطي الإشارة لبقية الجيش بالتقدم للأمام, وإن يطوقوا جيش الملاعين هم أيضًا, لينطلق الأمير فيليب, وبرفقته الوزير القنطور سوكراتيس, قائد جيش الجليد, ليقودا ميمنة الجيش, بمن معهم من قوات من المشاة والفرسان, وعلى ميسرة الجيش,

بمنتهى البسالة والقوة، ليرى أمان قواته تتراجع للخلف، ليعطي الإشارة لبقية قوات الجيش بالتقدم للأمام، مشيرا لمساعديه بأن يستغلوا الزيادة العددية لديهم، بأن يطوقوا جانبي جيش (زاندو) وأن يطوقوا الفرسان عن الميمنة والميسرة، بينما تقدم هو نحو القلب، ليقود باقي قواته ليشتبكوا معهم، يقود قوات الأوراك، والغيلان، ومن خلفه أتريموس، ومن معه من آل نيكلسين وقواتهم، بعد أن أمر أمان رجاله، بأن هؤلاء الجنود ينطبق عليهم قانون الحرب لأبناء (السيد)، من يتراجع للخلف يقتل، فلم يكن أمامهم أي مفر من الاشتباك سريعا في هذه المعركة.

رأي ليدلي قوات الملاعين، وهي تضيق الخناق على قواتهم من الفرسان والقناطير، بينما هم يقاتلون بكل بسالة، وفي القلب تم حصار أبناء قبائل النوماكي، ومن معهم من قوات الإلف وعمالقة الجليد، ومن يصحبهم من بعض فرق الفرسان والمشاة، ليتمهل قليلًا حتى يتأكد من أن الملاعين قد دفعوا بكامل تنظيمهم العسكري لأرض المعركة، ليعطي الإشارة لبقية الجيش بالتقدم للأمام، وإن يطوقوا جيش الملاعين هم أيضًا، لينطلق الأمير فيليب، وبرفقته الوزير القنطور سوكراتيس، قائد جيش الجليد، ليقودا ميمنة الجيش، بمن معهم من قوات من المشاة والفرسان، وعلى ميسرة الجيش،

تقدم الأمير لويس, وبرفقته بيدرو ورجاله بكامل قواتهم, ومن قوات القلب, تقدمت قوات المشاة يقودها أندرو, ومن خلفه انطلق الملك ليدلي, وبرفقته ملوك القديسين, بعدما استعادوا طاقتهم, وقادة وزعماء القبائل وباقي قواتهم, بينما ظلت الملكة إلينا, وبحضرتها كامل الحكماء, والعرافين, وسحرة الجليد, من سعوا سريعًا ليساعدوا كبيرهم على استعادة طاقته, ومعهم كامل قوات الرماة, لتأمين مؤخرة الجيش, ليقاتلوا بكل شجاعة, في هذه المعركة الخالدة في تاريخ (زاندو) على مر الأجيال, فهذه هي معركة التحرير ب(بلاجا), ليذكر الجميع أن كافة أبناء (زاندو), قد توحدوا في هذه المرة من جديد, كما في عهد الحرب العظمى الأولى من كافة الممالك, وكذلك العائدون من أبناء هذه الأرض, من قبائل الجنوب ومملكة الجليد, متوحدون من كافة البقاع والأجناس, ويساندهم حلفاؤهم من الإلف من ممالك القديسين في هذه الذكرى الخالدة.

***

تقدم الأمير لويس, وبرفقته بيدرو ورجاله بكامل قواتهم, ومن قوات القلب, تقدمت قوات المشاة يقودها أندرو, ومن خلفه انطلق الملك ليدلي, وبرفقته ملوك القديسين, بعدما استعادوا طاقتهم, وقادة وزعماء القبائل وباقي قواتهم, بينما ظلت الملكة إلينا, وبحضرتها كامل الحكماء, والعرافين, وسحرة الجليد, من سعوا سريعًا ليساعدوا كبيرهم على استعادة طاقته, ومعهم كامل قوات الرماة, لتأمين مؤخرة الجيش, ليقاتلوا بكل شجاعة, في هذه المعركة الخالدة في تاريخ (زاندو) على مر الأجيال, فهذه هي معركة التحرير ب(بلاجا), ليذكر الجميع أن كافة أبناء (زاندو), قد توحدوا في هذه المرة من جديد, كما في عهد الحرب العظمى الأولى من كافة الممالك, وكذلك العائدون من أبناء هذه الأرض, من قبائل الجنوب ومملكة الجليد, متوحدون من كافة البقاع والأجناس, ويساندهم حلفاؤهم من الإلف من ممالك القديسين في هذه الذكرى الخالدة.

***

ميلسا العهد الجديد

سيطر الشغف والفخر على كل حواس ميلسا, وهي تقرأ تاريخ أجددها, واصلت حتى بزوغ الفجر بدون توقف, بينما عمها شوبار, يستمع لها ويناقشها في كل ما تسأل عنه, ليقاطعها هنا هذه المرة:

«لقد كانت تلك معركة خالدة, المقاومة بأكملها هي مضرب للأمثال, ليؤرخ تاريخنا يا عزيزتي, سنظل نتذكر الخونة, وأن مصيرهم هو الموت, وسنحيي ذكر الملوك الراحلين, كما دائمًا سنذكر بسالة أهل الغرب, في ميناء (اللؤلؤة) وحتى الآن, يحييون ذكرى انتصارهم على الملاعين في يوم الصمود, وأما عن أهل الجليد, فقد عادوا إلى أرضهم من جديد, لكنك ترين بعضهم, فمنهم المعلم جواتشي, سيد حلبة القتال, وكذلك قبائل الجنوب, ولكن الأهم هو توحيد هذه الأرض»

- «وكيف حدث هذا التوحيد يا عماه؟, أريد أن أكمل المطالعة»

- «لا حاجة لذلك, سأخبرك أنا بهذا, في تلك المعركة, لقي الملاعين هزيمة نكراء, فتراجعوا في أرجاء مملكة الشمال

رويدًا رويدًا, حتى طردوا من مدينة النسور عاصمة الشمال, وأعيد بنائها من جديد, استمروا في مطاردتهم في معارك صغيرة حتى حرروا هذه الأرض, أتريموس ومن معه من الخونة جميعًا, ألقي القبض عليهم, ليحكم عليهم بالموت إلا كلاوديو, وحده من لاذ بالفرار, ولا أحد يعرف أين يوجد, وبعد انتهاء كل هذا, أصدر الملك ليدلي, مرسومًا ملكيًا, وقع عليه كافة الملوك, والأمراء, والقادة, وزعماء القبائل, وقادة الفصائل المختلفة, بأن (زاندو), هي أرض واحدة لكل الأجناس, وأنه لا حدود فيها بعد هذا اليوم, ليتوجه الجميع ملكًا على كامل (زاندو), لكونه أخر وريث لعائلات الملوك, ولاتساع حجم المملكة الكبير, قسمت لمقاطعات بحكم تابع بشكل مباشر للملك, بينما حكامها يمتلكون كافة الصلاحيات الإدارية فيها, فقد ولي الحكيم كولن قيادة مملكة الشمال حتى وافته المنية, ومن بعده ولى الملك قائد آخر هناك, وفي أرض الشرق ولي الأمير فيليب, وآل بنتلي, حكم الشرق, وتكريمًا لهم منحوا حق الحكم مدى الحياة, ما لم يخالفوا أوامر الملك, وإلى الآن هم هناك رمز للوفاء, وفي أرض الغرب, ولي بيدرو كحاكم للغرب, على أن يعاملوا كالشمال, بأن يولي الملك الحاكم تلو الآخر, شريطة أن يكون من بين أبناء الغرب, وفي مملكة الجنوب, ولي

كراجوس حكمها, وبعد وفاته ولي الأمير لويس عليها, لكن ليس بحكم مديد لأبنائه كحال أرض الشرق, لكنهم ظلوا على الوفاء, وأما أرض أقاصي الجنوب, حيث أبناء القبائل, فقد أعطاهم الملك ليدلي, كامل الحق في الترحال, من وإلى باقي الممالك, فمنهم من ارتحل بالكامل, ومنهم من بقى في أرضهم, وكان حكمها يتبع بشكل جزئي لأرض الجنوب, لكنه شرّف زعماء القبائل, بأن يكون لهم تمثيل دائم في المجلس الملكي, إما بقائد القبيلة, أو من ينوب عنه بتفويض رسمي منه»

- «وماذا عن أهل الجليد؟, لم تذكرهم يا عماه»

- «لقد أقدم الملك ليدلي, على أحد أهم الخطوات في تاريخ هذه الأرض, فقد تقدم بكل وقار لخطبة الملكة إلينا, رغبة منه الزواج منها, وتوحيد كافة الطوائف, لتقبل الملكة إلينا بذلك الزواج الملكي, وتعتلي معه عرش (زاندو), ليقرر الملك ليدلي بمرسوم رسمي, أنه والملكة إلينا, سينشؤون منزلًا جديدًا باسم عائلة جديد, أسموه منزل (إلدينا) نسبة لاسمهما, ليستمر نسلهم في حكم هذه الأرض حتى الآن تحت السلالة (الإلدينية), وأصبحت مملكة وأرض الجليد, وأرض (زاندو) قطعة واحدة, فبعد أن استعادت أرض

(زاندو) عافيتها, قاموا بتمهيد الطرق بعيدًا عن وسائل النقل البحرية, واقتحموا أرض الملاعين ليأمنوا طرقًا للسفر على الحدود الساحلية في تلك الأرض, فهناك من قرر العودة إلى أرض الجليد, وهناك من بقى في هذه الأرض, وشيئًا فشيئًا, أصبحت كلتا الأرضين أرض واحدة, وتم تولية الوزير دوراتي, الذي أراد العودة لأرض الأجداد, حكم أرض الجليد, ومن بعده آل فرينجز, لتصبح هذه الأرض أرض واحدة, كما نصت قوانين بتعليم علوم الطاقة الروحية, لكن تحت إشراف مجلس مباشر من العرافين والحكماء والسحرة»

- «يبدو أن النهاية السعيدة قد حلت على الجميع يا عماه»

- «لا يا عزيزتي, فالجميع قد فقد أحباء وأقارب في خضم تلك الحرب, لكنهم عملوا سويًا على تجاوز ذلك بإيمانهم ومحبتهم. وأيضًا كانت هناك أخبار سيئة, فلقد فقدت الأميرة كاترينا حياتها وهى تضع مولودها, لم يكن جسدها يتحمل ذلك العبء, ليعلنوا الحداد في أرجاء المملكة على روحها, أما ما حدث بعد ذلك, فقد كان أكثر الأمور سوءا»

صمت الحكيم شوبا» قليلًا حتى يجذب حواسَ ميلسا كاملة, والتي سارعت بسؤاله عن ما حدث, لولا أن استوقفتها طرقات على الباب, لتتساءل عن من أتى إليهم

في هذا الوقت، ليخبرها عمها بأن تتوجه وترى من الطارق لتجيب، وتعرف أصوات من بالخارج، وتفتح الباب لتجدهما رجل وامرأة في نهاية العقد الخامس من عمرهما. تعرفها جيدًا. لتدخلهما على الفور وترحب بهما منادية عمها:

«عماه، لدينا زائرين عزيزين، إنهما العم كيفين، وزوجته أماندا»

ليخرج شوبار مستقبلًا إياهم بكل ترحاب وحفاوة، فقد كان كيفين وأماندا، القريبين الوحيدين لهما اللذين تعرفهما ميلسا، يأتيان لزيارتهما بين الحين والآخر على فترات متقاربة، ليحييهما ويتحدث كيفين:

«نعتذر أننا أتينا في هذا الوقت المتأخر من الليل، لكننا كنا في عمل قريب من هنا، وفضلنا أن نقطع الليل في الترحال علنا نصل هنا في الصباح، بدلًا من المبيت في الطرقات»

- «أنتما دائمًا محل ترحاب سيد كيفين، كما أن ميلسا، تسعد كثيرًا برؤيتكما، وتأمل بأن تظلا معنا لفترة طويلة»

- «كم نشتاق نحن أيضًا لهذا عزيزنا شوبار، لكن إن لم تكن تمانع ميلسا، فيمكننا أن نأخذها معنا في جولاتنا، لترى الأجواء في باقي بقاع (زاندو) أم مازالت تتلقى العلوم

والمعرفة؟»

- «إنها طالبة نجيبة, وها نحن الآن, على وشك إنهاء تاريخ الأجداد, في أثر الحرب العظمى الثانية»

تساءل كيفين إلى أي موضوع قد وصلوا في حديثهما, لتخبرهما ميلسا بكل ما عرفته, حتى انتهى عمها شوبار من الحديث, وعندها عادت واستطردت في الحديث تسأله عن الأمر السيئ الذى حدثها عنه, لينظر الجميع تجاهه بترقب, قبل أن يواصل الحديث:

«ما حدث يا بنيتي, أن مولود الأميرة كاترينا, اختفي بعد ميلاده بفترة بسيطة, اختطف بواسطة بعض الوصيفات, واللاتي وجدن مقتولات بعدها, وبعهدتهن صرة من الأموال, موصومة بلعنات سيد الظلام, ليتنبأ السيد توفا بنبوءته الأخيرة, لقد خطف هذا الطفل بواسطة كلاوديو, الناج الأخير من آل نيكلسين, ليأخذه كقربان لسيد الظلام, الذي رعاه ليهبه من قوته, طفل قد أتى من نسل ملكي, من أمة الأميرة كاترينا, ليكون هو موعود الملاعين, ليرعاه (السيد), ومع تقارير الاستطلاع تأكدوا من تلك الأخبار, لكن لم يكن لديهم القدرة على غزو الأرض الملعونة, فقوى (السيد) المظلمة ليست بالهينة, بينما الشق الأخر من النبوءة, هو

أن هذا المولود سيصبح أميرًا للملاعين، ومن بعده نسله بالكامل، حتى يأتي موعد الخلاص، مع أميرة ستأتي من نسل الملك ليدلي والملكة إلينا، ومازال الجميع ينتظر تلك النبوءة طيلة تلك الأزمان الماضية»

قاطعه كيفين طالبًا منه أن يكمل هو الحديث على مسامع ميلسا، ليستجيب له شوبار بكل ترحاب، ليكمل هو الحديث:

«منذ ذلك الحين يا بنيتي، عهد بكل بنات البلاط الملكي أن يتم تربيتها بشكل خاص كمقاتلات، تحسبًا لأن تكون إحداهن هي الموعودة، حتى إذا رزق الملك بوريث ذكر، يتم تربيته على الصلابة والشدة، لتستمر التقاليد حتى لا تنساها الأجيال، بل إن مسألة حمل الملكة لوريث للعرش، يكون أمرًا سريًا، لا يعلمه إلا قلة قليلة، ولا يعلن عنه إلا عندما تضع الملكة مولودها، فإن كان المولود ذكرًا يعلن عنه بشكل رسمي، أما وإن كانت المولودة الأولى أنثى، فلا يعلم بأمرها إلا قلة قليلة، وبعض من قادة مجلس الروحانيين، من السحرة والعرافين، كان هذا ما يحدث في بادئ الأمر، وتنشأ الأمير بسرية تامة في البلاط الملكي، لكن بعد محاولات من سيد الظلام، باستخدامه لقواه في تعقب مواليد المملكة، حاول في بعض المرات اغتيال الأميرات، ليتم بعد ذلك

إقرار أمر أخر، بأن يعهد بالمولودة إلى أحد كبار الروحانيين والحكماء، ليأخذها بعيدًا عن القصر الملكي، وبرفقته عدد محدود من الحرس الملكي، ليتكفلوا بتربيتها حتى تتم عامها السابع عشر، كما هو عمرك الآن يا عزيزتي، ويتم وقتها إخبارها بالأمر، ليعلم الجميع أن الموعودة قد ظهرت»

- «يا للآلهة، وكيف لا نعلم نحن العامة ذلك يا عماه؟»

- «لأنه يا عزيزتي، الأمر دائمًا يتم في تكتم شديد، حفاظًا على حياة الأميرات»

- «يا للآلهة، وهل حدث بالفعل، أن وجدوا تلك الموعودة في العصور السابقة، أم مازالوا يبحثون عنها؟»

- «فقط خمس أميرات اقتربن من إتمام النبوءة، لكن أمهاتهن، قد رزقن بوريث ذكر قبل أن يصلن للعمر المنشود، وكما تعلمين، فإن ملكنا الحالي، لم يرزق بأي وريث حتى الآن»

- «إذن هذا يعني أنه ربما يوجد أميرة ما، تحيا في أحد بقاع (زاندو)، ويتم تدريبها بدون أن تعلم، يا للهول، كم هي تعاني الآن، لكن... لحظة واحدة، كيف يكون الأمر سريًا وأنت تعلم كل تلك المعلومات يا عماه، أم أنها مجرد أساطير

يتناولها العامة؟»

- «لا يا عزيزتي، إنها ليست أسطورة، وحتى العامة لا يعلمون بها»

حل الصمت على ميلسا، وهي تفكر في هذا الأمر الذي يروونه أمامها، فقد عرفت الكثير من المعلومات عن تاريخ أرضها، وعن نبوءة جديدة مازال الجميع يبحث عن تحققها.

- «مرة أخرى اسمحوا لي بالسؤال، فأنا شغوفة دائمًا بالمعرفة، هل يعني كلامك يا عمي كيفين، أن حتى العامة لا يعلمون بهذا الأمر، وأنك وعمي شوبار، تعتبرون من علية القوم وخواصهم، فعمي شوبار حكيم معروف هنا، وحتى أنه قد التقى من قبل بالسيد جيرهالد، قائد الحرس الملكي»

صمت الجميع قبل أن تتحدث السيدة أماندا هذه المرة، لأول مرة منذ بداية الجلسة:

«عزيزتي ميلسا، كم أنتِ شديدة الملاحظة والذكاء يا بنيتي، بالفعل عمك شوبار من كبار الحكماء، وقد ظل لفترة طويلة سابقة في أرجاء مدينة (الشمس)، وحتى أنا وكيفين نعيش هناك لأوقات طويلة من العام بحكم عمله»

- «نعم، فأنا أعلم أن عمي كيفين تاجر معروف في كافة

أرجاء (زاندو)، فبكل تأكيد سيزور العاصة كثيرًا»

- «لا عزيزتي، كيفين ليس تاجرًا كما تظنين، بل هو...»

- «توقفي يا أماندا، ليس هذا الوقت المناسب للحديث عني»

- «لا يا كيفين، لم أعد أطيق الانتظار والكتمان أكثر من ذلك»

وضعت أماندا يدها على بطنها محدثة إياها، لتشير لوجود حمل بجنين قادم بين أحشائها، لتعلو الفرحة على وجه ميلسا:

«أوه عمة أماندا، هل أنتِ حامل، إنه خبر سعيد، لقد كنت دائمًا أدعو لكِ بأن ترزقي بمولود يهبكِ السعادة، فأنا أعلم أنك لم ترزقي بمولود بعد»

- «شكرًا لكِ ميلسا، لكن في الواقع، هذا ليس مولودي الأول، فلقد رزقت منذ سبعة عشر عام بفتاة رائعة، تمتاز بشعر ذهبي كأشعة الشمس، في مثل عمرك تمامًا يا بنيتي»

- «وأين هي عمتي، لم أرها أبدًا معكما طيلة تلك السنوات، هل أصابها مكروه ما؟»

- «لا يا بنيتي، إنها فتاة قوية، بهية الطلة، مقاتلة لا يشق لها غبار، دائمة المطالعة والعلم، لكنها ربيت بعيدا عنا، في عهدة أحد حكماء (زاندو) الأجلاء»

حل الصمت والحيرة على وجه ميلسا، فما ترويه السيدة أماندا، يعني أنها أحد أفراد العائلة الملكية، بل إنها ربما تكون الملكة، لكنها تعرف السيدة أماندا، والسيد كيفين، منذ طفولتها، لم تر عليهما أي مظاهر الملك أو الإمارة، بل لا يزداد وضعهما عن كونهما من الأثرياء، لتقترب منها أماندا، وتحتضنها بدفء وحنان كبير كما عهدتها دائمًا، لتمسك بيدها وتضعها على بطنها محدثة إيها:

«ألا تريدين أن تتحدثي لهذا الجنين يا عزيزتي وتباركيه»

لتضع ميلسا يدها عليه وتحركها، لتشعر بحركة طفيفة منه، ليبدو التعجب والاندهاش على وجهها، وهى تنظر بكل ود نحو السيدة أماندا، والتي حدثتها مرة أخرى:

«إنه شقيقك، أو شقيقتك يا بنيتي»

ابتعدت ميلسا مفزوعة مما تقوله السيدة أماند، ليحدثها ثلاثتهم بكل هدوء، أن ميلسا، هي إحدى الموعودات، وأن أبويها المتوفيان، ما هما إلا الملك وزوجته الجالسين أمامها،

أو كما عرفتهما بالعم كيفين والعمة أماندا، وأن عمها شوبار، هو الحكيم الذى عهد إليه تربيتها، وتعليمها منذ طفولتها، وأن السيد جواتشي، ما هو إلا أحد قادة الحرس الملكي، والذي وكل بمهمة حمايتها، هو ورجاله الذين يديرون حلبة القتال.

لم تستوعب ميلسا كل ما حدث، ليقترب منها السيد شوبار، ويضع يديه على رأسها محدثا إياها:

«بنيتي، الآن ستستعيدين بعض من ذكريات الطفولة لديكِ، فقد ظللتِ في القصر الملكي بشكل سري حتى بلغتِ الخامسة من العمر، قبل أن نأتي معًا إلى هنا»

لتجد ذاكرتها تتدفق إليها، ببعض المشاهد العابرة من طفولتها، لتتذكر نفسها برفقة السيدة أماندا والسيد كيفين، وهما أصغر في العمر، وهى تناديهما بأمي وأبي، لم تتمالك ميلسا دموعها، لتحضضنها والدتها بقوة وأمومة صادقة، محاولةً أن تحتويها مطمئنة إياها:

«اعرف أن كل ما مررتِ به يا بنيتي ليس باليسير، لكننا كنا دائما نسعى لحمايتك، أنا وأباك لم نتركك أبدا، أعيننا كانت منصبة عليك طيلة الوقت، والآن يا بنيتي، أنا أحمل جنينًا جديدًا، لندعو الآلهة أن يكون ذكرًا، وأن تنتظر الأجيال

القادمة موعودة جديدة»

- «وماذا إن كانت أنثى يا سيدتي؟»

احتضنتها أماندا بكل قوة, لا تعلم بما تجيبها, ليربت كيفين على كتفها, ويحتضنها هو الآخر محدثا إياها بكل هدوء:

«دعينا لا نستبق الأحداث يا بنيتي, الآن ستعودين لكنف والديك ورعايتهما»

نظرت لهما ميلسا بكل ود, وهى لا تعلم ماذا تقول, لتلقى نظرة على وجه عمها شوبار ليجيبها:

«دائمًا سأكون برفقتك يا مولاتي, فلن تتخلصي منى بهذه البساطة, مازال أمامك الكثير حتى تتعلميه»

ظلت ميلسا في حالة من عدم التصديق, بينما يحاولون جاهدين تهدئتها, وإخبارها بكل ما تريد, لتطرح عليهم العديد من الأسئلة, كما عهدها شوبار دائما, ليظلوا جميعا على تلك الحالة حتى الصباح, ليتوقفوا فقط عندما سمعوا طرقات على الباب, ليذهب كيفين ليجيب هو هذه المرة, ليجد القائد جيرهالد بالخارج, يؤدى له التحية العسكرية, محدثًا إياه بكل احترام:

«مولاي, إننا جاهزون للرحيل, لقد أعد الموكب كما أمرت»

أشار له بالدخول، ليتقدم جيرهالد موجهًا التحية للملكة هي الأخرى، قبل أن يؤدي التحية هذه المرة إلى ميلسا:

«مولاتي الأميرة، سررت بلقائك أخيرا، أشهد لجواتشي أنه جعل منك مقاتلة رائعة»

شكرته ميلسا بكل هدوء، لينصرف جيرهالد يشرف على إتمام الموكب الملكي، والذي ظهر من العدم، في قلب قرية (دوجان) ليرى الجميع، الملك والملكة يغادرون رفقة الحكيم شوبار وابنة أخيه، وكذلك السيد جواتشي، أعلن على عجالة إغلاقه لحلبة القتال، ومغادرته هو ومساعديه، بينما حظي باكو، بشرف الانضمام للحرس الملكي، ليودعهم الجميع، بينما ميلسا تغادر القرية التي ترعرعت بها، وهى مقبلة على المجهول، فلا تعلم ماذا سيحل بمستقبلها، فإن آمنت بكل ما رواه لها العم شوبار، والملك والملكة، فهذا يعني أنها إحدى الموعودات، ولذا سيتحتم عليها الانتظار حتى تضع الملكة مولودها، لتعلم إن كان ذكرًا، وتنتهي نبوءتها، أو ستكون أنثى، فسيتم تجهيزها لتكون هي الموعودة لعهد جديد لهذه الأرض.

ورد إلينا من «زاندو»....